



سلسلة تراث العلماء (١)

العاشر بن أمير المؤمنين

باب
الشعراء والفنون

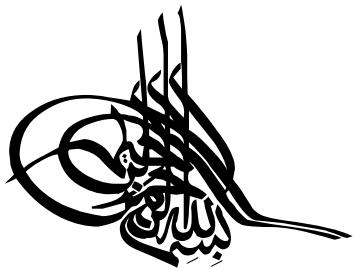
شعبة التراث الثقافي والديني
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية الخامسة
(١٥٦)

المقدمة



العباس
ابن الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام

٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام



العباس
ابن الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف عبد الرزاق الموسوي المقرم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

إن لعمي العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام

عند الله تعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء
والصديقين يوم القيمة.

(الإمام زين العابدين)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدًا لك اللهم وصلاة على خاتم أنبيائك وخلفائه
المعصومين ورضي بقائك وتقديرك بأوليائك الذين تحملوا
المشاق في إحياء شرعك الأقدس فقابلوا الأخطار بكل طلاقة
وبشاشة حتى كرعوا حياض المنون وانتهلت من دمائهم الزاكية
بيض الصفاح وأمسوا بجوارك متلفعين بالبرود القانية فسلاماً على
أرواحهم الطاهرة وأسلائهم المقطعة في سبيل مرضاتك يا رب
العالمين .

مقدمة

إن للنسب مكانة كبرى في شتى النواحي ، فليس من المستنكر دخله في تهذيب الأخلاق فإن الإنسان مهما كان مولعاً بالشهوات مستهترأً ماجناً إذا عرف أن له سلفاً مجيداً وأن من ينتمي إليهم أناس مبجلون كما هو الشأن في جل البشر - إن لم نقل كلهم - لا يروقه أن يرتكب ما يشوه سمعتهم . وإنما يكون جل مسعاهم أن يكون خلفاً صالحاً لهم يجدد ذكرياتهم ويخلد ذكرهم الجميل بالتلعف بمكارم الأخلاق .

ولقد جعل الله تعالى أبناء آدم عليه شعوباً وقبائل ليتعارفوا . فتشتبك الأواصر وتتواصل الأرحام ويحمى الجوار بالتساند والمؤازرة ، ويعرفهم من عداهم كتلة واحدة ، فيهاب جانبهم ولا تخفر ذمتهم ، فيسود بذلك السلام والوئام ، ومن هنا نشاهد المردة من قوم شعيب قالوا له لما عتوا عن أمره ﴿وَلَوْلَا رَهُطْكَ لِرَجْمَنَكَ﴾ ، فإذاً يكون في مشتبك الأواصر مناخ العز ومأوى الهيبة كما قال أمير المؤمنين عليه لابنه الحسن «وأكرم عشيرتك

فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول، ولا يستغنى الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال، فإنه يحتاج إلى دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمّهم لشعه وأعطفهم عليه إن نزلت به نازلة أو حلّت به مصيبة، ومن يقبح يده عن عشيرته فإنما يقبح عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيدٍ كثيرة»^(١).

ولقد جاء في الشريعة المقدسة أحكام منوطة بمعرفة الأنساب خاصة أو عامة كالمواريث والأخmas وصلة الأرحام ودية قتل الخطأ، إلى غيرها من فوائد النسب التي جعلته في الغارب والسنام من بين العلوم الفاضلة، وأكسته الأهمية الكبرى.

وجعلت منصة النسبية في المحل الأسمى عند الديني والاجتماعي والأخلاقي وهو أحد العلماء الذين لكل منهم اختصاص في فن من الفنون يرجع إليه في فنه ويستفتى كما يراجع غيره من العلماء في ما اختص به من الفنون.

ولقد كان عقيل بن أبي طالب عليه السلام على شرف أصله وقداسة منبته ومجد الهاشمي الأثيل، نسابة عصره، يعرف أنساب العرب وقبائلها، ويميز بين منابت المجد والخطر ومناخ السوأة والخزالية، وينوه بواسع علمه بما تتحلى به الفصائل والعمائر من

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٥٩، مصر رحمانية.

المآثر وما ترتديه البطون والأفخاذ من شبة العار، فكان يخشى ويرجى من هاتين الناحيتين، ويراجع للوقوف على لوازم الكفاية عند المصاورة تحريًا للحصول على الدعة في العشرة بين الزوجين وكرائم الأخلاق المكتسبة من إرضاع الحرائر الكريمات وعروف الأخوال الأكابر والشريعة المطهرة تقول في نصها على ذلك: اختاروا لنطفكم فإن الحال أحد الضجيعين^(١) كما حذر عن إخلاقه: إياكم وخضراء الدمن، وفسره صاحب الشريعة بأنها المرأة الحسنة في منبت السوء^(٢).

فكان عقيل كما وصفه الصفدي أحد الذين يتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب لكونه العليم به وبأيام العرب وكانت تبسط له طنفصة تطرح في مسجد رسول الله ﷺ يصلي عليها ويجتمع إليه في معرفة الأنساب وأيام العرب وأخبارهم مع ما له من السرعة في الجواب والمراجعة في القول^(٣).

ومن هنا قال له أمير المؤمنين: انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فنلدى لي غلاماً فارساً فقال له تزوج بأم البنين الكلامية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها^(٤).

(١) الكافي للكليني.

(٢) المقمعة للشيخ المفید، ص ٧٩، والمجازات النبوية: ص ٦١، طبع مصر.

(٣) نكت الهمیان: ص ٢٠٠.

(٤) عمدة الطالب وسر السلسلة لأبي النصر.

هكذا جاء الحديث ولكن لا يفوت القارئ أنا نعتقد في جملة أعباء الإمامة شمول علمهم كل ما ذرأ الله سبحانه وبرأ وما جاءت به الأم من فضائل ومخايز وأوصاف وعادات في كل حال، وللبرهنة على هذه الدعوى مجال في غير هذا المختصر.

إذن فأين يقع علم عقيل وغير عقيل من واسع علم أمير المؤمنين المتدق بـأحوال قبائل العرب وبمعرفة الشجعان منهم حتى يحتاج إلى نظر عقيل، وهل يخفى علم ذلك على من كان يعلم الذكر والأنثى من النمل كما في حديث أبي ذر الغفارى: دخلت أنا وأمير المؤمنين عليه السلام وادياً فيه نمل كثير فقلت سبحان الله مخصوصه فقال عليه السلام لا تقل ذلك وقل سبحان الله باريه فوالله إني لأحصيه وأعرف الذكر منه والأنثى^(١).

ويقول عليه السلام: إن شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم لا يشد منها شاذ ولا يدخل فيها داخل، وإنى لأعرفهم حينما أنظر إليهم وأعرف عدوى من صديقي، وإنهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وأنسابهم^(٢).

فمن كان هذا علمه لا يحتاج إلى تعرف القبائل والبطون من عقيل مهما بلغ من العلم والمعرفة إلى ذرى عالية.

(١) مدينة المعاجز: ص ١١٥.

(٢) الاختصاص للشيخ المفید، وبصائر الدرجات.

نعم! (وكم سائل عن أمره وهو عالم!) فإنه جرى صلوات الله عليه مجرى العادة في أمثاله وكم لهم من ضرائب في أعمالهم عليه السلام لحكم ومصالح لعلنا ندرك بعضها والبعض الآخر منها مطوي لديهم مع أمثالها من غواص أسرارهم.

فهذا الرسول الأعظم، وهو المسدّد بالفيض الأقدس والإرادة الإلهية المستغنى بهما عن الاستعانة بأي رأي يمشي وراء العادة فيشاور أصحابه إذا أراد المضي في أمر، ولعل النكتة فيه مضافاً إلى ذلك تعريف خطأ الاستبداد وإن بلغ الرجل أعلى مراتب العقل فكانت الصحابة تبصر من أشعة حكمه فوائد الاستشارة كالاستخارة وتمضي على قوله عليه السلام: من أُعجب برأيه ضلّ ومن استغنى بعقله زلّ، ولا يندر من استشارة، ولا خاب من استخار ^(١).

ولما خرج عليه السلام من المدينة طالباً غير أبي سفيان وبلغه في (ذفران) أن قريشاً خرجت على كل صعب وذلول، شاور أصحابه فقال: ما تقولون العير أحب إليكم أم النفير؟ فقال بعضهم العير وقال (رجلان): يا رسول الله إنها قريش وخيلاً وها ما ذلت منذ عزت وما آمنت منذ كفرت فسأله كلامهما وتغير وجهه فقام المقداد بن الأسود الكندي وقال امض يا رسول الله لما أمرك به

الله ونحن معك فوالله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى ابن عمران: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دام منا عين طرف، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن خلفك، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام (بلاد الحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فضحك رسول الله وأشار وجهه وسر بكلامه ^(١).

ولما نزل في بدر بأقرب ماء هناك قال له الحباب بن المنذر: أرأيت يا رسول الله هذا المنزل منزلاً أنزلك الله به أم هو الرأي والمكيدة وال الحرب؟ فقال هو الرأي وال الحرب فأشار عليه بأن ينهض ويأتي أدنى منزل من القوم فينزل على الماء ثم يعمل حوضاً يملأه ماءً يشرب منه المسلمون ولا يشرب منه أعداؤهم فأخذ برأيه وارتاحل حتى أتى الماء ونزل عليه ^(٢).

ولما قصده الأحزاب أراد أن يصالح عتبة بن حصين والحارث بن عوف على ثلث أئمار المدينة ليرجعاً بمن معهما من غطفان فشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن فزارة فأشاروا عليه ألا يعطيهم شيئاً فعمل بمشورتهم وكان الفتح

(١) الطبرى: ج ٢، ص ٢٧٣.

(٢) السيرة الحلبية: غزوة بدر.

له^(١) كل ذلك إيداناً وتنبيهاً بما هو اللازم من التراث والأخذ بحقائق الأمور.

وسار الأئمة من آله على هذا النهج فكان الإمام الرضا عليه السلام يذكر أباً موسى بن جعفر ويقول كان عقله لا يوازن به العقول وربما شاور بعض عبيده فيشير عليه من الضيعة والبستان فيعمل به فقيل له أتشاور مثل هذا؟ فقال عليه السلام ربما فتح على لسانه.

ولما كتب إليه علي بن يقطين بما عزم عليه موسى الهادي من الفتك به وأنه سمعه يقول قتلني الله إن لم أقتل موسى بن جعفر فلما ورد الكتاب عليه شاور أهل بيته وشيعته وأطلعهم على الكتاب وقال لهم ما تشيرون علي؟ قالوا نشير عليك أصلحك الله أن تباعد شخصك من هذا الجبار فلم يتبعاً عن مشورتهم ولكنه أوقفهم على غامض أسرار الله من هلاك الطاغي فكان كما قال^(٢).

وكان الأئمة، وهم العالمون بما كان وما يكون يتخذون الوسائل العادية لدفع الأضرار عنهم إذا علموا تأخر القضاء من مراجعة الطبيب أو الشخص نحو المهيمن جل شأنه أو شكوى إلى جدهم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ولما سقي الإمام الحسن عليه السلام العسل

(١) الرياض الخزعلية، ج ١، ص ٢١٠.

(٢) مهج الدعوات، ص ٤٣ مع بعض الاختلاف في اللفظ.

المسموم واعتل تداوى بالحليب فعوفي وحين عادت إليه العلة أخذ يسيراً من تربة النبي ومزجها بالماء فشربه وعوفي ^(١).

وقال الإمام الهادي عليه السلام لأبي هاشم الجعفري حين مرض بسامراء ابتعثوا رجلاً إلى (الحاير) يدعوا الله لي بالشفاء من العلة فقال علي بن بلال ما يصنع بالحير أليس هو الحير فلم يدرأ أبو هاشم ما يجيئه حتى دخل على الإمام عليه السلام وحكي له قوله فقال عليه السلام: ألا قلت له إن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت وأمره الله تعالى أن يقف بعرفات وإنما هي مواطن يحب الله أن يذكر فيها، وأنا أحب أن يدعى لي حيث أحب الله أن يدعى فيها ^(٢).

والغرض من هذا كله التعريف بأنه لم يجب في التكوينيات إلا جري الأمور على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية وأنه لا غناء عنها لأي أحد وأن الأئمة من أهل البيت وإن أمكنهم إعمال ما أقدارهم عليه الله سبحانه من التصرفات حسبما يريدون لكنهم في جميع أدوارهم مقتدى الأمة ومسيروهم إلى ما يراد منهم من أمر الدين والدنيا فعلى نهجهم يسير الناس وبأفعالهم يتأسى البشر وبإرشادهم ترفع حجب الأوهام.

(١) كامل البهائي : ص ٤٥٣.

(٢) أصول الكافي.

وعلى هذا الأساس مشى أمير المؤمنين في اختيار الزوجة الصالحة، على أن التأمل في كلامه يفيدنا عدم الاستشارة من أخيه فإنه قال لعقيل: انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب فهو عليه السلام في مقام الطلب من أخيه أن يخطب امرأة تصلح له لا أنه في مقام الاستشارة والاستطلاع منه لكونه عالماً بأنساب العرب وعارفاً ببيوتات الشرف والمنعة والفروسيّة.

١٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

سلسلة الآباء

هو العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
إلى هنا يقف الباحث عن الإتيان بباقي الآباء الأكارات إلى آدم
بعدما يقرأ قول النبي ﷺ: إذا بلغ نسيبي إلى عدنان فأمسكوا^(١) .

وكانه نظر إلى غرابة تلکم الأسماء وتعاصيها على نطق العامة
فكان التصحيف إليها أسرع شيء فيعود وهنا في ساحة جلالتهم
وخفة في مقدارهم وقد ولدوا الرسول الأعظم والوصي المقدم
صلى الله عليهم أجمعين .

وكيف كان فالهمم الذي يجب الهتاف به هو كون كل واحد
من هؤلاء الأنجب غير مدنوس بشيء من رجس الجاهلية ولا

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٠٦ ، وكشف الغمة: ص ٦ .

موصوماً بعبادة وثن وهو الذي يرتضيه علماء الحق لكونهم صديقين بين أنبياء وأوصياء.

وقد نزههم الله تعالى في خطابه لنبيه الأقدس : ﴿ وَقَلْبِكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ . فإنه أثبت لهم جميعاً بلفظ الجمع المحلى باللام السجود الحق الذي يرتضيه لهم .

وإن ما يؤثر عنهم من أشياء مستغربة لا بد أن يكون من الشريعة المشروعة لهم أو يكون له معنى تظاهره الدرائية والتنقية وليس آزر الذي كان ينتحt الأصنام وكاهن نمرود أبا ابراهيم الخليل^(١) الذي نزل من ظهره لأن أباه اسمه تارخ وآزر إما أن

(١) اختلفوا في أن الذي قيل له عرق الشرى ابراهيم أم اسماعيل فالذى عليه السهيلى في الروض الأنف: ج ١، ص ٨، أنه ابراهيم وعلمه بأن الشرى لا تأكله النار وإبراهيم لا تأكله النار ويظهر من الصادق عليه السلام لما تخطى النار وقال أنا ابن أعراق الشرى أنا ابن ابراهيم خليل الرحمن الإشارة إليه ونص عليه في البحار: ج ٩، ص ٢٩، في باب نسب أبي طالب قال: وابراهيم عرق الشرى وفي ج ١٠، ص ١٢٤، عند قول الإمام الحسن عليه السلام: أنا ابن أعراق الشرى قال: رأيت في بعض الكتب أنه ابراهيم لكثرة ولده في البادية ولعل عبدالله بن أيوب الخريتي الشاعر في مرثية الإمام الرضا يشير إليه كما في البحار في باب مرايثه :

يابن الذبيح ويابن أعراق الشرى طابت أرومته وطاب عروقها ولكن في نص الطبرى: ج ٢، ص ١٩١، والبداية والنهاية: ج ٢، ص ١٩٤، والبحار: ج ٩، ص ٢٧، عن أم سلمة أن عرق الشرى اسماعيل وقد جاء =

يكون عمه كما ترتئيه جماعة من المؤرخين وإطلاق الأب على العم شائع على المجاز وجاء به الكتاب المجيد: ﴿أَمْ كُنْتُ شَهِدًا إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبَابِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ فأطلق على اسماعيل لفظ الأب ولم يكن أبا يعقوب وإنما هو عمه كما أطلق على إبراهيم لفظ الأب وهو جده.

وأما أن يكون آزر جد ابراهيم لأمه كما يراه المنقبون والجد للأم أب في الحقيقة ويفيد أنه غير أبيه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيْتِيْهِ أَزَرَ﴾.

فميذه باسمه ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنى بإضافة الأبوة عن التسمية بازر.

وصرح الرسول بطهارة آبائه عن رجس الجاهلية وسفاح الكفر فقال: لما أراد الله أن يخلقنا صورنا عمود نور في صلب آدم فكان

= ذكر الشرى في شعر امرئ القيس والفرزدق ولم يعلم منه المراد قال امرؤ القيس على ما في أمالى المرتضى : ج ١، ص ١١٩ :

فبعض اللوم عاذلتي فإني ستفغيني التجارب وانتسابي إلى عرق الشرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي وقال الفرزدق كما في كامل ابن الأثير: ج ٣، ص ١٨٥ :

أنا ابن الجبال الشم في عدد الحصى وعرق الشرى عرقى فمن ذا يحاسبه وفي أخبار الزمان، ص ٨٠: عدنان بن عرق الشرى .

ذلك النور يلمع في جبينه ثم انتقل إلى وصيه شيث وفي ما أوصاه به ألا يضع هذا النور إلا في أرحام المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها يتناقلها كابر عن كابر فولدنا الآخيار من الرجال والخيرات المطهرات المهدبات من النساء حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب فجعله نصفين في عبد الله فصار إلى آمنة ونصف في أبي طالب فصار إلى فاطمة بنت أسد.

أما عدنان فقد أوضح في خطبه عن ظهور النبي وأنه من ذريته وأوصى باتباعه.

وكان ابنه معد صاحب حروب وغارات علىبني إسرائيل من حاد عن التوحيد ولم يحارب أحداً إلا رجح عليه بالنصر والظفر، ولكونه على دين التوحيد ودين ابراهيم الخليل أمر الله أرميا أن يحمله معه على البراق كيلا تصيبه نسمة بختنصر وقال سبحانه لأرميا إني سأخرج من صلبهنبياً كريماً أختتم به الرسل فحمله إلى أرض الشام إلى أن هدأت الفتنة بموت بختنصر^(١).

وكان السبب في التسمية «بنزار» أن أباه لما نظر إلى نور النبوة يشع من جبهته سره ذلك فأطعم الناس لأجله وقال إنه نزار في حقه^(٢).

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٢٠.

(٢) الروض الأنف: ج ١، ص ٨.

وورد النهي عن سب ربيعة ومضر لأنهما مؤمنان ومن كلام
مضر: من يزرع شرًا يحصد ندامة.

والياس بن مضر كبير قومه وسيد عشيرته وكان لا يقضى أمر
دونه وهو أول من هدى البدن إلى البيت الحرام وأول من ظفر
بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح وكان مؤمناً موحداً
ورد النهي عن سبه^(١).

وقد أدرك مدركة بن الياس كل عز وفخر كان لآبائه وكان فيه
نور النبي محمد ﷺ.

وكانه شيخ عظيم القدر حسن المنظر كانت العرب تحج إليه
لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد
يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا
شرفًا وعزًا إلى عزكم ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحق. ومما يؤثر
عنه: رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح
فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر. وكان يأنف أن يأكل وحده.

وولده النضر «قريش عند الفقهاء» فلا يقال لأولاد من فوقه
قرشي وإنما أولاده مثل مالك وفهر فمن ولده النضر فهو قرشي
ومن لم يلده فليس بقرشي^(٢).

(١) الروض الأنف: ١ / ٨.

(٢) السيرة الحلبية: ١ / ٩.

وأما فهر فقد حارب حسان بن عبد كلال حين جاء من اليمن في حمير لأخذ أحجار الكعبة ليبني بها بيته باليمن يزوره الناس فانتصر فهر وأسر حسان وانهزمت حمير وبقي حسان في الأسر ثلاثة سنين ثم فدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهراً وأعظموه وعلا أمره خصوصاً مع ما يشاهدون في جبهته من نور النبوة.

ويؤثر عنه قوله لولده غالب: قليل ما في يدك أعني لك من
كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك، وكان موحداً^(١).

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النبي ويعلم قريشاً أنه من ولده ويأمرهم باتباعه ويقول: اسمعوا وعوا وتعلموا تعلموا وتفهموا تفهموا. ليل داج ونهار ساج والأرض مهاد والجبال أوتاد والألوان كالآخرين كل ذلك إلى بلاء فصلوا أرحامكم وأصلحوا أحوالكم فهلرأيتم من هلك رجع أو ميتاً نشر الدار أمامكم والظن خلاف ما تقولون زينوا حرمكم وعظموه وتمسكون به ولا تفارقونه فسيأتي له نباً عظيم وسيخرج منه النبي كريم ثم قال:

نهار وليل واختلاف حوادث سواء علينا حلوها ومريرها
يؤوبان بالأحداث حتى تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم قال :

يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلنا^(١)

ولجلالته وشرفه في قومه أرّخوا بموته ثم أرّخوا بعام الفيل ثم بموت عبد المطلب وهو أول من سمي يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه وكان اسمه في الجاهلية العروبة ولما جاء الإسلام أمضاه^(٢).

وكلاّب بن مرة الجد الثالث لآمنة أم النبي والرابع لأبيه عبد الله كان معروفاً بالشجاعة ونور النبي لائح في جبهته.

ولا تسل عن سيد الحرم «قصي» فلقد جمع قومه من منازلهم وأسكنهم أرض مكة وأمرهم بالبناء حول البيت لتهابهم العرب فبنوا حول جوانبه الأربعة وجعلوا لهم أبواباً تخصّهم فباب لبني شيبة وباب لبني جمّع وباب لبني مخزوم وباب لبني سهم وتركوا قدر الطواف بالبيت وبنى قصي دار الندوة للمساعدة والتفاهم في ما يعرض عليهم من المهمات وتيمّنت قريش برأيه وسمى مجّماً.

وعند مجيء الحاج قال لقريش هذا أوان الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل إنسان منكم من ماله خرجاً ففعلوا

(١) صبح الأعشى : ج ١ ، ص ٢١١.

(٢) السيرة الحلبية : ج ١ ، ص ١٩.

وجمع مالاً كثيراً ولما جاء الحاج نحر لهم على كل طريق من طرق مكة جزوراً غير ما نحره بمكة وأوقد النار بالمزدلفة ليرواها الناس ^(١).

وصنع للناس طعاماً أيام مني وجرى عليه الحال حتى جاء الإسلام فالطعام الذي يصنعه السلطان أيام مني كل عام من آثار قصي ^(٢).

ومن هنا خضعت خزاعة لقصي وسلمت له أمر الحرم وسدانة البيت الحرام بعد أن كانت عند حليل وعند قصي ابنته وهي أم أولاده.

تولى قصي سدانة البيت إما بوصاية من حليل عند الموت إليه أو أنها كانت عند ابنته زوج قصي بالوراثة فقام زوجها بتدمير شؤون البيت لعجز المرأة عن القيام بهذه الخدمة أو أن أبا غبشان الخزاعي كان وصي حليل على هذه السدانة فعاوضه عليها قصي بأثواب وأذواه من الإبل.

هذا هو الصحيح المأثور في ولاية قصي سدانة البيت ويتفق مع العقل الحاكم بنزاهة جد الرسول الأقدس خاتم الأنبياء عمما تأباه شريعة إبراهيم الخليل من المعاوضة بالخمر المحرم في

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٩ إلى ص ١٥.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ١٨٥.

جميع الأديان أيجوز لجد الرسول أن يجعل للخمر قيمة وثمنها سحت وهو المانع عنها المحذر قومه منها فإنه قال لولده وقومه اجتنبوا الخمر فإنها لا تصلح للأبدان وتفسد الأذهان فكيف يعاوض بها بل لا يتحيل إلى مطلوبه بالخمر وهو القائل من استحسن قبيحاً نزل إلى قبحه ومن أكرم لئيماً أشركه في لؤمه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفي^(١).

وقد جمع أطراف المجد والشرف «عبد مناف» بن قصي ولبهائه وجمال منظره قيل له «قمر البطحاء» وكان سمحاً جواداً لا يعد أحداً من ماله حتى في أيام أبيه فقيل له «الفياض» ويسمى مناف لأنه أناف على الناس وعلا أمره حتى ضربت له الركبان من أطراف الأرض^(٢) وكان اسمه عبداً ثم أضيف إلى مناف فقيل له «عبد مناف» وهذا هو الصحيح المأثور وأما ما أثبتته ابن دح LAN في السيرة النبوية من أن أمه أخدمته صنماً اسمه مناف بعيد عن الصواب إذ لا شك في نزاهة آباء النبي وأمهاته في جميع أدوار حياتهم من الخضوع للأصنام كرامة لحبيبه وصفيه الرسول الأعظم فليس ب صحيح ما يقال من أن في آباء النبي وأمهاته من يعبد

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٩.

(٢) إثبات الوصية: ص ٧٥.

الصنم أو يخضع له لشهادة ما تقدم من الأحاديث عليه وإليه أشار البوصيري :

لم تزل في ضمائر الكون تختا ر لك الأمهات والآباء
على أنه لم يكن من الأصنام صنم اسمه «مناف» وإنما
الموجود «منا» بالباء المثناة من فوق ومن هنا كان يقول ابن
الكلبي في كتاب الأصنام ص ٣٢ : لا أدرى أين كان هذا الصنم
ولمن كان ومن نصبه ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزبير إن
أمه أخدمته منة (بالباء المثناة من فوق) فسمى عبد منة ولكن رأه
قصي يوافق عبد منة بن كنانة فحوله عبد مناف ^(١).

وكان بيت عبد مناف أشرف بيوتات قريش ^(٢) ولسيادته كان
عنه قوس اسماعيل ولواء نزار .

ومن وصيته ما وجد مكتوباً في بعض الأحجار أوصى قريشاً
بتقوى الله جل جلاله وصلة الرحم ^(٣) .

وجرى ابنه هاشم على سيرته حتى فاق قريشاً وسائر العرب
وأذعنوا له وكان يطعم الحاج كما كان يصنع أبوه وأصابات قريشاً
سنة مجده فخرج هاشم إلى الشام واشترى الدقيق والكعك فهشّم

(١) الروض الأنف : ج ١ ، ص ٦ .

(٢) تاج العروس : ج ٦ ، ص ٢٦٣ .

(٣) السيرة الدخلانية بها مش الحلبية ، ج ١ ، ص ١٧ .

الخبز ونحر الجزر وأطعم الناس حتى أشبعهم وكانت مائدةه منصوبة لا ترفع في السراء والضراء وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف وإذا أهل هلال ذي الحجة قام في صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها وخطب الناس فقال:

يا معاشر قريش إنكم سادة العرب أحسنها وجوهاً وأعظمها أحلاماً وأوسطها نسباً وإنكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصوصكم بجواره دونبني إسماعيل وإنه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيفافه وأحق من أكرم أضيفاف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتونه غبراً من كل بلد على ضوامر كالقداح فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكتفيتموه وأنا مخرج من طيب مالي وحاللي ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسائلكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيباً لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصباً.

فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجون من أموالهم ويضعونه في دار الندوة^(١).

وكان هاشم يطعم الحاج بمكة ومنى وعرفة وجمع^(٢) وهو أول

(١) شرح النهج الحديدي، ج ٣، ص ٤٥٨ .

(٢) المصدر: ص ٤٥٧ .

من سن لقريش الرحلتين رحلة إلى اليمن ورحلة إلى الشام وأخذ لهم من ملوك الروم وغسان ما يعتضدون به^(١) وذلك أن تجار قريش لم تعد تجارتهم نفس مكة وضواحيها وإنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها حتى رحل هاشم إلى الشام ونزل على قيسر فأعجبه حسن خلقه وجمال هيئة وكرمه المنهر فلم يحجبه وأذن له بالقدوم عليه بالتجارة وكتب أماناً بينهم فارتقت منزلة هاشم بين الناس فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام وجعل له معهم ربيحاً وساق لهم إبلًا مع إبله وكفاهم مؤنة الأسفار على أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه فكان في ذلك صلاح عام للفريقين فكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً فأخصبت قريش بذلك وأتتها الخير من البلاد العالية والسفالة ببركة هاشم وهذا هو الإيلاف المذكور في القرآن المجيد^(٢).

وكان يقول في خطبته: أيها الناس نحن آل إبراهيم وذرية اسماعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب وأرباب مكة وسكان الحرث لنا ذروة الحسب ومعدن المجد ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم يابني قصي أنتم كعصني شجرة أيهما كسر أوحش

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ١٨٠.

(٢) شرح النهج الحديدى: ج ٣، ص ٤٥٤ و ٤٥٨.

صاحبه والسيف لا يصان إلا بغمده ورامي العشيرة يصيّبه سهمه
ومن أمّ حكه للجاج أخرجه إلى البغي .

أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجود
سُؤدد والجهل سفه والأيام دول والدهر غَيْر والمرء منسوب إلى
فعله وما خُوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسّبوا الحمد ودعوا
الفضول تجانبكم السفهاء وأكرموا الجليس يعمّر ناديكم وحاموا
الخليط يرحب في جواركم وأنصفووا من أنفسكم يوثق بكم
وعليكم بمكارم الأخلاق فإنّها رفعة وإياكم والأخلاق الـدنية فإنّها
تضع الشرف وتهدم المجد وإنّ نهنهة الجاهل أهون من جريرته
ورأس العشيرة يحمل أثقالها ومقام الحليم عظة لمن انتفع به^(١) .

ولنور النبوة الحال في جبهته كان وجهه يضيء في الليلة
الظلماء ولم يمر بحجر ولا شجر إلا ناداه أبشر يا هاشم سيظهر
من ذريتك أكرم خلق الله محمد خاتم النبيين .

وأوصاه أبوه عبد مناف بما أوصاه به أبوه قصي : أن لا يضع
نور النبوة إلا في الأرحام الطاهرات من النساء وأخذ عليه العهد
بذلك فقبل وقد تقدم أنها موروثة من آدم عليه السلام ومن هنا رغب
الأشراف من الأكاسرة والقياصرة في مصاورة هاشم وهو يأبى حتى
إذا رأى في المنام قائلاً يقول عليك بسلامي بنت عمرو بن لبيد بن

(١) بلوغ الأرب: ج ١، ص ٣٢٢، طبع بغداد.

حداث بن زيد بن عامر بن غنم بن مازن من بني النجار فإنها طاهرة مطهرة الأذىال ليس لها مشبه من النساء فادفع المهر الجزيء فإنك ترزق منها ولدًا يكون منه النبي فمشى هاشم وأخوه المطلب وبنو عمه إلى المدينة ومعهم لواء نزار وعليهم أفحى الثياب والدروع.

ولما اجتمع القوم خطب المطلب بن عبد مناف فقال: نحن وفد بيت الله الحرام والمشاعر العظام وإلينا سعت الأقدام وأنتم تعلمون شرفنا وسؤددنا وما خصنا به الله من النور الساطع والضياء اللامع ونحن بنو لؤي بن غالب قد انتقل هذا النور إلى عبد مناف ثم إلى أخيه هاشم وهو معنا من آدم عليه السلام وقد ساقه الله إليكم وأقدمه عليكم فنحن لكريمتكم خاطبون وفيكم راغبون.

فأجابه عمرو أبو سلمى بالقبول والإنعام وساقوا المهر كما أرادوا ولما تزوج منها هاشم ودخل بها وحملت بعد المطلب انتقل إليها النور وما زالت تسمع البشائر بولادة خير البشر فأفزعها ذلك إلا أن هاشمًا عرّفها أمر النبي ^(١).

فلما ولدت عبد المطلب كان يدعى «شيبة الحمد» لكثره حمد الناس له لكونه مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور فكان شريف قومه وسيدهم كما لا يرتفعه غير مدافع عن ذلك وهو من حلماء قريش وحكمةها.

وقد سن أشياء أمضاها له الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء ووُجِدَ كنزاً أخرجاً خمسه وتصدق به وسَنَ في القتل مائة من الإبل ولم يكن للطواوف عدد عند قريش فسَنَ سبعة أشواط وقطع يد السارق وحرم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عرياناً ولا يستقسم بالأزلام ولا يؤكل ما ذبح على النصب^(١).

ومما يؤثر عنه: الظلوم لن يخرج من الدنيا حتى ينتقم منه وإن وراء هذه الدار دار يجزي فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءاته وإذا لم تصب الظلوم في الدنيا عقوبة فهي معدة له في الآخرة^(٢).

وقيل له الفياض لكثره جوده ونائله حتى إن مائدهه يأكل منها الراكب ثم ترفع إلى جبل أبي قبيس لتأكل منها الطير والوحوش^(٣) ولعزم المنيع وشرفه الباذخ كان يفرش له بإزاره الكعبة ولم يفرش لأي أحد غيره ولا يجالسه على بساط الأبهة إلا نبي العظمة^(٤) وإذا أراد أحد أعمامه أن ينحيه صاح به عبد المطلب وقال إن له لشأنه وملكاً عظيماً^(٥).

(١) الخصال للصدق، والسيرة الحلبية: ج ١، ص ٥.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٢.

(٣) المصدر: ص ٤.

(٤) اليعقوبي: ج ٢، ص ١١، و تاريخ الخميس: ج ١، ص ٢٧٠.

(٥) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٢٩.

ولا غرو في ذلك بعد أن كان وصيًّا من الأوصياء وقارئًا للكتب السماوية ولقد أخبر أبو طالب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: كان أبي يقرأ الكتب جميًعاً وقال إن من صلبي نبياً لوددت أنني أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنماً وإنما كانوا يعبدون الله ويصلون إلى البيت على دين أبراهيم متمسكين به^(٢).

وكان أبو طالب سيد البطحاء شبيهاً بأبيه شيبة الحمد عالماً بما جاء به الأنبياء وأخبرت به أممهم من حوادث وملاحم لأنه وصي من الأوصياء وأمين على وصاية الأنبياء حتى سلمها إلى النبي^(٣).

قال درست بن أبي منصور قلت لأبي الحسن الأول أكان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه محجوجاً بأبي طالب قال لا ولكن كان مستودع الوصايا فدفعها إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قلت دفعها إليه على أنه محجوج به قال عليه السلام: لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: اقر بالنبي وبما جاء به حتى مات^(٤).

(١) البحار: ج ٩، ص ٣١.

(٢) إكمال الدين للصدقون، ص ١٠٤.

(٣) مرآة العقول: ج ١، ص ٣٦٢.

(٤) البحار: ج ٩، ص ٢٩.

وقال المجلسي : أجمعـت الشـيعة عـلـى أـن أـبا طـالـب لـم يـعـبـدـ صـنـمـاً قـطـ وـأـنـهـ كـانـ مـنـ أـوـصـيـاءـ اـبـرـاهـيمـ الـخـلـيلـ ﷺـ وـحـكـيـ الطـبـرـيـ إـجـمـاعـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـىـ ذـلـكـ وـوـافـقـهـ اـبـنـ بـطـرـيـقـ فـيـ كـتـابـ الـمـسـتـدـرـكـ وـقـالـ الصـدـوقـ كـانـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ وـأـبـوـ طـالـبـ مـنـ أـعـرـفـ الـعـلـمـاءـ وـأـعـلـمـهـ بـشـأـنـ النـبـيـ وـكـانـ يـكـتـمـانـ ذـلـكـ عـنـ الـجـهـالـ وـالـكـفـرـ^(١) .

وـمـاـ يـشـهـدـ عـلـىـ أـنـهـ كـانـ عـلـىـ دـيـنـ التـوـحـيدـ وـمـلـةـ اـبـرـاهـيمـ ،ـ أـنـ قـرـيـشـاًـ لـمـ أـبـصـرـتـ الـعـجـائـبـ لـيـلـةـ وـلـادـةـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ خـصـوصـاًـ لـمـ أـتـوـ بـالـآـلـهـةـ إـلـىـ جـبـلـ أـبـيـ قـبـيسـ لـيـسـكـنـ بـهـمـ مـاـ شـاهـدـوـهـ اـرـتـجـ الـجـبـلـ وـتـسـاقـطـتـ الـأـصـنـامـ فـفـزـعـوـاـ إـلـىـ أـبـيـ طـالـبـ لـأـنـهـ مـفـزـعـ الـلـاجـئـ وـعـصـمـةـ الـمـسـتـجـيرـ وـسـأـلـوـهـ عـنـ ذـلـكـ فـرـفـعـ يـدـيـهـ مـبـتـهـلـاًـ إـلـىـ الـمـوـلـىـ جـلـ شـأـنـهـ قـائـلـاًـ :ـ إـلـهـيـ أـسـأـلـكـ بـالـمـحـمـدـيـةـ الـمـحـمـودـةـ وـالـعـلـوـيـةـ الـعـالـيـةـ وـالـفـاطـمـيـةـ الـبـيـضـاءـ إـلـاـ تـفـضـلـتـ عـلـىـ تـهـامـةـ بـالـرـأـفـةـ وـالـرـحـمـةـ فـسـكـنـ مـاـ حـلـ بـهـمـ وـعـرـفـتـ قـرـيـشـ هـذـهـ الـأـسـمـاءـ قـبـلـ ظـهـورـهـاـ فـكـانـتـ الـعـرـبـ تـكـتـبـ هـذـهـ الـأـسـمـاءـ وـتـدـعـوـ بـهـاـ عـنـدـ الـمـهـمـاتـ وـهـيـ لـاـ تـعـرـفـ حـقـيقـتـهـاـ^(٢) .

وـمـنـ هـنـاـ اـعـتـمـدـ عـلـيـهـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ فـيـ كـفـالـةـ الرـسـوـلـ وـخـصـهـ بـهـ دـوـنـ بـنـيـهـ وـقـالـ :

(١) إـكـمـالـ الـدـيـنـ :ـ صـ ١٠٢ـ .

(٢) رـوـضـةـ الـوـاعـظـيـنـ .

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب
يابن الحبيب أكرم الأقارب بابن الذي قد غاب غير آئب
فقال أبو طالب :

لا توصني بلازم وواجب إني سمعت أعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب بان بحمد الله قول الراهب ^(١).

فقال عبد المطلب :

انظر يا أبو طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم
رائحة أبيه ولم يذق شفقة أمه. انظر أن يكون من جسدك بمنزلة
كبدك فإني قد تركت بنى كلهم وخصصتك به لأنك من أم أبيه
واعلم فإن استطعت أن تتبعه فافعل وانصره بسانك ويدك ومالك
فإنه والله سيسودكم ويملك ما لا يملك أحد من آبائي هل قبلت
وصيتي؟ قال نعم قد قبلت والله على ذلك شاهد.

فقال عبد المطلب : مد يدك فمد يده فضرب بيده على يد أبي
طالب ثم قال عبد المطلب : الآن خفف علي الموت ولم يزل
يقبله ويقول : أشهد أنني لم أر أحداً في ولدي أطيب رححاً منك
ولا أحسن وجهها ^(٢).

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ج ١ ، ص ٢٥.

(٢) مرآة العقول : ج ١ ، ص ٣٦٨.

وفرح أبو طالب بهذه الحظوة من أبيه العطوف وراح يدخل لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبي الرحمة فقام بأمره وحماه في صغره بماله وجاهه من اليهود والعرب وقريش وكان يؤثره على أهله ونفسه وكيف لا يؤثره وهو يشاهد من ابن أخيه ولما يبلغ التاسعة من عمره هيكل القدس يملأ الدست هيبةً ورجاحةً أكثر ضحكه الابتسام ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع.

وإذا وضع له الطعام والشراب لا يتناول منه شيئاً إلا قال بسم الله الأحد وإذا فرغ من الطعام حمد الله وأثنى عليه وإن رصده في نومه شاهد النور يسطع من رأسه إلى عنان السماء^(١).

وكان يوماً معه بذى المجاز فعطش أبو طالب ولم يجد الماء فجاء النبي إلى صخرة هناك، وركلها برجله فنبع من تحتها الماء العذب^(٢) وزاد على ذلك توفر الطعام القليل في بيته حتى إنه يكفي الجمع الكثير إذا تناول النبي منه شيئاً^(٣).

وهذا وحده كافٍ في الإذعان بأن أبو طالب كان على يقين من نبوة ابن أخيه «محمد» ﷺ، أضف إلى ذلك قوله في خطبته لما أراد أن يزوجه من خديجة «وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم

(١) مناقب ابن شهر آشوب.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٣٩.

(٣) المصدر: ص ١٣٧.

وخطر جليل^(١) . وفي وصيته لقريش «إني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاءكم بأمر قبله الجنان»^(٢) .

ولما جاء العباس بن عبد المطلب يخبره بتألب قريش على معاداة الرسول قال له : إن أبي أخبرني أن الرسول على حق ولا يضره ما عليه قريش من المعاداة له وإن أبي كان يقرأ الكتب جمِيعاً وقال إن من صلبي نبياً لوددت أنني أدركته فآمنت به فمن أدركه فليؤمن به^(٣) .

واستشهاده بكلمة أبيه القارئ للكتب مع أنه كان يقرأها مثله يدلنا على تفنته في تنسيق القياس وإقامة البرهان على صحة النبوة وأن الواجب اعتماق شريعته الحقة .

أما هو نفسه فعلى يقين من أن رسالة ابن أخيه خاتمة الرسل وهو أفضل من تقدمه قبل أن يشرق نور النبوة على وجه البسيطة . ولم تجهل لديه صفات النبي المبعوث وعلى هذا الأساس أخبر بعض أهل العلم من الأحبار حينما أسرّ إليه بأن ابن أخيه محمد

(١) السيرة الحلبية : ج ١ ، ص ١٦٥ .

(٢) تاريخ الخميس ، ج ١ ، ص ٣٣٩ وطراز المجالس للخفاجي : ص ٢١٧ ، وثمرات الأوراق لابن حجة الحموي بهامش المستظرف : ج ٢ ، ص ١٠ ، وبلوغ الأربع : ج ١ ، ص ٣٢٧ ، وأسنى المطالب لزيني دحلان : ص ٥ ، وروضة الوعظين : ص ١٥٦ .

(٣) الحجة على الذاهب : ص ٦٥ .

الروح الطيبة والنبي المطهر على لسان التوراة والإنجيل فاستكتمه أبو طالب الحديث كيلا يفشوا الخبر ثم قال له : «إن أبي أخبرني أنه النبي المبعوث وأمر أن أستر ذلك لئلا يغري به الأعادي».

ولو لم يكن معتقداً صدق الدعوة لما قال لأخيه حمزة لمّا أظهر الإسلام^(١) :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا
بحط من أتى بالدين من عند ربه
بصدق وحق لا تكن حمز كافرا
فقد سرني إذ قلت إنك مؤمن
فكن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريشاً بالذى قد أتيته
جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا
وقال راداً على قريش^(٢) :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
نبياً كموسى خط في أول الكتب
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً
وقال^(٣) :

وأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً
على سخط من قومنا غير معتبر
وقال^(٤) :

أمين محب في العباد مسوم بخاتم رب قاهر للخواتم

(١) الحجة على الذاهب: ص ٧١.

(٢) خزانة الأدب للبغدادي، ج ١، ص ٢٦١.

(٣) الحجة على الذاهب: ص ٤٥.

(٤) شرح النهج الحديدي: ج ٣، ص ٣١٣.

يرى الناس برهاناً عليه وهيبة وما جاهل في فعله مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه فمن قال لا يقرع بها سن نادم
ومما خاطب به النجاشي :

تعلم خيار الناس أن محمدًا
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به
وإنكم تتلونه في كتابكم
فلا تجعلوا الله نداً وأسلموا
وزير لموسى والمسيح بن مرريم
فكلُّ بأمر الله يهدي ويعصم
بصدق حديث لا حديث المترجم
فإن طريق الحق ليس بمظلم
وقال ^(١) :

ادهُب بْنِي فَمَا عَلَيْكَ غَضَاضَة
وَاللَّهُ لَنْ يَصْلُو إِلَيْكَ بِجَمِيعِهِم
وَدَعَوْتَنِي وَعْلَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ
وَذَكَرْتَ دِينًا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ
اَدْهَبَ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عَيْوَنَا
حَتَّى أُوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينَا
وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلَ أَمِينَا
مِنْ خَيْرِ أَدِيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينَا

وبعد هذه المصارحة هل يخالج أحداً الريب في إيمان أبي طالب وهل يجوز على من يقول : «إنا وجدنا محمدًا نبيًا كموسى» إلا الاعتراف ببنوته والإقرار برسالته كالأنبياء المتقدمين؟ وهل يكون إقرار بالنبوة أبلغ من قوله : «فأمسى ابن عبد الله فينا

(١) وذكرها جماعة كثيرة: انظر ص ٦٩ من الحجة على الذاهب.

مصدقاً؟ وهل فرق بين أن يقول المسلم أشهد أن لا إله إلا الله وبين أن يقول^(١) :

وان كان أَحْمَدَ قد جَاءَهُمْ بِصَدْقٍ وَلَمْ يَتَهَمْ بِالْكَذْبِ
أَوْ يَعْتَرِفَ الرَّجُلُ بِأَنَّ مُحَمَّداً كَمُوسَى وَعِيسَى جَاءَ بِالْهُدَى
وَالرُّشَادِ مُثْلِ مَا أَتَيَا بِهِ ثُمَّ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ؟!

وهل هناك جملة يعبر بها عن الإسلام أصرح من قول
المسلم :

«وَذَكَرْتُ دِيْنِّا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدِيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِيْنِا»

كلا ! ولو لم يعرف أبو طالب من ابن أخيه الصدق في ما
أخبر به لما قال له بمحضر قريش ليريه من فضله وهو به خبير
وجنانه طامن : يا بن أخي الله أرسلك؟ قال : نعم قال إن لأنبياء
معجزة وحرق عادة فأرنا آية قال ﷺ : يا عم ادع تلك الشجرة
وقل لها يقول لك محمد بن عبد الله أقبلني بإذن الله فدعها أبو
طالب فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم أمرها بالانصراف
فانصرفت . فقال أبو طالب : أشهد أنك صادق ثم قال لابنه
علي^{عليه السلام} : يا بنى الزمه^(٢) .

(١) شرح النهج : ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

(٢) الحجة على الذاهب : ص ٢٥ .

وقال يوماً لعلي ما هذا الذي أنت عليه؟ قال يا أبا آمنت بالله ورسوله وصدقت بما جاء به ودخلت معه واتبعته. فقال أبو طالب: أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير فالزمه^(١).

وهل يجد الباحث بعد هذا كله ملتحداً عن الجزم بأن شيخ الأبطح كان معتقداً للدين الحنيف ويكافح طواغيت قريش حتى بالاتئمam مع النبي في صلاته وإن أهمله فريق من المؤرخين رعاية لما هم عليه من حب الواقعية في أبي طالب ورميه بالقذائف حنقاً على ولده (الإمام) الذي لم يتسن لهم أي غمزة فيه فتحاملوا على أمه وأبيه إيداءً له وإكثاراً لنظائر من يرثون إكباره وإجلاله ممن سبق منهم الكفر وحيث لم يسعهم الحط من كرامة النبي أو الوصي عمدوا إلى أبويهما الكريمين فعززوا إليهما الطامات، وربما ستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إيثاراً لما يرونه إثباته.

ويشهد لذلك ما ذكره بعض الكتاب عند ذكر أسرى بدر فقال:

وكان من الأسرى عم النبي وعقيل ابن عمه (أخو علي)^(٢)

ا. هـ.

فإنه لو كان غرضه تعريف المأسور لكان في تعريف عقيل بأنه ابن عم النبي كفاية كما اكتفى في تعريف العباس بأنه عم النبي

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٢١٤، والسيرة الحلبية: ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) تاريخ الأمة العربية: ص ٨٤، مطبعة الحكومة: بغداد ١٩٣٩.

ولم يحتاج أن يكتب بين قوسين (أخو علي) وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين قوسين وإلى أي شيء يرمز بها الكاتب ولكن فاته الغرض وهيئات الذي أراد فشل.

ثم جاء فريق آخر من المؤرخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الأغراض المستهدفة وأن ما جاؤوا به حقائق راهنة فاقتصر على مروياتهم مما دب ودرج وفيها الخرافات وما أوحته إليهم الأهواء والنوايا السيئة ومن هنا أهملت حقائق ورويت أباطيل.

فعزوا إلى أبي طالب قوله «إنِي لَا أَحِبُّ أَنْ تَعْلُوَنِي
أَسْتِي»^(١).

ثم رروا عنه أنه قال لرسول الله «ما هذا الدين؟» قال رسول الله: «دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم بعثني الله به إلى العباد وأنت أحق من دعوته إلى الهدى وأحق من أجابني».

فقال أبو طالب: «إنِي لَا أَسْتَطِعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي
وَالله لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ مِنْ قَرِيشٍ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ مَا حَيَّتْ»^(٢).

فحسبوا من هذا الكلام أن أبو طالب ممن يعبد الأوثان، كيف وهو على التوحيد أدل. وجوابه هذا من أنفس التورية وأبلغ

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٢١٣، وابن الأثير: ج ٢، ص ٢١.

المحاورة فإن مراده من قوله لرسول الله صلوات الله عليه وسلم عقیب قوله: أنت أحق من دعوته: «إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي» الاعتراف بإيمانه وأنه باقٍ على الملة البيضاء وحنيفية ابراهيم الخليل الذي هو دين الحق والهدى وهو دينه ودين آبائه ثم زاد أبو طالب في تطمين النبي بالمدافعة عنه مهما كان باقياً في الدنيا .

نعم من لا خبرة له بأساليب الكلام وخصوص التورية يحسب أن أبو طالب أراد بقوله إني لا أفارق ديني إلخ .. الخصوص للأصنام فصفق طرحاً واحتال مرحأ .

وجاء الآخر يعتذر عنه بأنه كان يراعي بقوله هذا الموافقة لقريش ليتمكن من كلامه النبي وتمشية دعوته .

نحن لا ننكر أن شيخ الأبطح كان يلاحظ شيئاً من ذلك ويروقه مداراة القوم في ما يمس بكرامة الرسول للحصول على غايتها الشمية لكننا لا نصافحهم في كل ما يقولون من انسالله عن الدين الحنيف انسلالاً باتاً فإنه خلاف الثابت من سيرته حتى عند رواة تلكم المخزيات ومهملـي الحقائق الناصعة حذراً عما لا يلائم خطتهم فلقد كان يراغم أولئك الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر بالإيمان والاتمام بالصلة مع النبي .

وإن شعره الطافح بذكر النبوة والتصديق بها سرت به الركبان

وكذلك أعماله الناجعة حول دعوة الرسالة:

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيشرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر وأودى فكان علي تماما
فلله ذا فاتح للهوى والله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبي طالب عدو لغا أو جهول تعامي
وأما أمير المؤمنين فيخرس البليغ عن أن يأتي على صفاته
ويقف الكاتب متربداً وما عساه أن يقول في من قال فيه أبوه أبو
طالب لما فزعت قريش إليه ليلة ولادة أمير المؤمنين إذ أبصروا
عجائب لم يروها ولم يسمعوا بها:

«أيها الناس سيظهر في هذه الليلة ولني من أولياء الله يكمل
فيه خصال الخير ويتم به الوصيين وهو إمام المتقيين وناصر الدين
وقائم المشركين وغيظ المنافقين وزين العابدين ووصي رسول
رب العالمين إمام هدى ونجم علاً ومصباح دجى ومبيد الشرك
والشبهات وهو نفس اليقين».

ولم يزل يكرر هذا القول وهو يتخلل سكك مكة وأسواقها
حتى أصبح^(١)؟

(١) روضة الوعاظين: ص ٦٩، مجلس في ذكر مولد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ويقول رسول الله صلوات الله عليه وسلم : ضربة علي لعمرو بن عبد ود تعدل عبادة الثقلين . وقال يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح فأعطها لعلي عليه السلام وكان الفتح على يده ^(١) .

وبعد هذا فلنقف عن الإتيان بما أودع الله فيه من نفسيات وغرائز شكرها له الإسلام نعم يجب أن نلفت القارئ إلى شيء أكثر البحث فيه رواة الحديث وهو الإسلام حال الصغر وترددت الكلمة في الجوامع وتضاربت فيها الأقوال ولا يهمنا إطالة القول فيها .

«١» فإننا لا نقول إن أمير المؤمنين أول من آمن وإن كان هو أول من وافق الرسول على مبدأ الإسلام لما صدح بالأمر ولكننا نقول متى «كفر» علي حتى يؤمن وإنما كان هو وصاحب الدعوة الإلهية عارفين بالدين وتعاليمه معتقدين له منذ كيانهما في عالم الأنوار قبل خلق الخلق غير أن ذلك العالم مبدأ الفيض الأقدس ووجودهما الخارجي مجرأه فمحمد نبي وعلي وصي وآدم بين الماء والطين صلى الله عليهم أجمعين .

«٢» على أن نبي الإسلام وهو العارف بأحكامه والذي خطط لنا التكاليف قبل إسلام ابن عمه وأنجز له جميع ما وعده به من الأخوة

(١) الطبرى : ج ٣ ، ص ٩٣ ، وابن الأثير : ج ٢ ، ص ٨٣ .

والوصاية والخلافة يوم أجاب دعوته ووازره على هذا الأمر وقد أحجم عنه عندما نزلت آية: ﴿وَأَنِذْرْ عَشِيرَكَ الْأَقْرَبَينَ﴾ (١).

وهل ترى أن النبي كان يومئذ يجد في شريعته عدم الجدوى بإسلام مثل علي لصغره إلا أنه حباه، كلا وحاشا... ! وإنما قابله بكل ترحيب ودخوله ما لا يخول أحداً لصحة إسلامه عنده بحيث كان على أساس رصين فاتخذه رداءً كمن اعتنق الدين عن قلب شاعر ولب راجح وعقلية ناضجة يغتنم بذلك محاماته ومرضاة أبيه في المستقبل:

وإذا أكبنا النبي الأعظم عن كل مداهنة ومصانعة فلا نجد مسرحاً في المقام لأي مقال إلا أن نقول إن إسلام علي كان عن بصيرة وثبات مقبول عند الله ورسوله وكان ممدوحاً منهما عليه.

كما تمدح بذلك أمير المؤمنين غير مرة وهو أعرف الأمة بتعاليم الدين بعد النبي الكريم فقال: أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفترٍ، صلیت مع رسول الله قبل الناس بسبعين سنين (٢).

(١) نص الرسول على الخلافة ذكره الطبرى في تاريخه: ج ٢، ص ٢١٦، وابن الأثير في الكامل: ج ٢، ص ٢٤ وأبو الفدا في المختصر: ج ١، ص ١١٦، وفي شرح النهج: ج ٣، ص ٢٥٤، وفي تاريخ التمدن الإسلامي: ج ١، ص ٣١، وفي حياة محمد: ص ١٠٤، ط أول.

(٢) الطبرى: ج ٢، ص ٢١٢.

٤٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وقال له رسول الله أنت أول المؤمنين إيماناً وإسلاماً، كما مدحته الصحابة بذلك وهم أبصر من غيرهم يوم كانوا يغترفون من مستقى العلم ومنبع الدين.

وعلى هذا الأساس تظافر الثناء عليه من العلماء والمؤلفين والشعراء وسائر طبقات الأمة بأنه أول من أسلم، لكن هناك ظالع في سيره حسب شيئاً فخانته هاجسته وهو إلى مدحرة الباطل فقال إن علياً أسلم وهو صغير، يريد بذلك الحط من مقامه وليس هناك.

٣) ولو تنازلنا عن جميع ذلك فمن أين علمنا أن اشتراط البلوغ في التكليف كان مشروعاً في أولبعثة فلعله كبقية الأحكام التدريجية نزل به الوحي فيما بعد ولقد حكى الخفاجي في شرح الشفا ج ٣، ص ١٢٥، في باب دعاء النبي على صبي عن البرهان الحلبي والسبكي أن اشتراط الأحكام بالبلوغ إنما كان بعد واقعة أحد وعن غيرهما أنه بعد الهجرة وفي السيرة الحلبية، ج ١، ص ٣٠٤، أن الصبيان يومئذ مكلفون وإنما رفع القلم عن الصبي عام خيبر وعن البيهقي أن الأحكام إنما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق أو الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز.

٤) على أنا معاشر الإمامية نعتقد في أئمة الدين بأنهم

حاملون أعباء الحجة متحللون بحلى الفضائل كلها منذ الولادة
كما بعث عيسى في المهد نبياً وأوتى الحكم يحيى صبياً غير أنهم
بين مأمور بالكلام أو مأمور بالسكتوت حتى يأتي أوانه فلهم
أحكام خاصة غير أحكام الرعية ومن أقلها قبول إجابة الدعوة
ونحوها فإذان لا مساغ لأي أحد البحث في المسألة .

هذه هي السلسلة الذهبية التي تحلى بها أبو الفضل وهي
«آباء الأكارم» وقد اتحد مع كل حلقة منها الجوهر الفرد لأثارة
الفضائل فما منهم إلا من أخذ بعضاً مني الشرف وملك أزمة
المجد والخطر قد ضم إلى طيب المحتد عظمة الزعامة وإلى
طهارة العنصر نزاهة الإيمان فلا ترى أياً منهم إلا منار هدىً وبحر
نديًّا ومثال تقىً وداعية إلى التوحيد وإلى بسالة وبطولة وإباء
وشمم وهم الذين عرقوا في سيدنا العباس عليه السلام هذه الفضائل كلها
وإن كان القلم يقف عند انتهاء السلسلة إلى أمير المؤمنين فلا
يدري اليراع ما يخط من صفات الجلال والجمال وأنه كيف
عرقها في ولده المحبوب «قمر الهاشميين» .

٤٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الأعمام

هل معي أيها القارئ لنقرأ صحفة بيضاء مختصرة من حياة أعمام أبي الفضل الذين هم أغصان تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء فإن للعمومة عرقاً يضرب في نفسيات المولود من فضائل وفواضل وقد جاء في الحديث: الولد كما يشبه أخواله يشبه أعمامه وقبل الإتيان على ما حباهم به المولى من الآلاء نستعرض اليسير من حياة عم الرسول ﷺ الذي لم يزل يفتخر به في مواطن شتى ألا وهو الحمزة بن عبد المطلب.

وما أدرك ما حمزة وما هو وهل تعلم ماذا عنىنبي العظمى من وصفه «بأسد الله وأسد رسوله» وهل أنه أراد الشدة والبسالة فحسب؟ لا !

لأنه ﷺ أوضح من نطق بالضاد وكلامه فوق كلام البلغاء فهو كان يريد خصوص الشجاعة لكان حق التعبير أن يأتي بلفظ «الأسد» مجدداً عن الإضافة إلى الله سبحانه وإلى رسوله كما هو المطرد في التشبيه به نظماً ونشرأً.

وحيث إضافة الرسول إلى ذات الجلاله والرسالة فلا بد أن يكون لغاية هناك أخرى وليس هي إلا إفاده أن ما فيه من كر وإقاد وبيطش وتنمر مخصوص في نصرة كلمة الله العليا ودعوه الرسول عليه السلام وهذا أربى من غيره وأرقى فكان سلام الله عليه من عمد الدين وأعلام الهدایة ولذلك وجب عليه الاعتراف بفضله وبما حباه المولى سبحانه من النزاهة التي لا ينالها أحد من الشهداء وكان ذلك من مكملات الإيمان ومتتمات العقائد الحقة.

يشهد له ما في كتاب «الطرف» للسيد ابن طاوس أن رسول الله قال لحمزة في الليلة التي أُصيب في يومها إنك ستغيب غيبة بعيدة فما تقول لو سألك الله عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان.

فبكى حمزة وقال: أرشدني وفهمني.

فقال النبي: تشهد الله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ولعلي بالولاية وأن الأئمة من ذرية الحسين وأن فاطمة سيدة نساء العالمين وأن جعفرًا الطيار مع الملائكة في الجنة ابن أخيك وأن محمداً وأله خير البرية.

قال حمزة آمنت وصدقت.

ثم قال رسول الله: وتشهد بأنك سيد الشهداء وأسد الله وأسد

رسوله فلما سمع ذلك حمزة أدهش وسقط لوجهه ثم قبل عيني رسول الله وقال أشهدك على ذلك وأشهد الله وكفى بالله شهيداً . وإن التأمل في الحديث يفيينا منزلة كبرى لحمزة من الدين والإيمان لا تحدّ وإنما الفائدة في هذه البيعة والاعتراف بعد ما صدر منه بمكة من الشهادة لله بالوحدانية ولرسوله بالنبوة ولكنـه أراد لهذه الذات الطاهرة التي حلقت ب أصحابها إلى ذروة اليقين التحلي بأفضل صفات الكمال وهو التسليم لأمير المؤمنين بالولاية العامة ولأبنائه المعصومين بالخلافة عن جدهم الأمين .

وهناك مرتبة أخرى لا يبلغ مداها أحد وهي اعتراف حمزة وشهادته بأنه سيد الشهداء وأنه أسد الله وأسد رسوله وأن ابن أخيه الطيار مع الملائكة في الجنة وهذه خاصة لم يكلف بها العباد فوق ما عرفوه من منازل أهل البيت المعصومين وإنما هي من مراتب السلوك والكشف واليقين .

وإذا نظرنا إلى إكبار الأئمة لمقامه وهم أعرف بنسقيات الرجال حتى إنهم احتجوا على خصومهم بعمومته وشهادته دون الدين كما احتجوا بنسبتهم إلى الرسول الأقدس مع أن هناك رجالاً بذلوا أنفسهم دون مرضاة الله تعالى .

استفينا درجة عالية تقرب من درجاتهم عليهم السلام فهذا أمير المؤمنين يقول إن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين

ولكلٌ فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه.

وفي يوم الشورى احتج عليهم به فقال أنشدكم بالله هل فيكم أحد له مثل عمي حمزة أسد الله وأسد رسوله^(١).

وقال الإمام المجتبى في بعض خطبه: وكان من استجواب رسول الله عمه حمزة وابن عمه جعفر فقتلها شهيدان في قتلى كثيرة معهما من أصحاب رسول الله فجعل حمزة سيد الشهداء.

وقال سيد الشهداء أبو عبدالله يوم الطف: أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي.

إلى غير ذلك مما جاء عنهم في الإشادة بذكره حتى إن رسول الله لم يزل يكرر الهتاف بفضله ويعرف المهاجرين والأنصار بما امتاز به أسد الله وأسد رسوله من بينهم كيلا يقول قائل ولا يتردد مسلم عن الإذعان بما حباه الله تعالى سيد الشهداء من الكرامة فيقول عليه السلام:

يا معاشر الأنصار يا معاشربني هاشم يا معاشربني عبد المطلب أنا محمد رسول الله ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي أنا وعلي وحمزة وجعفر^(٢).

(١) أمالى الشيخ الطوسي، المجلس العشرون، ح ١١٦٩.

(٢) مجالس الصدوق.

والغرض من هذا ليس إلا التعريف بخصوص فضل عمه وابن عمه فلذلك لم يتعرض لخلق الأئمة بل ولا شيعتهم المخلوقين من فاضل طينتهم كما في صحيح الآثار وإنما ذكر نفسه ووصيه لكونهما من أصول الإسلام والإيمان.

كما أن أمير المؤمنين يوم فتح البصرة لما صرخ بفضل سبعة من ولد عبد المطلب قال لا ينكر فضلهم إلا كافر ولا يجحده إلا جاحد وهم النبي محمد ووصيه والسبطان والمهدي وسيد الشهداء حمزة والطيار في الجنان جعفر لم يقصد بذلك إلا التنوية بفضل عمه وأخيه فقرن شهادتهما بمن نهض في سبيل الدعوة الإلهية وهم أركان الإسلام والإيمان.

ولو لم تكن لسيد الشهداء حمزة وابن أخيه الطيار كل فضيلة سوى شهادتهما للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة لكفى أن لا يتطلب الإنسان غيرها.

قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام إذا كان يوم القيمة وجمع الله الخلق كأن نوح أول من يدعى به فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال له من يشهد لك فيقول محمد بن عبدالله عليه السلام ثم يخرج نوح ويتخطى الناس حتى يأتي إلى محمد وهو على كثيب المسك ومعه علي عليه السلام فيقول نوح لمحمد إن الله سألني هل بلغت فقلت نعم. فقال: من يشهد لك قلت محمد فيقول محمد يا جعفر ويا حمزة اذهبا فاشهدا أنه قد بلغ. قال أبو عبدالله فحمزة وجعفر

هما الشاهدان للأنبياء بما بلغوا فقال الراوي فأين علي قال إنه أعظم منزلة من ذلك ^(١).

وهذه الشهادة لا بد أن تكون حقيقة بمعنى أنها تكون عن وقوف بمعالم دين نوح عليه السلام وأديان الأنبياء الذين هما الشاهدان لهم بنص الحديث وإحاطة شهودية بها وبمعارفها وبمواقعها وبوضعها في الموضع المقرر له وإنما صحت الشهادة وهذا المعنى هو المبادر إلى الذهن من الشهادة عند إطلاقها فهي ليست شهادة علمية بمعنى حصول العلم لهما من عصمة الأنبياء بأنهم وضعوا وداعع نبواتهم في مواضعها ولو كان ذلك كافياً لما طولبوا بمن يشهد لهم فإن جاعل العصمة فيهم جل شأنه أعرف بأمانتهم لكنه لضرب من الحكمة أراد سبحانه وتعالى أن يجري الأمر على أصول الحكم يوم فصل القضاء.

ثم إن هذه الشهادة ليست فرعية بمعنى أنهما يشهدان عن شهادة رسول الله فإن المطلوب في المحاكم هي الشهادة الوجданية فحسب.

فإذا تقرر ذلك فحسب حمزة وجعفر من العلم المتدقق خبرتهما بنواميس الأديان كلها والنواويس الإلهية جموعاً أو وقوفهمما بحق اليقين أو بالمعاينة في عالم الأنوار أو المشاهدة في

(١) سفينة البحار، للشيخ عباس القمي : ج ١ ، ص ١٥٨ ، عن الكافي .

عالم الأظللة والذكر لها في عالم الشهود والوجود ومن المستحيل بعد تلك الإحاطة أن يكونا جاهلين بشيء من نواميس الإسلام.

طالب

إن الثابت عند المحققين إسلام طالب بن أبي طالب من أول الدعوة فإن المتأمل إذا نظر بعين البصيرة إلى أبي طالب وقد ضم أولاده أجمع والنبي ﷺ معهم لا يفارقوه في جميع الأحوال مع ما يشاهدونه منه ﷺ من الآيات الباهرات لا يرتاب في صدق الدعوى وقد أفصح عنه شعره^(١) :

إذا قيل من خير هذا الورى قبيلاً وأكرمههم أسرة
أناف بعد مناف أب وفضله هاشم الغرة
لقد حل مجدبني هاشم مكان النعائم والنشرة
وخيربني هاشم أَحْمَدَ رسول الإله على فترة
وإن في حديث جابر الأنباري ما يفيد منزلة أرقى من مجرد
الإسلام يقول قلت لرسول الله أكثر الناس يقولون إن أبي طالب
مات كافراً قال يا جابر ربك أعلم بالغيب إنه لما كانت الليلة التي
أسري بي فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار
فقلت إلهي ما هذه الأنوار فقال يا محمد هذا عبد المطلب وهذا

(١) البحار: ج ٩، ص ٣٩، وذكر السيد علي خان في الدرجات الرفيعة بترجمته الثالث والرابع فقط.

أبو طالب وهذا أبوك عبدالله وهذا أخوك طالب فقلت إلهي وسيدي فيم نالوا هذه الدرجة قال بكتمانهم الإيمان والصبر على ذلك حتى ماتوا ^(١) .

وروى الكليني في روضة الكافي عن الصادق عليه السلام كان طالب مسلماً قبل بدر وإنما أخرجته قريش كرهاً فنزل رجاز وهم يرتجون ونزل طالب يرتجز:

يا رب اما يغزون بطالب في مقنبل من هذه المقانب
في مقنبل المحارب المغالب يجعله المسلوب غير السالب
وروى محمد بن المثنى الحضرمي أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لقي أبا رافع مولى العباس بن عبد المطلب يوم بدر فسألته عن قومه فأخبره أن قريشاً أخرجوهم مكرهين ^(٢) .

ويشهد له ما رواه ابن جرير أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال يوم بدر إني لأعرف رجالاً منبني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله إنما خرج مستكرهاً ^(٣) .

وقد اختلف في موت طالب فقيل إنه لما خرج إلى بدر فُقد

(١) روضة الوعاظين: ص ٧١.

(٢) في كتابه وهو من أصحاب الأئمة عليهم السلام .

(٣) تاريخ الطبرى، ج ٢، ص ٢٨٢.

ولم يعرف خبره وقيل أقحمه فرسه في البحر فغرق وليس من البعيد أن قريشاً قتله حينما عرفت منه الإسلام وعرفت مصارحته بالتفوّل بمغلوبيتهم وكان حاله كحال سعد بن عبادة لما رماه الجنّ «لو صدقت الأوهام».

عقيل

كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيبة وممن رضي عنهم الرسول فإن النزرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتماده الإسلام أول الدعوة وكان هذا مجلبة للحب النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من رسوخ الإيمان في جوانحه وعمل الخيرات بجواره ولزوم الطاعة في أعماله واقتفاء الصدق في أقواله فقول النبي له: «إني أحبك حبين حباً لك وحباً لحب أبي طالب إياك»^(١) إنما هو لأجل هاتيك المأثر وليس من المعقول كون حبه لغاية شهوية أو لشيء من عرض الدنيا.

(١) نكت الهميان: ص ٢٠٠، والسيرة الحلبية: ج ١، ص ٣٠٤، وتدكرة الخواص: ص ٧، والخصال: ج ١، ص ٣٨، للصدوق ولكن في المجالس: ص ٧٨، مجلس ٢٧، روى عن ابن عباس أن علياً قال لرسول الله ﷺ أتحب عقيلاً قال أي والله إني أحبه حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب له وإن ولده لم قتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ثم بكى رسول الله حتى جرت دموعه على صدره وقال إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

إذن فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة وقد حدته قوة الإيمان إلى أن يسلق أعداء أخيه أمير المؤمنين بلسان حديد خلده عاراً عليهم مدى الحقب والأعوام.

على أن حب أبي طالب له لم يكن لمحض البنوة فإنه لم يكن ولده البكر ولا كان أشجع ولده ولا أوفاهم ذمة ولا ولده الوحيد وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين وأبي المساكين جعفر الطيار وهو أكبرهم سنًا وإنما كان «شيخ الأبطح» يظهر مرتبة من الحب له مع وجود ولده (الإمام) وأخيه الطيار لجمعه الفضائل والفوائل موروثة ومكتسبة.

وبعد أن فرضنا أن أبا طالب حجة وقته وأنه وصي من الأوصياء لم يكن يحابي أحداً بالمحبة وإن كان أعز ولده إلا أن يجده ذلك الإنسان الكامل الذي يجب في شريعة الحق ولا وله.

ولا شك أن عقلاً لم يكن على غير الطريقة التي عليها أهل بيته أجمع من الإيمان والوحدانية لله تعالى وكيف يشذ عن خاصته وأهله وهو وإياهما في بيت واحد وأبو طالب هو المتكفل تربيته وإعاشه فلا هو بطارده عن حوزته ولا ببعده عن حومته ولا بمتضجر منه على الأقل وكيف يتظاهر بحبه ويدنيه منه كما يعلمنا النص النبوي السابق لو لم يتتوثق من إيمانه ويتيقن من إسلامه غير أنه كان مبطناً له كما كان أبوه من قبل وأخوه طالب وإن كنا لا

نشك في تفاوت الإيمان فيه وفي أخويه الطيار وأمير المؤمنين .

وحيثـذ لم يكن عـقـيل بـدـعـاً من هـذـا الـبـيـت الـطـاهـر الـذـي بـنـى
الـإـسـلـام عـلـى عـلـالـيـه فـهـو مـؤـمـن بـمـا صـدـعـ بـه الرـسـوـل مـنـذ هـتـفـ
دـاعـيـة الـهـدـى .

كما لبت هذا الهتاف أختهم أم هاني فكانت من السابقات إلى الإيمان كما عليه صحيح الأثر وفي بيتها نزل النبي عن معراجه وهو في السنة الثالثة منبعثة وحدثها بأمره قبل أن يخرج إلى الناس وكانت مصدقة له غير أنها خشيت تكذيب قريش إياه وعليه فلا يعبأ بما زعم من تأخر إسلامها إلى عام الفتح سنة ثمان من الهجرة^(١).

وما عسى أن يقول القائل في أمهم زوج شيخ الأبطح بعد
شهادة الرسول الأمين بأنها من الطاهرات الطيبات المؤمنات في
جميع أدوار حياتها.

والعجب ممّن اغتر بتمويه المبطلين فدوّن تلك الفرية زعمًا

(١) في مناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ١١٠، أنها ماتت في أيام النبي ﷺ ولكن ابن حجر في تقرير التهذيب نص على وفاتها في خلافة معاوية وعليه فليست هي المعنية بما في كامل الزيارة: ص ٩٦: وأقبلت إليه بعض عماته تقول أشهد يا حسين لقد سمعت قائلاً يقول: وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

منه أنها من فضائل سيد الأوصياء وهي أن فاطمة بنت أسد دخلت البيت الحرام وهي حاملة بعلي عليه السلام فأرادت أن تسجد لهبل فمنعها علي وهو في بطنها.

وقد فات المسكين أن في هذه الكرامة طعناً بتلك الذات المبرأة من رجس الجاهلية ودنس الشرك وكيف يكون أشرف المخلوقات بعد خاتم الأنبياء المتكون من النور الإلهي مودعاً في وعاء الكفر والجحود.

كما أنهم أبعدوها كثيراً عن مستوى التعاليم الإلهية ودروس خاتم الأنبياء الملقة عليها كل صباح ومساء وفيها ما فرضه المهيمن جل شأنه على الأمة جموعاً من الإيمان بما حبى به ولدها الوصي من الولاية على المؤمنين حتى اختص بها دون الأئمة من أبنائه وإن كانوا نوراً واحداً وطينة واحدة ولقد غضب الإمام الصادق عليه السلام على من سماه أمير المؤمنين وقال له لا يصلح هذا الاسم إلا لجدي أمير المؤمنين.

فروروا أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وقف على قبرها وصاح ابنك علي لا جعفر ولا عقيل ولما سئل عنه أجاب أن الملك سأله عن تدين بولاليته بعد الرسول فخجلت أن تقول ولدي.

أمن المعقول أن تكون تلك الذات الطاهرة الحاملة لأشرف الخلق بعد النبوة بعيدة عن تلك التعاليم المقدسة وهل في الدين

حياء؟ نعم أرادوا أن يزحزحوها عن الصراط السوي ولكن فاتهم
الغرض وأخطأوا الرمية.

فإن الصحيح من الآثار ينص على أن النبي لما أنزلها في
لحدها ناداها بصوت رفيع يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا
فخر فإذا أتاك منكر ونكير فسألاك من ربك فقولي الله ربى
ومحمدنبي والإسلام ديني والقرآن كتابي وابني إمامي ووليي ثم
خرج من القبر وأهال عليها التراب^(١).

ولعل هذا خاص بها ومن جرى مجرها من الزاكين الطيبين
وإلا فلم يعهد في زمن الرسالة تلقين الأموات بمعرفة الولي بعده
فإنه كتخصيصها بالتكبير أربعين مع أن التكبير على الأموات
خمس.

وبالرغم من هاتيك السفاسف التي أرادوا بها الحط من مقام
والدة الإمام أظهر الرسول إمام الأمة ما أعرب عن مكانتها من
الدين وأنها بعين فاطر السماء حين كفنهما بقميصه الذي لا يبلى
لتكون مستورة يوم يعرى الخلق وكان الاستطجاع في قبرها إجابة
لرغبتها فيه عندما حدثها عن أحوال القبر وما يكون فيه من ضغطة
ابن آدم.

(١) مجالس الصدوق: ص ١٨٩، مجلس ٥١.

فتحصل أن هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب بيت توحيد وإيمان وهدى ورشاد وأن من حواه البيت رجالاً ونساءً كلهم على دين واحد منذ هتف داعية الهدى وصدع بأمر الرسالة غير أنهم بين من جاهر باتباع الدعوة وبين من كتم الإيمان لضرب من المصلحة .

السفر إلى الشام

لقد كانت الروايات في سفر عقيل إلى الشام في أنه على عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة واستظهر ابن أبي الحميد في شرح النهج، ج ٣، ص ٨٢، أنه بعد شهادة أمير المؤمنين وجزم به العلامة الجليل السيد علي خان في الدرجات الرفيعة وهو الذي يقوى في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر في هذا الباب .

وعليه تكون وفاته كوفود غيره من الرجال المرضىين عند أهل البيت إلى معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطربتمن إليه الحاجة وساقهم وجه الحيلة في الإبقاء على النفس والكف من بوادر الرجل فلا هم بملومين بشيء من ذلك ولا يحط من كرامتهم عند الملا الديني فإن للتقية أحكاماً لا تنقض ولا يلام المضطر على أمر اضطر إليه .

على أن عقلاً لم يؤثر عنه يوم وفاته على معاوية إقرار له بإماماً ولا خضوع له عند كرامة وإنما المأثور عنه الواقعة فيه

والطعن في حسنه ونسبة والحط من كرامته والإصلاح بمطاعنه مشفوعة بالإشارة إلى فضل أخيه أمير المؤمنين.

من ذلك أن معاوية قال له يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك فقال عقيل لقد مررت بعسكر أخي فإذا ليل كليل رسول الله ونهار كنهاره إلا أن رسول الله ليس فيهم وما رأيت فيهم إلا مصلياً ولا سمعت إلا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة^(١).

وقال له معاوية إن علياً قطع قرابتك ولم يصلك فقال عقيل: والله لقد أجزل أخي العطية وأعظمها ووصل القرابة وحفظها وحسن ظنه بالله إذ ساء به مثلك وحفظ أمانته وأصلح رعيته إذ ختتم وأفسدتم فاكفف لا أبا لك فإنه عما تقول بمعزل^(٢).

ثم صاح يا أهل الشام لقد وجدت أخي قد جعل دينه دون دنياه وخشي الله على نفسه ولم تأخذه في الله لومة لائم ووجدت معاوية قد جعل دنياه دون دينه وركب الضلاله واتبع الهوى فأعطاني ما لم يعرق فيه جبينه، ولم تكدر فيه يمينه رزقاً أجراه الله على يديه وهو المحاسب عليه دوني لا محموداً ولا مشكوراً ثم التفت إلى معاوية وقال أما والله يابن هند ما تزال منك سوالف

(١) الدرجات الرفيعة.

(٢) العقد الفريد: ج ٢، ص ١٣٤، في باب الأجوية المسكتة.

يمرها منك قول و فعل فكأنني بك وقد أحاط بك ما الذي منه
تحاذر .

فأطرق معاوية ثم قال ما الذي يعذرني منبني هاشم وأنشأ :

أزيدهم الإكرام كي يشعروا العصا
فيا بوا لدى الإكرام أن لا يكرموا
إذا عطفتني رقتان عليهم
نأوا حسداً عني فكانوا هم هم
وأعطينهم صفو الإخاء فكأنني
معاً وعطاياي المباحة علقم
وأغضي عن الذنب الذي لا يقيله
من القوم إلا الهزبri المقمم
حباً واصطباراً وانعطافاً ورقة
وأكظم غيظ القلب إذ ليس يكظم
أما والله يابن أبي طالب لولا أن يقال عجل معاوية لحرق
ونكل عن جوابك لتركت هامتك أخف على أيدي الرجال من
حوى الحنظل .

فأجابه عقيل :

عذيرك منهم من يلوم عليهم
ومن هو منهم في المقالة أظلم
لعمرك ما أعطيتهم منك رأفة
ولكن لأسباب وحولك علقم
أبى لهم أن ينزل الذل دارهم
بنو حرة زهر وعقل مسلم
وإنهم لم يقبلوا الذل عنوة
إذا ما طغا الجبار كانوا هم هم
فدونك ما أسديت فاشد يداً به
وخيركم المبسوط والشر فالزموا
ثم رمى عقيل عليه بالمائة ألف درهم وقام من مجلسه فكتب
إليه معاوية أما بعد يابني عبد المطلب أنتم والله فروع قصيٰ

ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فإن أحلامكم لراسخة وعقولكم
لκασία وحفظكم الأوامر وحبكم العشائر ولكم الصفح الجميل
والعفو الجليل مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة وقد والله ساعني
ما كان جرى ولن أعود لمثله إلى أن أُغَيِّب في الشرى .

فكتب إليه عقيل :

صدقت وقلت حقاً غير أني أرى ألا أراك ولا تراني
ولست أقول سوءً في صديقي ولكنني أصد إذا جفاني
فكتب إليه معاوية يستعطفه ويناشده الصفح وألح عليه في
ذلك فرجع إليه^(١) .

فقال له معاوية لم جفوتنا يا أبا يزيد فأنشأ عقيل :

وإنني أمرؤ مني التكرم شيءة إذا صاحبي يوماً على الهون أضمرها
وقال يا معاوية لئن كانت الدنيا أفرشتك مهادها وأظلتك
بسرادقها ومدت عليك أطنانها ما ذاك بالذي يزيدك مني
رغبة وتخشعأ لرهاة .

فقال معاوية لقد نعتها أبو يزيد نعتنا هش له قلبي ثم قال له
لقد أصبحت يا أبا يزيد علينا كريماً وإلينا حبيباً وما أصبحت
أضمر لك إساءة^(٢) .

(١) ربيع الأبرار للزمخشري .

(٢) العقد الغريد: ج ١ ، ص ١٣٥ .

هذا حال عقيل مع معاوية وحينئذ فـأي نقص يلم به والحالة هذه وعلى الوصف الذي أتينا به تعرف أنه لا صحة لما رواه المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين فإنه مما لم يتأكد إسناده ولا عرف متنه ويضاده جميع ما ذكرناه كما يبعده كتابه من مكة إلى أمير المؤمنين حين أغار الضحاك على الحيرة وما والاها وذلك بعد حادثة صفين وهذه صورة الكتاب:

لعبدالله أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب سلام عليك
فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك
من كل سوء وعاصمك من كل مكره وعلى كل حال فإني
خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبدالله بن أبي سرح مقبلاً من
«قديد» في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر
في وجوههم فقلت إلى أين يا أبناء الشانئين أبمعاوية لاحقون
عداوة الله منكم غير مستنكرة تريدون إطفاء نور الله وتبديل أمره.

فأسمعني القوم وأسمعتمهم فلما قدمت مكة سمعت أهلها
يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من
أموالها ما شاء ثم انكفا راجعاً سالماً وإن الحياة في دهر جرأ
عليك الضحاك لذميمة وما الضحاك إلا فقع بقرقر وقد توهمت
حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك فاكتب إلى يابن
أبي برأيك فإن كنت الموت تريدين تحملت إليك ببني أخيك وولد
أبيك فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت فوالله ما أحب أن

أبلى في الدنيا بعده فواق ناقة وأقسم بالأعز الأجل إن عيشاً
نعيشه بعده لا هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام :

من عبدالله أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب سلام عليك
فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد كلامنا الله وإياك
كلاة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد.

وقد وصل إلي كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر
فيه أنك لقيت عبدالله بن أبي سرح مقبلاً من «قديد» في نحو من
أربعين فارساً من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة المغرب وإن ابن
أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبغاها
عواجاً فدع عنك ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً وتركوا ضمهم في
الضلال وتجوالهم في الشقاق ألا وإن العرب قد أجمعت على
حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب النبي قبل اليوم فأصبحوا
قد جهلوها حقه وجحدوا فضلها وبادروه بالعداوة ونصبوا له الحرب
وجهدوا عليه الجهد وجروا إليه جيش الأحزاب اللهم فاجز قريشاً
عني الجوازي فقد قطعت رحمي وتظاهرت علي ودفعتني عن
حقي وسلبتني سلطان ابن أمري وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي
في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام إلا أنْ يدعني مدّع ما
لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة فهو أقل

وأزلَّ من أَن يَلَمْ بِهَا أَو يَدْنُو مِنْهَا وَلَكِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ فِي جَرِيَّةِ خَيْلٍ فَأَخْذَ عَلَى السَّمَاوَةِ حَتَّى قَرَبُوا مِنْ وَاقْصَةٍ وَشَرَافٍ وَالْقَطْقَطَانَةِ وَمَا وَالِيَ ذَلِكَ الصَّقْعُ فَوَجَهَتْ إِلَيْهِ جَنْدًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ فَرَ هَارِبًا فَاتَّبَعُوهُ وَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ أَمْعَنَ وَكَانَ ذَلِكَ حِينَ طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَّابِ فَتَنَاهُوا عَنِ القَتَالِ قَلِيلًا فَلَمْ يَبْصُرْ إِلَّا بَوْعَ الْمَشْرِفِيَّةِ وَوَلَى هَارِبًا وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِضَعْفَةِ عَشْرِ رِجَالًا وَنَجَّا مَرِيضًا بَعْدَ مَا أَخْذَ مِنْهُ بِالْمَخْنَقِ فَلَأْيًا بَلَأْيًا مَا نَجَا.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِرَأْيِي فِي مَا أَنَا فِيهِ فَإِنْ رَأَيْتَ
جَهَادَ الْمُحَلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ لَا تَزِيدُنِي كُثْرَةُ النَّاسِ عَزَّةً وَلَا
تَفْرَقُهُمْ عَنِي وَحْشَةً لَأَنِّي مَحْقُوقٌ وَاللَّهُ مَعَ الْمَحْقُوقِ وَوَاللَّهُ مَا أَكْرَهَ
الْمَوْتَ عَلَى الْحَقِّ وَمَا الْخَيْرُ كُلُّهُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ لِمَنْ كَانَ مَحْقُوقًا.

وَأَمَّا مَا عَرَضْتَ بِهِ مِنْ مَسِيرِكَ إِلَى بَنِيكَ وَبْنِي أَبِيكَ فَلَا حَاجَةٌ
لِي فِي ذَلِكَ فَأَقْمِ رَاشِدًا مُحَمَّدًا فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَهْلِكُوا مَعِي
إِنْ هَلَكْتُ وَلَا تَحْسِبْنِ ابْنَ أَبِيكَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مَتَّخِشِعًا وَلَا
مَتَّضِرِعًا إِنَّهُ لَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمَ:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رِيبِ الزَّمَانِ صَلِيبٌ
يَعْزِزُ عَلَيَّ أَنْ تَرَى بَيْ كَابَةَ فَيَشْمَتْ بَاغٍ أَوْ يَسَاءْ حَبِيبَ
وَهَذَا الْكِتَابُ مِنْ عَقْلِ الْمَرْوِيِّ بِطَرْقِ مُتَعَدِّدَةٍ^(١) يَدْلِنَا عَلَى أَنَّهُ

(١) روى الكتابين أبو الفرج في الأغاني: ج ١٥، ص ٤٤، وابن أبي الحديد =

كان مع أخيه الإمام في حياته غير مفارق له فإن الكتاب الذي كتبه إليه كان بعد غارة الضحاك على أطراف أعماله وذلك قرب شهادة أمير المؤمنين .

إذاً فالقول بأن وفادة عقيل على معاوية بعد أخيه متعين كما اختاره السيد المحقق في الدرجات الرفيعة وجعله ابن أبي الحديد الأظهر عنده وقد وضح من ذلك أنه لم يكن مع معاوية بصفين .

الحديدة

أما حديث الحديدة المحمامة التي أدناها منه أمير المؤمنين فليس فيها ما يدل على اقترافه إثماً أو خروجاً عن طاعة فإن أمير المؤمنين أراد بذلك تهذيبه بأكثر مما تهذب به العامة كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه فعرفه «سيد الأوصياء» أن إنساناً بلغ من الضعف إلى أن يئن من قرب الحديدية المحمامة بنار الدنيا من دون أن تمسه ، كيف يتحمل نار الآخرة في لظى نزاعة للشوى وهو مضطرب بين أوارها فمن واجب الإنسان الكامل التبعد منها بكبح النهمة وكسر سورة الجشع والمكابدة للملمات القاسية فهي مجبلة لمرضاة الرب ومكسبة لغفرانه وإن

= في شرح النهج : ج ١ ، ص ١٥٥ ، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة : ج ١ ، ص ٤٥ . والسيد علي خان في الدرجات الرفيعة ترجمة عقيل . وفي جمهرة رسائل العرب : ج ١ ، ص ٥٩٦ .

كان غيره من أفراد الرعية يتبعَّد عنها بترك المحرمات فحقيقة بمثله وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصبة الخلافة التجنب حتى عن المكرهات وما لا يلائم مقامه من المباحثات ويروض نفسه بترك ذلك كله حتى تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم أو يسلّون أنفسهم بمقاسة مثل عقيل الشدائد في دنياه فلا يبهظهم الفقر الملم والكرب المدلهم فرب مباح ينقم عليه من مثله ولا يلام من هو دونه بارتكابه فإن «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وأمير المؤمنين أراد أن يوقف أخاه على هذا الخطر الممتنع الذي حواه وقد ذهل عنه في ساعته تلك.

افتاء

قال الصفدي لقد بغض عقيل إلى الناس ذكره مثالب قريش وما أُوتى من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب حتى قالوا فيه الباطل ونسبوه إلى الحمق^(١) واحتلقوه عليه أحاديث كان بعيداً عنها فوضعوا على لسان أمير المؤمنين ما ينقص من قدره ويحط من كرامته زعماً منهم أن في ذلك تشويهاً لأهل هذا البيت الظاهر بيت أبي طالب بإخراجهم عن مستوى الإنسانية فضلاً عن الدين بعد أن أعزوتهم الواقعة في سيد الأوصياء بشيء من تلك المفتريات فطفقوا يشوهون مقام أبيه وحامته ولكن لا ينطلي ذلك

(١) نكت الهميـان: ص ٢٠٠.

على الجيل المنقب حتى كشف عن تلك النوايا السيئة وعرف الملاً افعال الحديث وبعده عن الصواب.

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين ع: ما زلت مظلوماً منذ كنت صغيراً إن عقيل ليرمد فيقول لا تذروني حتى تذروا علياً فأضجع وأذري وما بي رمد.

لا أقرأ هذا الحديث إلا ويأخذني العجب كيف رضي المفتعل بهذه الفريدة البينة فإن أمير المؤمنين ولد ولعقيل عشرون سنة وهل يعتقد أحد أو يظن أن إنساناً له من العمر ذلك المقدار إذا اقتضى صلاحه شرب الدواء يمتنع منه إلا إذا شرب مثله أخوه البالغ سنة واحدة أو سنتين كلا لا يفعله أي أحد وإن بلغ الغاية في الخسفة والضعف فكيف بمثل عقيل المتربي بحجر أبي طالب والمرتضع در المعرفة خصوصاً مع ما يشاهد من الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته. نعم الضغائن والأحقاد حبذا لمن تخلق بها التردد في العمى والخبط في الضلال من دون روية أو تفكير ﴿أَسْتَحْوَذُ عَلَيْهِمُ الْشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَنِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَنِ هُمُ الْغَيْرُونَ﴾.

نعم كان أمير المؤمنين ع يقول غير مرة: «ما زلت مظلوماً»^(١) من دون تلك الزيادة يعني بذلك دفعه عن حقه

(١) الشافعي: للسيد المرتضى، ص ٢٠٣.

الواجب على الأمة القيام به والميل عنه وتعطيل أحكام الله بالأخذ من غيره وتقديم من ليس له قدم ثابت في كل مكرمة ولا نص من صاحب الشريعة ولا فقهه ناجع ولا إقدام في الحروب.

وحيث إن في هذه الكلمة حطاً بمن ناوأه زحزوها عنهم وألصقوها بذلك السيد الكريم وما أسرع أن عاد إليهم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.

الخلف عن عقيل

الخلف الصالح يخلد ذكر سلفه فلا يزال ذكره حياً بعمره الثاني من ذكر جميل وثناء جزيل وترحم متواصل واستغفار له منه ومن تعرف به وفي الحديث إن ابن آدم إذا مات انقطع عمله من الدنيا إلا من ثلات وعد منهن الولد الصالح ومن أجلى الواضحات أن هذا التذكير يختلف حسب تدرج الأولاد في المآثر فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد وكذلك الأسلاف فكلما كانوا من الشرف والسؤدد أقرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع.

إذاً فما ظنك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المبجل وقد خلفه «شهيد الكوفة» وولده الأطايib «شهداء الطف»^(١) الذين

(١) في كامل الزيارة ص ١٠٧ ، كان علي بن الحسين يميل إلى ولد عقيل فقيل له ما بالك تميل إلىبني عمك هؤلاء دون آل جعفر فقال عليه السلام إني لأذكر

لم يسبقهم ساًبق ولا يلحقهم لاحق فلو لم يكن لعقيل شيء من الخطر والعظمة لتسنم بهؤلاء الأكـارم أوج العـلـى والرـفـعة.

وكم أب قد عـلـا بـابـن ذـرـى شـرـف كـمـا عـلـا بـرسـول الله عـدـنـان

فـكـيـفـ بـه وـهـوـ مـنـ أـشـرـفـ عـنـصـرـ فـيـ عـالـمـ كـلـهـ؟ـ

ولـمـ يـزـلـ لـهـ ذـكـرـ خـالـدـ فـيـ أـحـفـادـ الـمـتـعـاقـبـيـنـ فـإـنـهـ بـيـنـ عـلـمـاءـ أـعـاظـمـ وـفـقـهـاءـ مـبـرـزـيـنـ وـشـعـرـاءـ وـمـحـدـثـيـنـ وـأـمـرـاءـ صـالـحـيـنـ وـنـسـابـيـنـ وـقـدـ اـنـتـشـرـوـاـ فـيـ مـصـرـ وـنـصـيـبـيـنـ وـالـيـمـنـ وـحـلـبـ وـبـيـرـوـتـ وـالـمـدـيـنـةـ وـالـكـوـفـةـ وـالـحـلـةـ وـطـبـرـسـتـانـ وـخـرـاسـانـ وـجـرـجـانـ وـكـرـمـانـ وـقـمـ وـأـصـفـهـانـ.

وـكـانـ القـاسـمـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـالـلـهـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـقـيلـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ فـاضـلـاـ تـقـيـاـ.

وـأـخـوـهـ عـقـيلـ جـلـيلـ ثـقـةـ ثـبـتـ صـاحـبـ حـدـيـثـ وـعـمـهـماـ عـقـيلـ بـنـ عـبـدـالـلـهـ كـانـ نـسـابـةـ مـشـجـرـاـ وـحـفـيـدـ عـقـيلـ هـذـاـ جـعـفـرـ بـنـ عـبـدـالـلـهـ الـأـصـفـهـانـيـ عـالـمـ نـسـابـةـ شـيـخـ شـبـلـ اـبـنـ تـكـيـنـ مـاتـ سـنـةـ ٣٣٤ـهــ.

وـمـحـمـدـ بـنـ مـسـلـمـ بـنـ عـقـيلـ بـنـ عـبـدـالـلـهـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـقـيلـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ يـعـرـفـ بـابـنـ الـمـزـيـنـةـ كـانـ أـمـيـرـ الـمـدـيـنـةـ قـتـلـهـ اـبـنـ أـبـيـ السـاجـ.

وابنه أبو القاسم أحمد بن محمد المذكور كان له أدب وفضل
مات سنة ٣٣٠ هجرية.

وكان في كربلا المشرفة بيت كبير وطائفة جليلة يعرفون بالعقيلين لهم أوقاف كثيرة وقد انقرضوا وبقي منهم رجل واحد.

الطيار

وأما جعفر بن أبي طالب فحسبه من العظمة شهادة الرسول الأقدس بأنه يشبهه خلقاً وخلقياً ذلك الخلق الكريم الموصوف في الذكر الحكيم بقوله عز شأنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾  وحيث لم ينص النبي ﷺ على صفة خاصة من أخلاقه فلا جرم من شمول تلك الكلمة الذهبية «أشبهت خلقي وخلقي» لجميع ما اتصف به الرسول حتى الطهارة من الرجس والآثم.

(١) انظر ذلك في عمدة الطالب: ص ٣٥ - ٣٦.

ولو تنازلنا عن القول بعموم التشبيه لهذه الخاصة فلا بد من القول بتحقق أظهر صفات المشبه به للمشبه ولا شك في أن ذلك المعنى أظهر ما في خلقه الكريم ﷺ.

وغير خافٍ أن هذه الكلمة قالها النبي لما تنازع عنده أمير المؤمنين وعمر بن أبي طالب وزيد بن حارثة في ابنة حمزة بن عبد المطلب وكان كل منهم ي يريد القيام بتربيتها.

وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من مكة بعد انقضاء الأجل بينه وبين أهل مكة في عمرة القضاء الواقعة في السنة السابعة للهجرة تبعته ابنة حمزة تقول يا عم خذني معك فأخذها أمير المؤمنين ودفعها إلى فاطمة ة ﷺ وفي المدينة جرى ذلك النزاع بينهم فقال رسول الله لزيد أنت أخوها ومولانا وقال لعمر أشبهت خلقي وخلقي وقال لأمير المؤمنين «أنت مني وأنا منك» ثم قضى بها للخالة وهي أسماء بنت عميس^(١).

هذا هو الحديث المذكور في الجوابع والنظرية الصادقة فيه تفينا معرفة السر في اختلاف خطاب النبي مع ابني عممه وكل منهم نصح له في التلبية على الدعوة الإلهية وأخلص في المفادة

(١) أخرج الحديث البخاري في صحيحه: ج ٣، ص ٥٠، في عمرة القضاء والحاكم في المستدرك: ج ٣، ص ٢٢٠، والحلبي في السيرة الحلبية: ج ٣، ص ٧٦، وابن دح LAN بهامشها: ج ٢، ص ٢٦١.

في سبيل تبليغ الرسالة خصوصاً مع معرفته بأساليب المحاورة لأنه سيد البلغاء «ولا ينطق عن الهوى» فلا جرم حينئذ من كون الوجه فيه هو الإشارة إلى صفة سامية تحلى بها أمير المؤمنين وتخلى عنها جعفر وليس هي إلا خلافة الله الكبرى فإن عليه عليه السلام حامل ما عند رسول الله الأعظم من علم متذفق وفقه ناجع وخبرة شاملة وتأمل فياض وخلق عظيم لا يستطيع البشر القيام به وهذا هو الذي تفيده المنزلة في قوله «أنت مني وأنا منك» بعد فرض المباينة بينهما في الحدود الشخصية والنبي لا ينطق ساهياً ولا لاهياً فلا بد أن يكون قاصداً تلك المنزلة الكبرى التي لم يحوها جعفر وإن بلغ في خدمة الدين كل مبلغ.

وهذا النزاع إنما هو في الحضانة التي هي سلطنة وولاية على تربية الطفل وإدارة شؤونه وقد كان لابنة حمزة يومئذ أربع سنين وهذا القضاء، كما يفيينا سقوط حضانة الأم إذا تزوجت، يفيدنا أولوية الخالة على العممة فإن عمتها صافية كانت موجودة يومئذ وأمها سلمى متزوجة بشداد بن الهادي الليبي حليفبني هاشم.

ويرشدنا طلب أمير المؤمنين الحضانة إلى أن أولوية الخالة على غيرها من الأقارب إنما هو عند المخاصمة وإلا فلم يخلف الحكم على سيد الوصيين وهو مستقى الأحكام وينبوعها وقد امترجت ذاته المقدسة بالمعارف الإلهية والأسرار الربوية واستمد من اللوح المحفوظ.

ولعل السر الدقيق في مخاصمته معهما تعريف الأمة مقامه الرفيع و منزلته الكبرى التي لا يدانيها كل أحد والواجب عليه بما أنه المنفذ الأكبر وإمام الأمة إرشادها إلى الطريق اللاتي ينادي بها نحو من أنحاء الكلام.

لقد كان جعفر ملازماً لصاحب الرسالة ملازمة الظل يرقب أفعاله وتروكه ويسمع تعاليمه وعظاته ويبصر أعماله وحكمه ويقتضي أثره منذ كان يصل جناح الرسول الأيسر في الصلاة بعد أمير المؤمنين و خديجة الكبرى.

وكانت قريش تخبط في غلواء جحودها وتغلي مراجل بغضائهما على الصادع بالدين الحنيف وعلى كل ذلك تمرنه التعاليم النبوية الخاصة به وتكهربه تهذيبات المشرع الأطهر ولا تدعه جاذبة الدعوة الإلهية يلوى يميناً وشمالاً.

ومن هنا ائتمنه صاحب الرسالة على نشر كلمة التوحيد وعلى ضعفاء المسلمين يوم بعثه إلى الحبشة في السنة الخامسة من الهجرة فأدى النصيحة ونهض بالدعوة حتى استعمال النجاشي إلى الإسلام فآمن غير أن منيته حالت دون أمنيته.

ولو لم يكن جعفر بتلك المنزلة الرفيعة لما تعاقبت مفاحرات أئمة الدين به كما افتخروا بعمه أسد الله وأسد رسوله في كثير من مفاحراتهم ففي احتجاج الطبرسي أن أمير المؤمنين احتج على

أهل الشورى بأن أخاه جعفر المزین بجناحين في الجنة يحل فيها حيث شاء فلم يرد عليه أحد بل قابلوه بالتسليم والقبول.

وفي نهج البلاغة في ما كتب به إلى معاوية: إن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلّ فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل له الطيار في الجنة وذو الجناحين.

فلو لم يكن كفاحه عن الدين عن بصيرة نافذة ويقين ثابت لما افتخر به المعصومون والعارفون بمال العباد حتى جعلوا مواقفه في الدين ذريعة إلى التوصل إلى مطلوبهم.

ولحزمه الثابت وموافقه المحمودة وإصابته في الرأي وقديم إيمانه أمره النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في غزوة مؤتة على المسلمين ولم يجعل عليه أميراً فإذا قتل فالامير زيد بن حارثة فإن قتل فالامير عبدالله بن رواحة^(١) فما ذهب إليه فريق من المؤرخين من تقديم زيد وابن رواحة عليه يدفعه صحيح الأثر والاعتبار الصادق.

وهذه العظمة هي التي تركت قدومه من الحبشة يوم فتح خير أعظم موهبة منح الله تعالى بها نبيه تعادل ذلك الفتح المبين حتى قال صلوات الله عليه وآله وسلامه (ما أدرى بأيهما أسر بقدوم جعفر أم بفتح خير)، ثم قال له ألا أحبوك ألا أمنحك فظن الناس أنه يعطيه ذهباً وفضة لما

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص وإعلام الورى: ص ٦٤، ومناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ١٤٣.

فتح الله عليه من خيبر فقال له جعفر بلى يا رسول الله فعلمه صلاة التسبيح وهي المعروفة بصلوة جعفر^(١).

وهذه الحبوبة من الرسول الكريم لابن عمّه حيث علم أن من فرط قداسته لا يروقه إلا ما كان من عالم القدس فخلع عليه بها وجعله وسام شرف له وهي من المتواترات بين العامة والخاصة كما نص عليه المجلسي في البحار.

ولكن شرذمة من مناوئي أهل البيت لم يرق لهم ثبوت تلك المنحة لأنّي أمير المؤمنين وحيث لم يسعهم أن يلصقونها بواحد منهم زحزحوها إلى العباس بن عبد المطلب كما في شفاء السقام للسيد جعفر الكتاني، ص ٢٠.

وقد كشفت الحقيقة عن نفسها وأماطت ستار التمويه بافتعال هذه النسبة من عكرمة مولى ابن عباس الكذاب بنص الذهبي في الميزان وياقوت في المعجم وابن خلkan في الوفيات بترجمته.

(١) انظر الكافي والهدایة للصدق وجمال الأسبوع ودعوات الراوندي وأربعين الشهید.

٨٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

إِخْوَتَه

إن حاجة الباحث في تاريخ أبي الفضل عَلَيْهِ السَّلَامُ ماسة إلى معرفة إخوته الأكابر لمناسبات هناك فإن منهم من يعد قربه منه فضيلة رابية وشرفاً باذخاً فضلاً عن الإخوة وهم الإمامان على الأمة إن قاما وإن قعوا^(١).

وإذا كانت بنوتهما لأمير المؤمنين معدودة من فضائله مع ما له من الفضائل التي لا يأتي عليها الحصر كما يظهر من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الشورى: «أَنْشَدْكُمْ بِاللَّهِ هُلْ فِيْكُمْ أَحَدْ لَهُ مِثْلُ الْحَسْنَى وَالْحَسْنَى ابْنَى رَسُولُ اللَّهِ وَسَيِّدِي شَبَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ غَيْرِيْ قَالُوا لَا»^(٢). كما أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ افتخر بهما يوم كتب إليه معاوية إن لي

(١) كشف الغمة: ص ١٥٩، ومراد النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الإمامة التي هي المنصب الإلهي لا تزول عنهم مع القعود عن الحرب والنهوض إلى الجهاد فكل من الإمامين إنما قام بما يقتضيه صلاحه من دون أن يدنو إلى أي منهما لائمة ومراوه من القاعد هو الإمام المجتبى ومن القائم الشهيد والشنبية في الفعلين للتغلب.

(٢) خصال الصدوق وأمالي الشيخ الطوسي واحتجاج الطبرسي وإرشاد القلوب.

فضائل كان أبي سيداً في الجاهلية وصربت ملكاً في الإسلام وأنا
صهر رسول الله وحال المؤمنين وكاتب الوحي فكتب إليه أمير
المؤمنين أبياتاً سبعة ذكر فيها مصايرته من رسول الله وأن عمه
سيد الشهداء وأخاه الطيار مع الملائكة في الجنان وسبقه إلى
الإسلام وأخذ البيعة له (يوم الغدير) وأن ولديه سبطاً رسول
الله عليه السلام (١).

وحينئذ فأخوه العباس لهما أولى أن تعدّ من مآثره وفضائله
أضف إلى ذلك ما استفاده منهما من العلوم والمعارف الإلهية.
ومنهم من يجمعه وإياه جامع العقب فإن المعقبين من أولاد أمير
المؤمنين الإمامان والعباس ومحمد بن الحنفية وعمر الأطرف.
ومنهم من شاركه في موقف الطف.

ومنهم من يعد هو وإياه تحت جامع الأمومة.

ومنهم من شاركه في الاسم.

وعليه فأولاد أمير المؤمنين الذكور ستة عشر
الحسن والحسين والمحسن - أمهم سيدة نساء العالمين
محمد بن الحنفية - أمه خولة

(١) ذكر العالمة الأميني في الغدير: ج ٢، ص ٢٤، الشعر وأشار إلى من ذكره
من العلماء.

العباس وعبدالله وجعفر وعثمان - أمهم أم البنين
 عمر الأطرف والعباس الأصغر - أمهما الصهباء
 محمد الأصغر - أمه امامه بنت أبي العاص .
 يحيى وعون - أمهما أسماء بنت عميس
 عبدالله وأبو بكر - أمهما ليلى بنت مسعود
 محمد الأوسط - أمه أم ولد^(١) .

أما الإمامان فالآخرى أن نجعجع اليراع عن التبسط في
 فضلهما و موقفهما من القدسية و محلهما من الزلفى وما أُوتيا من
 حول و طول والبسطة في العلم فإن الوقوف على كنه ذلك فوق
 مرتكز العقول .

وأما المحسن بتشديد السين كما في تاج العروس بمادة شبر
 والإصابة بترجمته وضم الميم وسكون الحاء كما في حاشية السيد
 محمد الحنفي على شرح ابن حجر لھمزية البویصري ، ص ٢٥١ .
 فعند الإمامية أن النبي ﷺ سماه باسم ابن هارون مشبّر
 كمحدث كما في القاموس وغيره وكان حملاً وبعد وفاته أسقطته
 فاطمة الزهراء لستة أشهر والروايات التي ذكرها ابن طاووس في
 (الطرف) وغيره في غيرها تساعدهم .

(١) ذكر هذا العدد عدا العباس الأصغر ابن جرير في التاريخ : ج ٦ ، ص ٨٩ .

ابن الحنفية

وأما محمد الأكبر الذي يجمعه وإياه جامع العقب فيكتنى بابن الحنفية وهي أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني الذئل بن حنيفة ابن لجيم وأمها بنت عمرو بن أرقم الحنفي .

واختلف في أمرها أنها سبية أيام رسول الله صلوات الله عليه وسلم لما بعث عليها إلى اليمن فأصاب خولة فيبني زبيد وقد ارتدوا مع عمرو بن معد يكرب وكانت زبيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم .

وقيل إن خالد بن الوليد قاتل أهلها أيام أبي بكر فسباهم فهيا من جملة السبايا فدفعها أبو بكر من سهمه في المغنم .

وقيل إن بني أسد أغارت على بني حنيفة أيام أبي بكر فسبوا خولة وباعوها من علي عليه السلام فبلغ قومها خبرها فجاؤوا إلى علي عليه السلام فعرفوه أنها ابنتهم فأعتقها وأمهرها وتزوجها ^(١) .

وقيل إنها سببت أيام أبي بكر فاشترتها أسامة بن زيد وباعها من علي عليه السلام .

وفي حديث أسماء بنت عميس أن أمير المؤمنين عليه السلام اشتراها من سوق ذي المجاز أوان مقدمه من اليمن فوهبها فاطمة عليها السلام فباعتها من مكمل الغفاري فولدت منه عونة ثم باعها من علي عليه السلام .

(١) شرح النهج الحديدي : ج ١ ، ص ٨١ .

ويحكى ابن خلkan في الوفيات قوله إنها سندية أمة لبني حنيفة سوداء وحكاه الشيخ الجليل ابن إدريس الحلبي في مزار السرائر عن ابن حبيب النسابة وقال إنه جهل منه وقلة تأمل.

ويروي القطب الرواوندي في الخرائج أنها سبیت أيام أبي بکر وأن الزبیر وطلحة طرحا عليهما ثوبیهما طلباً للاختصاص بها فصاحت لا يملکني إلا من يخبرني بالرؤيا التي رأتها أمي وعن اللوح الذي كتبت فيه الرؤيا وما قالته لي فعجزوا عن معرفته إلا أمير المؤمنین حيث أوضح لها في ملأ من المسلمين أمراً غیبیاً عجب منه الحاضرون فعندھا قالت من أجلک سبینا ولحبک أصابنا ما أصابنا .

ولم يعبأ السيد المرتضى في (الشافى) بجميع ذلك فقال لم
تكن الحنفية سبية على الحقيقة ولم يستبّحها أمير المؤمنين بالسبى
لأنها بالإسلام صارت حرة مالكة أمرها فأخرجها من يد من
استرقّها ثم عقد عليها عقد النكاح.

وما ذكره هو الصحيح المقبول فإن الردة المزعومة لا توجب
أحكام الكفر ومنع الزكاة وأمثالها على التأويل فليس فيه خروج
عن ربوة الإسلام.

وأما ولادة محمد فقيل إنها أيام أبي بكر وقيل أيام عمر
وخصصها ابن خلkan بأول المحرم لستين بقىتا من خلافة عمر وإذا
علمنا أن عمر مات سنة ثلث وعشرين كانت ولادته سنة إحدى

وعشرين وأما على رأي ابن كثير في البداية ج ٩، ص ٣٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة من وفاته سنة إحدى وثمانين عن خمس وستين فتكون ولادته سنة ستة عشر للهجرة.

وأما قبره فعند ابن قتيبة في المعرف، ص ٩٥، بالطائف وفي تذكرة الخواص بأيلة مدينة مما يلي الشام وفي حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٧٣، وتهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٥٥ بالمدينة المنورة وعيته ابن كثير بالبقيع وفي معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٧ أن أهل جزيرة خارك التي هي في وسط البحر الفارسي يزعمون أن بها قبر محمد بن الحنفية يقول الحموي وقد زرت هذا القبر فيها ولكن التواريخ تأباه.

واعتقاد الكيسانية حياته في جبل رضوى يأتيه رزقه وله عودة من الخرافات لاتفاق على موته.

وإن كلمة الإمام الحسن السبط تدلنا على فضله الشامخ وورعه الثابت ونراحته عن كل دنس ومعرفته بالإمام الواجب اتباعه قال الشيخ الجليل الطبرسي من أعلام القرن السادس في (إعلام الورى):

أرسل الحسن بن أمير المؤمنين قنبراً خلف محمد بن الحنفية فلما مثل بين يديه قال له: اجلس فليس يغيب مثلك عن كلام يحيى به الأموات ويموت به الأحياء.

كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى فإن ضوء النهار بعضه
أضوا من بعض أما علمت أن الله عز وجل جعل ولد ابراهيم عليه السلام
أئمة وفضل بعضهم على بعض وآتى داود زبوراً وقد علمت بما
استأثر الله تعالى به محمداً صلوات الله عليه وآله وسالم.

يا محمد بن علي لا أخاف عليك الحسد وإنما وصف الله به
الكافرين فقال تعالى ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا ثَبَّتَ
أَهُمُ الْحَقُّ﴾ ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً.

يا محمد بن علي ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك قال
بلى فقال سمعت أباك يقول يوم البصرة من أحب أن يبرّني في
الدنيا والآخرة فليبرّ محمداً.

يا محمد بن علي لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر
أبيك لأنّه أخبرتك.

يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة
نفسه ومقارقة روحه جسمي إمام من بعدي عند الله في الكتاب
الماضي ووراثة النبي صلوات الله عليه وآله وسالم أصابها في وراثة أبيه وأمه علم الله أنكم
خير خلقه فاصطفى محمد صلوات الله عليه وآله وسالم علياً واختارني علي للإمامية
واخترت أنا الحسين.

قال له محمد بن علي أنت إمامي وأنت وسليتي إلى محمد
والله لوددت أنّ نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام ألا

وإن في نفسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيره الرياح كالكتاب المعجم في الرق المنمنم أهمّ بإبادائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل وما جاءت به الرسل وإنه لكلام يكلّ به لسان الناطق ويد الكاتب ولا يبلغ فضلك وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلا بالله.

إن الحسين أعلمنا علمًا وأثقلنا حلماً وأقربنا من رسول الله رحمةً كان إماماً فقيهاً قبل أن يخلق وقرأ الوحي قبل أن ينطق ولو علم الله أن أحداً خيراً منا ما اصطفى محمداً فلما اختار الله محمداً واختار محمد علياً واختارك علي واختارت الحسين بعدها سلمنا ورضينا بمن هو الرضا وبه نسلم المشكلات.

وهذه الوصية تفيدنا عظمة ابن الحنفية من ناحية الإيمان وأنه من عياب العلم ومناجم التقى فأي رجل يشهد له إمام وقته بأن الله لم يجعل للشيطان عليه سلطاناً وأنه لا يخشى عليه من ناحية الحسد الذي لا يخلو منه أو من شيء من موجباته أي أحد لم يبلغ درجة الكمال ثم أي رجل أناط أمير المؤمنين البر به بالبر بنفسه التي يجب على كافة المؤمنين أن يبروا بها.

على أن الظاهر من قول المجتبى (أما علمت أن الحسين) هو أن علم محمد بالإمامية لم يكن بمحض النص المتأخر وإن أكده ذلك وإنما هو بعلم مخصوص برجالات بيت الوحي مكتنون

عندهم بالإحاطة بالكتاب الماضي والقدر الجاري ويرشدنا إلى هذا قول ابن الحنفية (إن في رأسي) إلخ فإنه أظهر من سابقه في ما قلنا وكلماته الذهبية في الاعتراف بحق الإمامين تدلنا على ثباته المستقى من عين صافية بأرشية من الحق وما هي إلا ذلك اللوح المحفوظ .

أضف إلى ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله : (تأبى المحامدة أن يعصى الله وهم محمد بن الحنفية و محمد بن جعفر الطيار و محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان)^(١) وهذه شهادة من سيد الأوصياء في

(١) رجال الكشي : ص ٤٧ ، وفيه أن محمد بن أبي حذيفة كان من أنصار علي وخيار الشيعة وبعد شهادة علي حبسه معاوية دهراً حيث لم يتبرأ من المسايعة لعلي وولده وبعد أن أخرجه حمله على البراءة منه والموالاة لعثمان فقال له إني لا أعلم أحداً شرك في دم عثمان غيرك حيث استعملك وخالف المسلمين في رأيهم عليه بعزلك حتى جرى عليه ما كان وإن طلحة والزبير وعائشة هم الذين ألبوا عليه وشهدوا عليه بالجريمة وإننيأشهد أنك منذ عرفت في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد ما زاد الإسلام فيك شيئاً وعلامته أنك تلومني على حبي لعلي وقد خرج معه كل صوام قوام من المهاجرين والأنصار كما خرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت ولا خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلوا أنفسهم سخط الله بطاعتكم وإنني لا أزال أحب علياً للله ولرسوله وأبغضك في الله ورسوله أبداً ما بقيت ثم رده إلى السجن فمات فيه .

حق ولده الكريم محمد قد أخذت مأخذها من الفضيلة وأحالت
محمدًا المُحل الأرفع من الدين وأقلته سُنَّام العز في مستوى
الإيمان .

وإن شهادة أمير المؤمنين بأنه ممن يأبى أن يعصي الله تعرفنا
عدم ادعائه الإمامة لنفسه بعد الحسين فإن تسليمه الإمامة للسجاد
لا يختلف فيه اثنان واستدعاوه الإمام للمحاكمة عند الحجر
الأسود من أكبر الشواهد على تفنته في تنبيه الناس لمن يجب
عليهم الانقياد له .

وعدم حضوره مشهد الطف إما لما يقوله العلامة الحلبي في
أجوبة المسائل المهنائية من المرض أو لما يروي محمد بن أبي
طالب في المقتل من إذن الحسين له في البقاء بالمدينة يعرفه بما
يحدث هناك فهو معدور مقبول .

ولبسالته المعلومة و موقفه من الحق أنزله أبوه يوم (الجمل)
منزلة يده فكان يخوض الغمرات أمامه ويمضي عند مشتبك
الحرب قدمًا وكان يقول له عند أمره لمنازلة الأقران دون الإمامين
إنهما عيناي وأنت يدي أفلأ أدفع بيدي عن عيني .

وناهيك من بлагته المزيجة بالشجاعة خطبته يوم صفين وقد
برز بين الصفين فأومى إلى عسكر معاوية وقال :
يا أهل الشام احسأوا يا ذرية النفاق وحشو النار وحصب

جهنم إلى آخر كلامه المروي في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٦٧ . ومناقب الخوارزمي ص ١٣٤ ، فكان لهذه الخطبة البلية موقع تام في ذلك الجيش اللجب والجمع المتكاثف ولم يبق في الفريقين إلا من اعترف بفضله .

الأطرف

وأما عمر الأطرف فكما شاركه في العقب وقع الخلاف من أهل النسب في أيهما أسبق في الولادة فالذى عليه ابن شهاب العكبري وأبو الحسن الأشنائي وابن جداع تقدم ولادة عمر وعندشيخ الشرف العبيدي والبغدادي وأبي الغنائم العمري تقدم ولادة العباس عليه السلام^(١) .

ولا يمكننا الحكم بشيء بعد جهالة السنة التي توفي فيها وذكرها على الإجمال في زمن عبد الملك أو ابنه الوليد لا يعني وإن عرفوا مقدار عمره بخمس وثمانين أو خمس وسبعين .

نعم يظهر من المؤرخين عند ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام أن العباس أكبر منه لأنهم يقدموه ذكر العباس وإخوته على عمر . على أن الداودي في العمدة ص ٣٥٤ يقول كان عمر آخر من ولد من بني علي عليه السلام .

(١) عمدة الطالب : ص ٣٥٠ .

وعلى كل حال فالوجه في تسميته بالأطرف إنما هو بعد ولادة عمر الأشرف بن الإمام السجاد عليه السلام أخو زيد الشهيد لأمه فإنه سمي بالأشرف لجمعه الفضيلة من ولادة علي وفاطمة عليهما السلام والأطرف حاز الفضل من طرف أبيه ^(١).

ولم يحضر مع الحسين في الطف ولا مع مصعب بن الزبير وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطف كما أخطأ الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٩٧ ، في عده من جملة من قتل مع مصعب في الحرب القائمة بينه وبين المختار وأغرب منه عد اليافعي له في مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، في جملة المقتولين مع المختار لأن المشهور بين المؤرخين بقاوئه إلى بعد الحسين حتى نازع السجاد في الصدقات وما لا عبد الملك فلم ينجح كما نازع الحسن المثنى فيها عند الحجاج فطرده عبد الملك عنها ^(٢).

ويروي السيد ابن طاووس أنه أشار على الحسين بالبيعة ليزيد فقال له إن أبي حدثني عن رسول الله بقتله وقتلي وإن تربتي إلى جنب تربته أتظن أنك تعلم ما لم أعلمه فوالله لا أعطي الدنيا من نفسي ^(٣).

(١) المصدر: ص ٢٩٨.

(٢) البحار: ج ٩ ، عند ذكر أولاد علي عليه السلام وعمدة الطالب عند ذكر الحسن المثنى.

(٣) اللهوف: ص ١٥ صيدا.

وَلَا أَعْلَمُ السَّبِبَ فِي تَأْخِرِهِ عَنِ الْطَّفِ وَالظُّنُنِ لَا يَغْنِي عَنِ الْحَقِّ شَيْئًا وَلِيُسْ لَنَا إِلَّا التَّسْلِيمُ مَا لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ عَلَىِ الْمُعَانَدَةِ وَالْمُخَالَفَةِ خَصْوَصًا بَعْدَمَا جَاءَ الْحَدِيثُ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهِ لَا يَخْرُجُ أَحَدُنَا مِنَ الدِّينِ حَتَّىٰ يَقِرُّ لِكُلِّ ذِي فَضْلِهِ وَلَوْ بِفَوْاقِ نَاقَةٍ فَإِنَّهُ صَرِيحٌ فِي تُوبَةِ مَنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الْخَلَافُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمُمَاتِ وَلَا إِشْكَالٌ فِي أَنَّ التُّوبَةَ مُكْفَرَةٌ لِمَا صَدَرَ مِنَ الْعُصَيَانِ كَمَا فِي صَرِيحِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ الَّتِي تَوْجِبُ الْقُطْعَ بِمُضِمُونِهَا فَالْتَّهْجُمُ عَلَىِ آلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَجْرِدِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَا يَعْرِفُ مَأْخُذَهَا خَرْوَجٌ عَنْ طَرِيقَةِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ .

وَأَمَّا عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ النَّهَشْلِيَّةِ فَلَمْ يَحْضُرِ الْطَّفُ وَجَاءَ إِلَىِ الْمُخْتَارِ يَطْلُبُ الرِّفْدَ فَلَمْ يَصْلِهِ فَالْتَّحَقَ بِمَصْعَبٍ وَجَاءَ مَعَهُ فَلَمَا وَصَلَ الْمَذَارُ مِنْ سَوَادِ الْبَصْرَةِ وَجَدَ فِي فَسْطَاطِهِ مَذْبُوْحًا وَلَمْ يَعْلَمْ قَاتِلَهُ^(١) .

وَالْمُشَارِكُ مَعَهُ فِي يَوْمِ الْطَّفِ أَبُو بَكْرٍ وَأَمَّهُ لَيْلَى بْنَتِ مُسْعُودَ النَّهَشْلِيَّةَ قَالَ أَبْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْأَثِيرِ شَكٌ فِي قَتْلِهِ وَفِي نَفْسِ الْمُهْمُومِ، ص ١٧٣، وَجَدَ فِي سَاقِيَةٍ قَتِيْلًا لَا يَعْلَمُ قَاتِلَهُ .

وَكَانَهُ لَمَّا حَمَلَ آلَ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ

(١) كِتَابُ زَيْدِ الشَّهِيدِ: ص ٨٨ .

عقيل حملة واحدة فصاح بهم الحسين صبراً على الموت يابني عمومتي فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً .

سقط فيهم عون بن الطيار وأخوه محمد وعبد الرحمن بن عقيل وأخوه جعفر ومحمد بن مسلم بن عقيل وأبو بكر هذا فلذلك لم يعرف قاتله .

ومحمد الأوسط وأمه أم ولد قتله رجل من بني أبان بن دارم واحتر رأسه^(١) .

وعبد الله المولود سنة ٣٦ وجعفر المولود سنة ٣٢ وعثمان المولود سنة ٤٠هـ^(٢) . فقتل هاني بن ثبيت الحضرمي عبد الله وجعفراً ورمي خولي بن يزيد الأصبهي عثمان واحتر رأسه رجل من بني أبان بن دارم^(٣) . وهؤلاء جمعهم وإياده الأئمة أيضاً .

والمشارك له في الاسم عباس الأصغر نص عليه النسابة السيد محمد كاظم اليماني في النفحة العنبرية قال وكان شقيقاً لعمر الأطرف وفي ناسخ التواريخ ذكر العباس الشهيد والعباس الأصغر ويفيده أن النسابة العمري في المجدى وابن شهر آشوب في المناقب والشبلنجي في نور الأ بصار والمحب الطبرى في

(١) ابن الأثير: ج ٤، ص ٣١.

(٢) المجدى للنسابة العمري.

(٣) ابن الأثير: ج ٤، ص ٣١.

ذخائر العقبى وصفوا الشهيد بالعباس الأكابر وهذا التعبير في عرف النسبين يقع لمن يكون له أخ أصغر منه شاركه في الاسم لا في من هو أكبر إخوته مطلقاً ولو لم يشاركه في الاسم والظاهر أن العباس الأصغر درج في أيام أبيه لأنه ليس له ذكر في الوارثين لأمير المؤمنين من ولده .

أخواته

كانت أخوات العباس من أبيه ثمان عشرة^(١) فمنهن من توفيت أيام أبيهن كزينب الصغرى وجمانة وأماماة وأم سلمة ورملة الصغرى^(٢). ومنهن من لم يذكر خروجهن إلى أزواج واللواتي خرجن إلى أزواج ، فالعقيلة زينب الكبرى كانت عند عبدالله بن جعفر الطيار فولدت له جعفراً الأكبر وعباساً وعلياً المعروف بالزينبي وعوناً الأكبر قتل يوم الطف في حملة آل أبي طالب وأم كلثوم وهي التي زوجها الحسين من ابن عمها القاسم بن محمد بن الطيار وأنحلها البغيغات^(٣) ورقية عند ابن عمها الشهيد مسلم بن عقيل ولدت له عبدالله وعلياً ومحمدًا ، وفي العمدة تزوج مسلم أم كلثوم بنت علي^{عليه السلام} فولدت له حميدة تزوجها الفقيه الجليل عبدالله ابن محمد بن عقيل بن أبي طالب أولدها محمدًا منه العقب .

(١) الطبرى: ج ٦ ، ص ٨٩ .

(٢) مناقب السروي: ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٣) المصدر: ص ١٧١ .

ولا يتم هذا إلا بعد وفاة إحداهما إذ لا يجوز الجمع بين الأختين.

وكانت فاطمة عند أبي سعيد بن عقيل ولدت له حميدة وخدية
- كانت عند عبد الرحمن بن عقيل ولدت له سعيداً، وأم هاني
تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل ولدت له عبد الرحمن ومحمدًا.

وأم الحسن خرجت إلى جعدة بن هبيرة المخزومي.

وأمامة كانت عند الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن
عبد المطلب ولدت له نفيسة^(١).

العقيلة

وكيف ما كان فالهمم في هذا العنوان النظر في العقيلة
الكبرى التي هي أعظمهن قدرًا وأجلهن شأنًا فإنها شظية من
شظايا النبوة وفلذة من أفلاذ الإمامة وهي الجوهرة الفردية التي
ضمها إليه صدف القداسة (الزهراء الطاهرة عليها السلام) وأنجب بها سيد
الأوصياء.

بجلال أحمد في مهابة حيدر قد أنجبت أم الأئمة زينب
فكانت شريكة الإمامين سيدي شباب أهل الجنة في ذلك

(١) إعلام الورى والمجدي و المعارف القتبية.

المرتكض الطاهر والحجر الزاكي والصلب القادر واللبن
الساغن والتربيه الإلهية.

أضف إلى ذلك العلم المتدايق والفقه الناجع وقد شهد لها ابن أخيها السجاد عليه السلام (بأنها عالمة غير معلمة وفاهمة غير مفهمة)^(١) وحسبها من الخطر أن ما انحنت عليه الأضالع هو ذلك العلم المفاض عليها من ساحة القدس الإلهي لا بإرشاد معلم أو تلقين مرشد مع البلاغة في المنطق والبراعة في الإفاضة لأنها تفرغ عن لسان أيها الوصي :

وعن الوصي بلاغة خصت بها أعيت برونقها البليغ الأخطبها
ما استرسلت إلا وتحسب أنها
أو أنها اليزني في يد باسل
أو أنها تقتاد منها فيلقاً
أو أن في غاب الإمامة لبوة
أو أنها البحر الخضم تلاطمها
أو أن من غضب الإله صواعقاً
أو أن حيدرة على صهواتها
أو أنه ضمته ذروة منبر

(١) احتجاج الطبرسي : ص ١٦٦ ، طبع النجف والطراز المذهب والكريت الأحمر : ص ١٧ ، ج ٢.

أو أن في اللاؤى عقيلة هاشم قد فرقت شمل العمى أيدي سبا^(١)

ولم تكن هذه البراعة والاسترسال في القول إلا عما انطبع فيها من النفسيات القوية والملكات الفاضلة ممتزجة بثبات جأش وطمأنينة نفس وشجاعة إن شئت فسمّها بالأديبة وإن فهي فوق ذلك، وكانت تلقي خواطراها بين تلك المحتشدات الرهيبة أو فقل بين الناب والمخلب غير متعدعة ولا متلعة وتقذفها كالصواعق على مجتمع خصومها فكانت أعمالها وخطبها الجزء الأخير للعلة من نهضة السبط الشهيد وأصبحت تمام الفضيحة للأمويين بما نشرته بين الملاء من صحيفتهم السوداء حتى ضعضعت عرش دولتهم وفككت عرى سلطانهم وألصقت بهم العار من كل النواحي فكانت شريكة الإمام الشهيد في هذه الفضيلة.

وتشاطرت هي والحسين بدعة حتم القضاء عليهما أن يندبها هذا بمشتبك النصول وهذه في حيث معتنك المكاره في السبا وهذه النفسيّة التي حوتها والثبات الذي انطوت عليه أضالعها أوجب لأخيها الشهيد أن يصبحها في سفره إلى مشهد الطف علماً منه بلياقتها لتلقي الأسرار كما هي وأدائها في مورد الأداء كما يجب، وهذا هو الذي أهلها لتحمل شطراً مما يحمله الإمام بعد

(١) من قصيدة للعلامة ميرزا محمد علي الأوردي طبعت في كتاب (زينب الكبرى).

حادثة الطف حفظاً للسجاد عن عادية الأعداء فكان يرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعية وإن كان المرجع إليها زين العباد عليه السلام .

ففي الحديث عن أحمد بن إبراهيم قال دخلت على حكيمه بنت الجواد عليه السلام أخت أبي الحسن الهادي فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمّت من تأتم بهم عليه السلام ثم قالت والحجّة بن الحسن بن علي فسمّته قلت لها جعلني الله فداك معاينةً أو خبراً قالت خبر عن أبي محمد الحسن بن علي كتب به إلى أمه فقلت لها فأين الولد قالت مستور قلت إلى من تفزع الشيعة قالت إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام فقلت لها أقتدي بمن وصيته إلى امرأة فقالت اقتداءً بالحسين بن علي فإنه أوصى إلى أخته زينب بنت علي في الظاهر فكان ما يخرج من علي بن الحسين من علم ينسب إليها ستراً على علي بن الحسين عليه السلام ^(١) .

وللبيتين الثابت والبصيرة النافذة لم تكترث بشيء من الأهوال ولا راعها الدهاوز منذ مشهد الطف إلى حين وصولها المدينة وكان بمنظر منها مصارع آل الله نجوم الأرض من آل عبد المطلب وبينهم سيد شباب أهل الجنة بحالة تنفطر لها السموات وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً .

وليس معها من حماتها حمي ولا من رجالها ولني غير الإمام

(١) إكمال الدين للصدوق: ص ٢٧٥ ، والغيبة للشيخ الطوسي: ص ١٤٨ .

المضنى الذي أنهكته العلل ، ونسوة في الأسر مكتنفة بها بين شاكية وباكية و طفل كضّه العطش إلى أخرى ألقها الوجل .

وأمامهما الجيش الفاتح الجذل بسكرة الظفر وبشر الشماتة ودعة السلام والفرح بالغنية ومخيم آل بيت الله طنبت عليه الكوارث والمحن ، فقد الحماة والخوف من الأعداء ، والأوام المبرح ، ونحيب ونشيغ ، وصراخ وعولة .

والعقيلة في كل هذه الأحوال هي المهدئة لفورتهن والمسكنة لروعتهن فلم يشاهد منها عزم خائر ولا جأش مائر ولا صرخة عالية ولا ذهول عن أمر الحُرم .

كيف لا ، وهي بقية أمير المؤمنين ونائبة الحسين على تلكم الأحوال والناهضة الكريمة إلى مغزى أخيها والمتممة لقصده الراقي وأمره الرشيد .

نعم أهمها من بين ذلك شيء رأته نظرت إلى ابن أخيها السجاد يجود بنفسه حينما شاهد تلك الجثث الزواكي تصرهرا الشمس فعظم عليها أمر الإمام فأخذت تصبره وتسليه وهو الذي لا توازن بصبره الجبال وفي ما قالت له : (ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك وعمك ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السموات إنهم يجمعون هذه

الأعضاء المتفرة والجسوم المضروجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً^(١).

وهل بعد هذا يبقى مجال للشك في موقفها من الثبات ومحلها من الطمأنينة ومبئتها من العظمة.

وإن حديث الرواية لما وقفت على جسد أخيها وقالت (اللهم تقبل منا هذا القرابان)^(٢). يدلنا على تبؤتها عرش الجلالة وأنها المأخوذ عليها الميثاق بتلك النهضة المقدسة ك أخيها الحسين وإن كان التفاوت محفوظاً بينهما حتى إن أحدهما لما أتم النهوض بالعهد وخرج عن العهدة بإزهاق نفسه المطهرة نهض الآخر بما وجب عليه ومنه تقديم (الذبيح) إلى ساحة الجلال الربوبي والتعريف به ثم طفت سلام الله عليها ناهضة ببقية الشؤون التي وجبت عليها ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النور وتفرد العنصر.

ثم هلم معى لنقرأ موقفها أمام ابن مرجانة وقد احتشد المجلس بوجوه الكوفة وأشرافها وهي امرأة عزلاء ليس معها إلا مريض يعاني ألم القيود ونساء ولهى وصبية تئن فأفرغت عن لسان

(١) كامل الزيارة.

(٢) الكبريت الأحمر: ج ٣، ص ١٧، عن الطراز المذهب.

أبيها بكلام أنفذ من السهم وأحد من شبا السيف وألقت ابن مرجانة حجراً إذ قالت له (هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل وسيجتمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك أمك يابن مرجانة).

وأوضحت للملا المتعاير خبته ولؤمه وأنه لن ير حض عنه عارها وشمارها كما أنها أدهشت العقول وحيرت الفكر في خطبتها بالكناس والناس يومئذ حيارى يبكون لا يدركون ما يصنعون وأنى ير حض عنهم العار بقتلهم سلليل النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفة وباؤوا بغضب من الله وخزي في الآخرة ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون.

كما أنها أظهرت أمام ابن ميسون أسرار نهضة أخيها الحسين وعرّفت الأمة طغيان يزيد وضلالة أبيه وفطاعة أعمالهم وعظيم ما اقترفوه وفي ما قالت له «أظنت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأساري أنّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، إلى آخر كلامها»^(١).

ولهذه النكتة الدقيقة جاء بها شهيد العز والإباء إلى العراق

(١) رواها أحمد بن أبي طاهر طيفور من أعلام القرن الثالث في بلاغات النساء، ص ٢١، النجف، والخوارزمي في المقتل مخطوط والطبرسي في الاحتجاج والصدق في الأموال.

لعلمه أن الغاية التي يضحي نفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الغاشمة وتبقى الحقيقة مستوررة على السدج لو لم يتعقبها لسان ذرب وأن كل أحد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي تحفه سيوف الظلم أن يتكلم بالحقيقة مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلا العقيلة فإنها التي تعلن بمواقتات ابن مرجانة وابن معاوية وإن ما جرى على ابن عفيف الأزدي شاهد له.

كما أنه ﷺ كان على يقين وثقة بإخبار جده الرسول ﷺ أن القوم وإن بلغوا الخسارة والغواية وتناهوا في الخروج عن سبيل الحمية لا يمدون إلى النساء يد السوء وقد أنبأ سلام الله عليه عن هذا بقوله لهم ساعة الوداع «البسوا أزركم واستعدوا للبلاء واعلموا أن الله حاميكم وحافظكم وسينجحكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب أعداكم بأنواع العذاب ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشکوا ولا تقولوا بأسنتكم ما ينقص من قدركم»^(١).

فكان في مجيء الحسين بالعقيلة فوائد أهمها تنزيه دين النبي ﷺ عما أقصوه بساحته من الأباطيل ولا قبح فيه عقلاً كما لا يستهجن العرف ويساعد عليه الشرع.

والمرأة وإن وضع الله عنها الجهاد ومكافحة الأعداء وأمرها

(١) جلاء العيون للمجلسي.

سبحانه أن تقر في بيتها فذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع عن قدس الشريعة غيرها من الرجال وأما إذا توقف إقامة الحق ونصرة الدين عليها فقط كان الواجب النهوض بعبء ذلك كله كي لا تندرس آثار الحق وتذهب تضحية أولئك الصفوة دونه أدراج التمويهات ولذلك نهضت سيدة نساء العالمين للدفاع عن خلافة الله الكبرى حين أخذ العهد على سيد الأوصياء بالسكت.

على أن الخضوع لناموس عصمة الإمام في جميع أقواله وأفعاله الصادرة عنه طيلة حياته يحتم علينا الإذعان بأن ما صدر منه منبعث عن حكم إلهي قرأه في الصحيفة الخاصة به التي يخبر الصادق عليه السلام عنها «إن لكل واحد منا صحيفة يعمل بما فيها» ويقول الإمام الباقر فبتقدم علم من رسول الله قام علي والحسين وبعلم صمت من صمتانا كما أنه عليه السلام أعلم بذلك جابر الأنصاري حين قال له ألا تصالح كما صالح أخوك الحسن فقال إن أخي فعل بأمر من الله ورسوله وأنا أفعل بأمر من الله ورسوله.

فهذه الأحاديث تفيينا نموذجاً من الاهتداء إلى معرفة سير الإمام في جميع أفعاله وأنها ناشئة عن حكم ربانية لا يتطرق إليها الشك والريب وليس الواجب علينا إلا التصديق بكل ما يصدر منه من دون أن يلزمنا الشرع أو العقل بمعرفة المصالح الباعثة على تلك الأفعال الصادرة منه سواء كانت الأفعال في العرف والعادة فظيعة جداً أم لا.

أم البنين

هي فاطمة^(١) بنت حزام^(٢) بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن.

١ - وأمها ثمامنة^(٣) بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.

٢ - وأمها عمارة بنت الطفيلي بن مالك الأخرم بن جعفر بن كلاب.

٣ - وأمها كبشة بنت عروة الرحال بن جعفر بن كلاب.

٤ - وأمها أم الخسف بنت أبي معاوية فارس الهرار بن عبادة ابن عقيل بن كلاب.

٥ - وأمها فاطمة بنت جعفر بن كلاب^(٤).

٦ - وأمها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وسماها في العمدة فاطمة.

(١) هذا في عمدة الطالب وفي تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٣١٧، اسمها وايسى.

(٢) في الإصابة: ج ١: ٣٧٥ و المعارف ابن قتيبة: ص ٩٢، أثبته بالراء المهملة بعد الحاء و عند ابن جرير و ابن الأثير وأبي الفدا وغيرهم بالزاء المعجمة.

(٣) سماها في عمدة الطالب ليلي.

(٤) سماها في الأغاني: ج ١٥، ص ٥٠ خالدة.

٧ - وأمها آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعین بن الحرث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة.

٨ - وأمها بنت جحدر بن ضبيعة الأغر بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار.

٩ - وأمها بنت ملك بن قيس بن ثعلبة.

١٠ - وأمها بنت ذي الرأسين وهو خشين بن أبي عصم بن سمح بن فزاره وفي القاموس خشين بن لاي وفي تاج العروس لاي بن عصيم.

١١ - وأمها بنت عمر بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيس بن الريث بن غطفان.

هذا ما ذكره أبو الفرج في المقاتل من جدات أم البنين والدة العباس عليه السلام ومنه عرفنا آباءها وأخوها ويعرفنا التاريخ أنهم فرسان العرب في الجاهلية ولهم الذكريات المجيدة في المغازي بالفروسيّة والبسالة مع الزعامة والسؤدد حتى أذعن لهم الملوك وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله: ليس في العرب أشجع من آبائهما ولا أفرس.

وذلك مراد أمير المؤمنين من البناء على امرأة ولدتها الفحولة من العرب فإن الآباء لا بد وأن تعرق في البنين ذاتياتها وأوصافها

فإذا كان المولود ذكرًا بانت فيه هذه الخصال الكريمة وإن كانت أنثى بانت في أولادها وإلى هذا أشار صاحب الشريعة الحقة بقوله: **الحال أحد الضجيعين فتخيروا لنطفكم**.

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان الهاشمية التي هي الأربى والأرقى فمن ناحية أبيه سيد الوصيين والعامرية فمن ناحية أمه أم البنين.

فإن من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب جد ثمامة والدمة أم البنين وهو الجد الثاني لأم البنين قيل له ملاعب الأسنة لفروسيته وشجاعته لقبه بذلك حسان لما رأه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به قال ما هذا إلا ملاعب الأسنة وقيل إن أوس بن حجر قال فيه^(١):

يلاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتائب أجمع
وهو الذي استعانه ابن أخيه عامر بن الطفيلي على منافرة علقة بن علاة بن عوف بن الأحوص لما تفاخرا على أن يسوق كل منهما مائة ناقة تكون لمن يحكم له ووضع كل منهما رهناً لمن أبنائهم على يد رجل منبني الوحيد فسمى الضمرين إلى اليوم وهو الكفيل ولما استعانه عامر دفع إليه نعليه وقال له استعن بهما

(١) رسالة ابن زيدون بها مش الصفدي على لامية العجم: ج ١، ص ١٣٠.

في منافرتك فإني قد ربعت بهما أربعين مرباعاً^(١).

والمرباع ما يأخذه الرئيس من ربع الغنيمة دون أصحابه
حالصاً لنفسه وذلك عندما كانوا يغزون في الجاهلية^(٢). وهذان
النعلان من مختصات الرئيس التي يخرج بها في الأيام الخاصة
وإلا فلا مزية لهما حتى يستعين بهما على المنافرة.

ومنهم عامر بن الطفيلي بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو أخو
عمرة الجدة الأولى لأم البنين كان عامر أسود أهل زمانه^(٣)
وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسماً حتى بلغ أن
قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن
الطفيلي فإن ذكر نسباً عظيم عنده وأرفده وإلا أعرض عنه، وفدي
عليه علقة بن علاة فانتسب له قال له قيصر أنت ابن عم عامر
ابن الطفيلي فغضب علقة ثم إنه دخل على ملك الروم فقال له
انتسب فانتسب له قال الملك أنت ابن عمّ عامر بن الطفيلي
غضب وخرج عنه^(٤).

(١) الأغاني: ج ١٥، ص ٥٠، وبلغ الأرب: ج ١، ص ٣١٧، بغداد ورسالة ابن زيدون.

(٢) القاموس والتاج.

(٣) الأغاني: ج ١٥، ص ٣٥.

(٤) سبط اللآلئ: ج ٢، ص ٨٩٠، ومجمع الأمثال: ج ٢، ص ٢٣.

ومنهم عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب والد كبسة الجدة الثانية لأم البنين كان وفاداً على الملوك وله قدر عندهم ومن هنا سمي الرحال وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كان يبعث بها كل عام إلى سوق عكاظ فقتله البراض بن قيس الكناني واستافق العير وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندهف وقيس^(١).

ومنهم الطفيلي فارس قرزل وهو والد عمرة الجدة الأولى لأم البنين كان معروفاً بالشجاعة والفروسيّة وهو أخو ملاعب الأسنة وربيعة وعيادة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لأمهم أم البنين وإياها عنى لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب لما وفد بنو جعفر على النعمان بن المنذر وكان سميره الربيع بن زياد العبسي فاتهموه بالسعى عليهم فلما غدوا على النعمان كان معهم لييد وهو أصغرهم فرأوا النعمان يأكل مع الربيع فقال لييد:

يا واهب الخير الجليل من سعه نحن بنو أم البنين الأربع
ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون الجفنة المدعده
الضاربون الهام وسط الخيشعه
تخبر عن هذا خبيراً فاسمعه
إن استه من برص ملمعه
إليك جاوزنا بلاداً مسبعه
مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه
إنه يولج فيها اصبعه^(٢)

(١) بلوغ الأربع: ج ١، ص ١٤٢.

(٢) إلى هنا من شواهد المعنى للسيوطى: ص ٦٨.

يولجها حتى يواري أشجعه كأنما يطلب شيئاً ضيئعاً^(١)
فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب لأن لهم شرفاً لا
يدافع ولذلك طرد النعمان الريبع عن مسامرته وقال له :
شرد برحلك عنى حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأباطيل
قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك في شيء إذا قيلاً

(١) الزيادة من جمهرة الأمثال للعسكري : ص ١٧٥ .

الزواج

تزوج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة ابنة حزام العامريه إما بعد وفاة الصديقة سيدة النساء كما يراه بعض المؤرخين^(١) أو بعد أن تزوج بأمامه بنت زينب بنت رسول الله كما يراه البعض الآخر^(٢) وهذا بعد وفاة الزهراء عليها السلام لأن الله قد حرم النساء على ما دامت فاطمة موجودة^(٣) فولدت أربعة بنين وأنجبت بهم العباس وعبدالله وجعفرًا وعثمان وعاشت بعده مدة طويلة ولم تتزوج من غيره كما أن أمامة وأسماء بنت عميس وليلى النهشلية لم يخرجن إلى أحد بعده وهذه الأربع حرائر توفي عنهن سيد الوصيin^(٤) وقد خطب المغيرة بن نوفل أمامة ثم خطبها أبو الهياج بن أبي

(١) الطبرى: ج ٦، ص ٨٩، وابن الأثير: ج ٣، ص ١٥٨، وأبو الفدا: ج ١، ص ١٨١.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ١١٧، و مطالب المسؤول: ص ٦٣ والفصول المهمة: ص ١٤٥، والإصابة بترجمة أمامة.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٩٣.

(٤) كشف الغمة: ص ٣٢، والفصول المهمة، ص ١٤٥، ومناقب ابن شهر=

سفيان بن الحارث فامتنعت وروت حديثاً عن علي عليه السلام أن أزواج النبي والوصي لا يتزوجن بعده فلم يتزوجن الحرائر وأمهات الأولاد عملاً بالرواية^(١).

وكانت أم البنين من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت مخلصة في ولائهم ممحضة في مودتهم ولها عندهم الجاه الوجيه والمحل الرفيع وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزيها بأولادها الأربعة كما كانت تزورها أيام العيد^(٢).

وبلغ من عظمتها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت أنها لما أدخلت على أمير المؤمنين وكان الحسان مريضين أخذت تلطف القول لهم وتلقى إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب وما برحت على ذلك تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالآم الحنون.

ولا بدع في ذلك فإنها ضجيعة شخص الإيمان قد استضاءت بأنواره وربت في روضة أزهاره واستفادت من معارفه وتأدبت بآدابه وتخلقت بأخلاقه.

= آشوب: ج ٢، ص ٧٦، ومطالب المسؤول: ص ٦٣.

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٧٦.

(٢) عن مجموعة الشهيد الأول.

الولادة

لقد أشراق الكون بمولد قمر بنى هاشم يوم بزوج نوره من أفق المجد العلوي مرتضعاً ثدي البسالة متربياً في حجر الخلافة وقد ضربت فيه الإمامة بعرق نابض فترعرع ومزيرج روحه الشهامة والإباء والنزوع عن الدنيا وما شوهد مشتداً بشبيبته الغضة إلا وملء إهابه إيمان ثابت وحشو ردائه حلم راجح ولب ناضج وعلم ناجع فلم يزل يقتضي أثر السبط الشهيد عليه السلام الذي خلق لأجله وكوٌن لأن يكون رداءً له في صفات الفضل ومخائيل الرفعة وملامح الشجاعة والسؤدد والخطر فإن خطأ سلام الله عليه فإلى الشرف وإن قال فعن الهدى والرشاد وإن رمق فإلى الحق وإن مال فعن الباطل وإن ترفع فعن الضيم وإن تهالك فدون الدين .

فكان أبو الفضل جامع الفضل والمثل الأعلى للعبرية لأنَّه كان يستفيد بلج هاتيك المأثر من شمس فلك الإمامة (حسين العلم والبأس والصلاح) فكان هو وأخوه الشهيد عليه السلام من مصاديق قوله تعالى في التأويل ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَّنَاهَا ﴾ ﴿وَالْقَمَرٌ إِذَا ثَلَّنَاهَا﴾ فلم

يسقه بقول استفاده منه ولا بعمل اتبعه فيه ولا بنفسية هي ظل نفسيته ولا بمنقبة هي شاع نوره الأقدس المنطبع في مرآة غرائزه الصقيلة وقد تابع إمامه في كل أطواره حتى في بروز هكيله القدسي إلى عالم الوجود فكان مولد الإمام السبط في ثالث شعبان وظهور أبي الفضل العباس إلى عالم الشهود في الرابع منه^(١) سنة ست وعشرين من الهجرة^(٢).

ومما لا شك فيه أن أمير المؤمنين عليه السلام لما أحضر أمامه ولده المحبوب ليقيم عليه مراسيم السنة النبوية التي تقام عند الولادة ونظر إلى هذا الولد الجديد الذي كان يتحرى البناء على أمه أن

(١) أنيس الشيعة للعلامة السيد محمد عبدالحسين بن السيد محمد عبد الهادي المدارسي الهندي قال شيخنا الحجة في الذريعة إلى مصنفات الشيعة: ج ٢، ص ٤٥٧: رأيت الكتاب في النجف عند العالم السيد أقا التستري من أحفاد السيد نعمة الله الجزائري والكتاب في وقائع الأيام من موجبات السرور والأحزان من مواليد الأئمة ووفياتهم ومعاجزهم رتبه على الأشهر بدأ فيه بربيع الأول وختم في شهر صفر وله مقدمة في نسب النبي وسنة جلوس الوصي وخاتمة في أحوال الحجة المنتظر عجل الله فرجه وذكر العلامة ميرزا محمد علي الأورديبادي أنه قرأ بخط المؤلف على ظهر الكتاب أنه أهداه إلى السلطان فتح علي شاه يوم الجمعة أول شعبان سنة ١٢٤٤ هـ وللمؤلف كتب منها (زاد المؤمنين وتذكرة الطريق وعناية الرضا).

(٢) المجدى والأنوار النعمانية: ص ١٢٤، وحكاه في كتاب قمر بنى هاشم، ص ٢٢، عن وقائع الأيام للشيخ محمد باقر البيرجندى.

تكون من أشجع بيوتات العرب ليكون ولدها رداءً لأخيه السبط الشهيد يوم تحيط به عصب الضلال شاهد بواسع علم الإمامة ما يجري عليه من الفادح الجلل فكان بطبع الحال يطبق على كل عضو يشاهده مصيبة سوف تجري عليه. يقلب كفَّيه اللتين ستقطعان في نصرة حجة وقته فتهمل عيناه ويبصر صدره عيبة العلم واليدين فيشاهده منبتاً لسهام الأعداء فتتصاعد زفرته وينظر إلى رأسه المطهر فلا يعزب عنه أنه سوف يقع بعمد الحديد فتشور عاطفته وترتفع عقيرته كما لا يبارح فاكرته حينما يراه يسقي أخاه الماء ما يكون غداً من تفانيه في سقاية كريمات النبوة ويحمل إليهن الماء على عطشه المرمض وينفض الماء من يده حيث يذكر عطش أخيه تهالكاً في الموساة ومبالغة في المفادات وإخلاصاً في الأخوة فيتنفس الصعداء ويكثر من قول (ما لي ولزيذ) وعلى هذا فقس كل كارثة سوف تلم به وتجري عليه.

فكان هذا الولد العزيز على أبيه وحامته كلما سر أباه اعتدال خلقته أو ملامح الخير فيه أو سمة البسالة عليه أو شارة السعادة منه ساءه ما يشاهده هنالك من مصائب يتحملها أو فادح ينوء به من جرح دام وعطش مجهد وبلاء مكرب.

وهذه قضايا طبيعية تشتد عليها الحالة في مثل هاتيك الموارد من يحمل أقل شيء من الرقة على أقل إنسان فكيف بأمير المؤمنين الذي هو أعطف الناس على البشر عامة من الأب الرؤوف وأرق عليهم من الأم الحنون.

إذن فكيف به في مثل هذا الإنسان الكامل (أبي الفضل) الذي لا يقف أحد على مدى فضله كما ينحصر البيان عن تحديد مظلوميته واضطهاده.

وذكر صاحب (كتاب قمر بنى هاشم) ص ٢١، أن أم البنين رأت أمير المؤمنين في بعض الأيام أجلس أبو الفضل عليه السلام على فخذه وشمر عن ساعديه وقبلهما وبكى فأدهشها الحال لأنها لم تكن تعهد صبياً بتلك الشمائئ العلوية ينظر إليه أبوه ويبكي من دون سبب ظاهر ولما أوقفها أمير المؤمنين على غامض القضاء وما يجري على يديه من القطع في نصرة الحسين عليه السلام بكت وأعولت وشاركتها من في الدار في الزفة والحسرة غير أن سيد الأوصياء بشرها بمكانة ولدها العزيز عند الله جل شأنه وما حباه عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل ذلك لجعفر بن أبي طالب فقامت تحمل بشرى الأبد والسعادة الخالدة.

صفاته

لقد كان من عطف المولى سبحانه وتعالى على ولية المقدس سلالة الخلافة الكبرى سيد الأوصياء أن جمع فيه صفات الجلالة من بأس وشجاعة وإباء ونجدية وخلال الجمال من سؤدد وكرم ودماثة في الخلق وعطف على الضعيف كل ذلك مع البهجة في المنظر ووضاءة في المُحيي من ثغر باسم ووجه طلق تتموج عليه أمواه الحسن ويُطْفَح عليه رواء الجمال وعلى أسرة جبهته أنوار الإيمان كما كانت تُبَعِّقُ من أعراقه فوائح المجد متأرجحة من طيب العنصر ولما تطابق فيه الجمالان الصوري والمعنوي (قيل له قمر بنى هاشم)^(١) حيث كان يشُّوَّه بجماله كل جميل ويبيّن بطلاؤه منظره كل أحد حتى كأنه الفذ في عالم البهاء والوحيد في دنياه كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم وهذا هو حديث الرواية:

«كان العباس وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجله

(١) كان يقال لعبد مناف قمر البطحاء ولعبد الله والد النبي ﷺ قمر الحرم.

يخطان في الأرض ويقال له قمر بنى هاشم»^(١).

وقد وصفته الرواية المحكية في مقاتل الطالبيين بأن (بين عينيه أثر السجود) ونصها :

قال المدائني حدثني أبو غسان هرون بن سعد عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة قال رأيت رجلاً من بنى أبان بن دارم أسود الوجه وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض فقلت له ما كدت أعرفك قال إني قتلت شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود فما نمت ليلة إلاأتاني فـيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها فأصبح بما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي قال والمقتول هو العباس بن علي عليه السلام.

وروى سبط ابن الجوزي عن هشام بن محمد عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي^(٢) قال لما أتى بالرؤوس إلى الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهه قد علق في لب فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة تمّه والفرس يمرح فإذا طأطاً رأسه لحق الرأس بالأرض فقلت رأس من هذا قال رأس العباس بن علي قلت ومن

(١) مقاتل الطالبيين : ص ٣٣ إيران.

(٢) الأصبغ هنا هو ابن نباتة لأن بنى مجاشع بطن من حنظلة من تميم كما في نهاية الأرب للقلقشندى ص ٣٣٤ ، والأصبغ بن نباتة حنظلي تميمي كما نص عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

أنت قال أنا حرملاة بن الكاهم الأسدى^(١) فلبثت أياماً وإذا بحرملة ووجهه أشد سواداً من القار قلت رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنضر وجههاً منك ولا أرى اليوم أقبح ولا أسود وجههاً منك فبكى وقال والله منذ حملت الرأس وإلى اليوم ما تمر علي ليلة إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تؤجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني كما ترى ثم مات على أقبح حال^(٢).

ويمنع الإذعان بما في الروايتين من تعريف المقتول بأنه العباس بن علي عليهما السلام عدم الالئام مع كونه شاباً أمراً فـإن للعباس يوم قتله أربعاً وثلاثين سنة والعادة قاضية بعدم كون مثله أمراً ولم ينص التاريخ على كونه كقيس بن سعد بن عبادة لا طاقة شعر في وجهه.

وفي دار السلام للعلامة النوري، ج ١، ص ١١٤، والكبريت الأحمر، ج ٣، ص ٥٢، ما يشهد للاستبعاد وإصلاحه كما في كتاب (قمر بنى هاشم) ص ١٢٦، بأنه رأس العباس الأصغر بلا

(١) جاء في تاريخ الطبرى حرملاة بن الكاهم بالنون بعد الهاء وهنا كأمالى ابن الشيخ الطوسي ص ١٥٠، باللام بعدها وتقديم ما في الطبرى تشهى بعد عدم النص على ضبطها فلعله غلط من النساخ.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٣٥٣، فصل في عقوبة قاتلية.

قرينة مع الشك في حضوره الطف وشهادته وهذا كإصلاحه بتقدير المقتول: (أخ العباس) المنطبق على عثمان الذي له يوم قتله إحدى وعشرون سنة أو محمد بن العباس المستشهد على رواية ابن شهر أشوب فإن كل ذلك من الاجتهد البحث.

ولعل النظرة الصادقة في ما رواه الصدوق منضماً إلى رواية ابن جرير الطبرى تساعد على كون المقتول حبيب بن مظاهر.

قال الصدوق: «وبالإسناد عن عمرو بن سعيد عن القاسم بن الأصبع بن نباتة قال قدم علينا رجل من بني أبان بن دارم ممن شهد قتل الحسين وكان رجلاً جميلاً شديد البياض فقلت له ما كنت أعرفك لتغير لونك قال قتلت رجلاً من أصحاب الحسين يبصري بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه قال القاسم لقد رأيته على فرس له مرحأً وقد علق الرأس بلبانها وهو يصيبه بركتييه قال فقلت لأبي لو أنه رفع الرأس قليلاً أما ترى ما تصنع به الفرس بيديها فقال يا بني ما يصنع به أشد لقد حدثني قال ما نمت ليلة إلا أتاني في منامي حتى يأخذ بكتفي ويقول انطلق فينطلق بي إلى جهنم فيقذف بي فأصبح قال فسمعت جارة له قالت ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه قال فقامت في شباب من الحي فأتينا أمرأته فسألناها قالت قد أبدى على نفسه قد صدقكم^(١).

(١) عقاب الأعمال: ص ١١ ، ملحق بثواب الأعمال.

وقد اتفقت هذه الروايات الثلاث في الحكاية عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة بما فعل بالرأس الطاهر وتفيدنا رواية الصدوق أن المقتول رجل لا شاب وأنه من أصحاب الحسين ولا إشكال فيها وإذا أوقفنا ابن جرير على أن الرأس المعلق هو رأس حبيب ابن مظاهر في حين أن المؤرخين لم يذكروا هذه الفعلة بغيره من الرؤوس الطاهرة أمكننا أن ننسب الاشتباه إلى الروايتين السابقتين خصوصاً بعد ملاحظة ذلك الاستبعاد بالنسبة إلى العباس وتوقف التصحيح فيهما على الاجتهاد بلا قرينة واضحة.

قال ابن جرير في ج ٦، ص ٢٥٢، من التاريخ: طعن رجل من بني تميم حبيب بن مظاهر فوق وذهب ليقوم وإذا الحصين بن تميم يضربه بسيفه على رأسه فصرعه ونزل إليه التميمي فاحتر رأسه فتنازعا الحصين والتميمي في رأسه كل يقول أنا قتلتة فأصلاح الناس بينهما على أن يأخذ الحصين الرأس ويعلقه بعنق فرسه ويتجول به في العسكر يعلم الناس أنه القاتل ثم يدفعه إلى الآخر فيدخل به على ابن زياد ففعل به الحصين ذلك ثم أخذه التميمي وعلقه بعنق فرسه ودخل الكوفة فبصر به القاسم بن حبيب ابن مظاهر وهو يومئذ مراهق فلم يفارق الفارس كلما دخل القصر أو خرج منه فارتاد منه وسأله عن حاله وبعد أن ألح عليه قال القاسم هذا رأس أبي أفتعطيه حتى أدفنه فقال يا بني الأمير لا يرضى بدفنه وأنا أريد أن يثبوني للأمير ثواباً حسناً فقال الغلام:

لكن الله لا يثيبك عليه إلا أسوأ الثواب أما والله لقد قتلت خيراً منك، وبكى ثم مكث الغلام يطلب غرة الرجل ليقتلته بأبيه فلما غزا مصعب (باجميرا) دخل القاسم عسکر مصعب فرأى الرجل في فسطاطه فدخل عليه وهو قائل نصف النهار فقتله^(١).

نعم في رواية الصدوق أن القاسم يسأل أباه عما يفعله الفرس بالرأس فيقول (قلت لأبي لو أنه رفع الرأس إلخ) وهو يدل على حياة الأصبع ذلك اليوم وعليه فلم يعرف الوجه في تأخره عن حضور المشهد الكريم مع مقامه العالي في التشيع وإخلاصه في المولاة لأمير المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام ومشاهدته لهذا الفعل من الطاغي يدل على عدم حبسه عند ابن زياد كباقي الشيعة الخُلُص ولا مخرج عنه إلا بالوفاة قبل تلك الفاجعة العظمى كما هو الظاهر مما ذكره أصحابنا عند ترجمته من الثناء عليه والمبالغة في مدحه وعدم الغمز فيه فتلك الجملة (قلت لأبي) لا يعرف من أين جاءت ولا غرابة في زيادتها بعد طعن أهل السنة فيه كما في الآلئ المصنوعة، ج ١، ص ٢١٣، فإنه بعد أن ذكر حديث الأصبع بن نباتة عن أبي أيوب الأنباري أنهم أُمرروا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي قال لا يصح الحديث لأن الأصبع متروك لا يساوي فلساً وفيه ص ١٩٥، ذكر عن ابن عباس حديث:

(١) تاريخ الطبرى: ج ٤، ص ٦٣٧، ط. الأعلمى بيروت.

الركبان يوم القيمة رسول الله صالح وحمزة وعلي قال: رجال الحديث بين مجهول وبين معروف بعدم الثقة.

ولقد طعنوا في أمثاله من خواص الشيعة بكل ما يتسع لهم وما ذكر في تراجمهم يشهد لهذه الدعوى ولا يتحمل هذا المختصر التبسيط في ذكرها ومراجعة ما كتبه السيد العلامة محمد ابن أبي عقيل في (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) ص ٤٠ في الباب الثاني فيه كفاية فإنه ذكر جملة من أتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سبب إلا لموالاة أمير المؤمنين وولده عليه السلام.

١٢٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

كنيته

اشتهر أبو الفضل العباس عليه السلام بكنى وألقاب وصف ببعضها في يوم الطف والبعض الآخر كان ثابتاً له من قبل فمن كانه أبو قربة^(١) لحمله الماء في مشهد الطف غير مرة وقد سدت الشرائع ومنع الورود على ابن المصطفى وعياله وتناصرت على ذلك أجلاف الكوفة وأخذوا الاحتياط اللازم ولكن أبو الفضل لم يرمه جمعهم المتكاثف ولا أوقفه عن الإقدام تلك الرماح المشرعة ولا السيوف المجردة فجاء بالماء وسقى عيال أخيه وصحبه .

ولم ينص المؤرخون وأهل النسب على كنيته بأبي القاسم إذ لم يذكر أحد أن له ولداً اسمه القاسم نعم خاطبه جابر الأنباري في زيارة الأربعين بها ، قال : «السلام عليك يا أبو القاسم السلام

(١) ذكره ابن ادريس الحلبي في مزار السرائر وأبو الفرج في المقاتل والسيد الجزائري في الأنوار النعمانية وأبو الحسن الديار بكري في تاريخ الخميس : ج ٢ ، ص ٣١٧ .

عليك يا عباس بن علي» وبما أن هذا الصحابي الكبير المتربي في بيت النبوة والإمامية خبير بالسبب الموجب لهذا الخطاب فهو أدرى بما يقول.

وقد اشتهر بكنيته الثالثة (أبي الفضل) من جهة أن له ولداً اسمه الفضل^(١) وكان حريّاً بها فإن فضله لا يخفى ونوره لا يطفى ومن فضائله الجسمان نعرف أنه من حبس الفضل عليه ووقف لديه فهو رضيع لبانه وركن من أركانه وإليه يشير شارح ميمية أبي فراس:

بذلت أيا عباس نفساً نفيسة لنصر حسين عز بالنصر من مثل أبيت التذاذ الماء قبل التذاذ فحسن فعال المرء فرع عن الأصل فأنت أخو السبطين في يوم مفخر وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل

(١) سر السلسلة وعمدة الطالب ومقاتل أبي الفرج.

اللقب

اشتهر بين العامة والخاصة بأنه سلام الله عليه باب الحوائج
لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات ومن هنا قيل
فيه^(١) :

للشوس عباس يريهم وجهه والوفد ينظر باسماً محتاجها
باب الحوائج ما دعته مروعة في حاجة إلا ويقضي حاجتها
بأبى أبو الفضل الذى من فضله السامي تعلمت الورى منها جها
وقيل له (قمر بنى هاشم)^(٢) لوضاءته وجمال هيئته وأن
أسارير وجهه تبرق كالبدر المنير فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء
إلى ضياء.

وأما «الشهيد» فلم ينص عليه أحد إلا أنه الظاهر من عبارات
أهل النسب ففي المجدى لأبى الحسن العمري قال بعد ذكر

(١) من قصيدة لسيد الذاكرين السيد صالح الحلبي رحمه الله.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ومقاتل الطالبيين وجنات الخلود.

أولاده هذا آخر نسببني العباس الشهيد السقّاء ابن علي بن أبي طالب.

وفي سر السلسلة لأبي نصر البخاري : والشهيد أبو الفضل العباس بن علي أمه أم البنين . ثم روى عن معاوية بن عمارةيزيدي قال قلت للصادق كيف قسمت نحلة فدك بعدما رجعت إليكم قال أعطينا ولد العباس الشهيد الرابع والباقي لنا .

وكان الحريري بأرباب المقاتل والنسب أن يدونوا له هذا اللقب المعرّب عن أسمى منزلة له وهو «العبد الصالح» كما خاطبه الإمام الصادق في الزيارة المخصوصة به التي رواها أبو حمزة الثمالي حيث يقول :

«السلام عليك أيها العبد الصالح» فإنك جد عليم بأن هذه الصفة أرقى مراتب الإنسان الكامل لأنها حلقة الوصل بين المولى والعبد وأفضل حالات أي فاضل حيث يجد نفسه الطرف الرابط لموجد كيانه جل وعلا وأن من أكمل مراتب الوجود فيما إذا التأم المنتهي مع المبدأ بنحو الصلة وهذا لا يكون إلا إذا بلغ العبد أرقى مراتب الإنسانية التي تلتحقه بعالم البساطة وتنتهي به إلى صدق التجدد فتؤهله لأن يتصل بالمبدأ الأعلى فلو فقد الإنسان تلك الملاعنة دحره عن حظيرة القداسة انقطاع النسبة وبعده المرمى وشسوع المسافة .

ولا يعني بهذه المرتبة أن يكون العبد مواطباً على العبادات البسيطة المسقطة للخطاب والرافعة للتعزير فحسب وإنما نقصد منه ما إذا عبدالله سبحانه حق عبادته الناشئة عن فقه وبصيرة ومعرفة بالمعبود الذي يجب أن يعبد من دون لحاظ مثوبة أو عقوبة حتى يكون المولى هو الذي يسميه عبداً له ويصافقه على تصديق دعوه بالعبودية له .

وما أسعده العبد حيث يبصر ما بيده من سلك الطاعة ويعرف أن مولاه قابض على طرفه الآخر يزلفه إليه يجاذبه الصلة وأشعة القرب .

وعلى ما قلناه كانت هذه المرتبة عند الأنبياء ﷺ أرقى مراتبهم وأرفع منصاتهم لأن طرف عبوديتهم أمنع وأشرف من طرف رسالتهم فالطرف الأعلى في العبودية «مبدأ الحق سبحانه وتعالى» والطرف الأسفلي منتهٍ إلى شخص النبي ﷺ وأما النبوة فمبدها الرسول ومتهاها الأمة .

ولولا أن هذه الصفة أسمى الصفات التي يتصرف بها العبد لما خص الله تعالى أنبياءه بها فقال سبحانه :

﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ﴾ .

وقال تعالى : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسَجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسَجِدِ الْأَقْصَى﴾ .

وقال عز شأنه: ﴿وَمَا أَنَّزَنَا عَلَىٰ عَبْدَنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْثَّقَىٰ الْجَمِيعَانِ﴾ .

وقال جل وعلا: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَأْوِدَ ذَا الْأَيْدِيْ إِنَّهُ أَوَّلُ أَوَّلٍ﴾ .

وقال تعالى أسماؤه ﴿وَوَهَبْنَا لِدَأْوِدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُ أَوَّلٍ﴾ .

وقال عز سلطانه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِيْنَ وَالْأَبْصَرِ﴾ .

وقال عظيم ذكره ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَفَيْ مَسَنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ .

وقد كان في وسع المولى تعالى أسماؤه أن يقول في خطاب نبيه الكريم: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على رسولنا ونحوه مما يدل على النبوة والرسالة ولكن حيث كان حبيب الله وصفيّه متجرداً عما يحتجبه عن مشاهدة المهيمن سبحانه فانياً في سبيل خدمة المولى لا يرى في الوجود غير منشئ الأكوان استحق أن يهبه البارئ تعالى أرقى صفة تليق بهذا المقام.

ومن هنا ترى الرسول المسيح قدم عبوديته على رسالته فقال:

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ إِنَّتِي الْكِتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ .

وأنت لا تفتأ في جميع الفرائض والنوافل في اليوم والليل تشهد بأن محمداً عبده ورسوله ولم تقل خاتم الأنبياء أو علة

الكائنات أو سر الموجودات أو حبيب الله وصفيّه مع أنها صفات لا تليق إلا بذات اشتقت من نور القدس ولكنك عرفت أن أسمى هذه الصفات وأجلّ ما يليق بالعبد حال اتصاله بالمبأأ الأعلى هو وصفه بالعبودية لمولاه .

ومن هنا ظهر لنا أن من أجلّ الحقائق وأرقى مراتب الفضل الذي لا يحلق إليه طائر الفكر ولا يدرك مداه أي تصور غير أن من الواجب التصديق به على الجملة هو وصف سيدنا (العباس عليه السلام) بهذه الصفة الكاملة (العبد الصالح) التي أضافها الله تعالى إلى أنبيائه ومبّلغي شريعته وأمنائه على وحيه ومنحه بها الإمام الصادق عليه السلام .

١٣٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

السّقاء

الماء حياة العالم ولن يست حاجة أي جزء من أجزاءه أمس من الآخر فلا جزء ولا جُزئٍ في الكون إلا وهو خاضع له في وجوده في نشوئه وبقائه وقد أعرب عنه سبحانه بقوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ﴾ وإليه استند ابن عباس في حل لغز ملك الروم فإنه وجه إلى معاوية فارورة يطلب منه أن يضع فيها من كل شيء فتحير معاوية واستعان بابن عباس في كشف الرمز لعلمه بأنه يستقي من بحر أمير المؤمنين المتموج بالحكم والأسرار فقال ابن عباس لتملاً له ماءً فإن الله يقول ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ﴾ فادهش ملك الروم وتعجب وقال الله أبوه ما أدهاه^(١).

فلا يخالج اليقين بأهميته الكبرى في دور الحياة أي شك.

وإن من يكون معروفة الذي تندى به أنامله وتسوقه إليه جبلته هذه المادة الحيوية لعلى جانب ممنع من الفضل وقد عرقت فيه وشائع الرقة وتحلى بغريزة العطف ونبض فيه عرق الحنان ولا

(١) كامل المبرد: ج ١، ص ٣٠٨، ط سنة ١٣٥٥ هـ، وتهذيبه: ج ١، ص ٢٩٩.

يكون إسداء مثله إلا عن لين ورأفة على الوجود وإن تفاوت المراتب بالنسبة إلى الموجودات الشريفة وما دونها ولا يعدو الشرف والشهامة هذا المتفضل بسر الحياة فهو شريف يجب الإبقاء على مثله أو عطوف لا يجد على الإغاثة منّة ولا على قدرته في الإعانة لسائر الموجودات جهداً ولا عطباً.

وإذا كانت الشريعة المطهرة حثت على السقاية ذلك الحث المتأكد فإنما تلت على الناس أسطراً نورية مما جبلوا عليه وعرفت الأمة بأن الدين يطابق تلك النفسيات البشرية والغرائز الطبيعية وأرشدتهم إلى ما يكون من الثواب المترتب على سقي الماء في الدار الآخرة ليكونوا على يقين من أن عملهم هذا موافق لرضوان الله وزلفى للمولى سبحانه يستتبع الأجر الجزيل وليس هو طبيعي محضر وهذا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام من فضل بذل الماء في محل الحاجة إليه وعدمها سواء كان المحتاج إليه حيواناً أو بشرأً مؤمناً كان أو كافراً.

ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم على الله أفضل الأعمال عند الله إبراد الكبد الحرّى من بهيمة وغيرها^(١) ولو كان على الماء فإنه يوجب تناثر الذنوب كما تنتشر الورق من الشجر^(٢) وأعطاه الله

(١) دار السلام، ج ٣، ص ١٦٢.

(٢) الجامع الصغير للسيوطى : ج ١ ، ص ٣٣.

بكل قطرة يبذلها قنطراراً في الجنة وسقاه من الرحيق المختوم وإن كان في فلاة من الأرض ورد حياض القدس مع النبيين^(١).

وأسأله رجل عن عمل يقربه من الجنة فقال اشترا سقاً جديداً ثم اسقِ فيه حتى تخرقه ، فإنك لا تخرقه حتى تبلغ به عمل الجنة^(٢).

وقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن اعتق رقبة ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحبي نفساً ومن أحياها فكأنما أحبي الناس أجمعين^(٣).

وقد دلت هذه الآثار على فائدة السقي بما هو حياة العالم ونظام الوجود ومن هنا (كان الناس فيه شرعاً سواءً كالكلاً والنار) فلا يختص اللطف منه جل وعلا بطائفة دون طائفة وقد كشف الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ السر في جواب من قال له ما طعم الماء؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ طعم الحياة^(٤).

فالسقاية أشرف شيء في الشريعة المطهرة وتلك أهميتها عند الحقيقة ومكانتها من النقوس ولهذه الأهمية ضرب المثل «بکعب ابن أمامة الأیادي»^(٥).

(١) المستدرك للنوري: ج ٣، ص ١٣٠ ،

(٢) أمالی الشیخ الطوسي: ص ٣١٠ ، مجلس ١١ .

(٣) مکارم الأخلاق: ص ٨٥ ، فصل ٧ باب أول .

(٤) تهذیب الکمال: ج ١ ، ص ٢٩٩ .

(٥) مجمع الأمثال للمیدانی: ج ١ ، ص ١٦٧ .

وأضحت السقاية العامة لا ينوء بعيتها إلا من حل وسطاً من السؤدد والشرف وأعلى الأمم لا سقايتها ولذا أذعن قريش لقصي بسقاية الحاج فكان يطرح الزبيب في الماء ويستقيهم الماء المحلى كما كان يستقيهم اللبن^(١).

وكان ينقل الماء إلى مكة من آبار خارجها ثم حفر بئراً اسماها العجول في الموضع الذي كانت دار أم هاني فيه وهي أول سقاية حفرت بمكة وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا:

نروي على العجول ثم ننطلق إنْ قصيًّا قد وفى وقد صدق
ثم حفر قصي بئراً سماها سجلة وقال فيها^(٢).

أنا قصي وحفرت سجلة تروي الحجيج زغلة فزغلة
وكان هاشم أيام الموسم يجعل حياضًا من أدم في موضع
زمزم لسقاية الحاج ويحمل الماء إلى منى لسقايتهم وهو يومئذ
قليل^(٣).

ثم إنه حفر بئراً سماها البذر^(٤) وقال إنها بلاغ للناس فلا

(١) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٥.

(٢) الروض الأنف: ج ١، ص ١٠١.

(٣) شرح النهج الحديدي: ج ٣، ص ٤٥٧.

(٤) في الروض الأنف: ج ١، ص ١٠١، بذر كBCM سميت بذلك لخروج مائها من غير مكان واحد.

يمنع منها أحداً^(١).

وأما عبد المطلب فقد قام بما كان آباءه يفعلونه من سقاية الحاج وزاد على ذلك أنه لما حفر زمزم وكثراً ما ذهاباً أباحها للناس فتركوا الآبار التي كانت خارج مكة لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على من سواها لأنها بئر اسماعيل^(٢) وبنى عليها حوضاً فكان هو وابنه الحرش ينزعان الماء ويملاآن الحوض فحسدته قريش على ذلك وعمدوا إلى الحوض بالليل فكسروه فكان عبد المطلب يصلحه بالنهار وهم يكسرونه بالليل فلما أكثروا عليه إفساده دعا عبد المطلب ربه سبحانه وتعالى فرأى في المنام قائلاً يقول «قل لقريش إني لا أحلها لمعتسل وهي لشارب حل وبل» فنادى في المسجد بما رأى فلم يفسد أحد من قريش حوضه إلا رمي بداء بجسده حتى تركوا حوضه وسقايته^(٣) وفي ذلك يقول خويلد بن أسد^(٤):

أقول وما قولي عليهم بسبة إلينك ابن سلمى أنت حافر زمزم حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم

(١) المصدر.

(٢) سيرة ابن دح LAN بهامش السيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٦.

(٣) شرح النهج الحديدي: ج ٣، ص ٤٦٠، وابن دح LAN: ج ١، ص ٢٦.

(٤) شرح النهج الحديدي: ج ٣، ص ٤٦٠.

ولما وافق قريشاً على المحاكمة عند كاهنةبني سعد بن هذيم وكان بمشارف الشام وسار عبد المطلب بمن معه من قومه حتى إذا كانوا بمفارزة لا ماء فيها ونفد ما ذهبت استسقوا ممن كان معهم من قريش فأبوا أن يسقوهم حفظاً على الماء فأمر عبد المطلب أصحابه أن يحفروا قبوراً لهم ويدفن من يموت منهم عطشاً في حفرته ويبقى واحد فضيعة واحد أيسر من ضيعة جماعة وبعد أن فرغوا من الحفر قال عبد المطلب إن هذا من العجز لنضربي في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماءً فركب راحلته فلما انبعث نبع من تحت خفها ماء عذب فكبير عبد المطلب وشرب أصحابه وملاوا أسيتهم ودعا قريشاً أن يستقوا من الماء فأكثروا منه ثم قالوا إن الله قد قضى لك علينا ولا نخاصمك في زمزم إن الذي سقاك في هذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع راشداً.

وزاد عبد المطلب في سقاية الحاج بالماء أن طرح الزبيب فيه وكان يحلب الإبل فيوضع اللبن مع العسل في حوض من أدم عند زمزم لسقاية الحاج ^(١).

ثم قام أبو طالب مقامه بسقي الحاج ^(٢) وكان يجعل عند رأس كل جادة حوضاً فيه الماء ليستقي منه الحاج وأكثر من حمل الماء أيام الموسم ووفره في المشاعر فقيل له ساقي الحجيج.

(١) السيرة الدخلانية: ج ١، ص ٢٦.

(٢) المصدر: ص ١٧.

أما أمير المؤمنين فقد حوى أكثر مما حواه والده الكريم من هذه المكرمة وكم له من موارد للسقاية لا يستطيع أحد على مثلها وذلك يوم بدر وقد أجهد المسلمين العطش وأحجموا عن امتحال أمر الرسول الأعظم ﷺ في طلب الماء فرقاً من قريش لكن نهضت بأبي الريحانين غيرته الشماء وثار به كرمه المتدقق فلبى دعاء الرسول وانحدر نحو القليب وجاء بالماء حتى أروى المسلمين ^(١).

ولا ينسى يوم صفين وقد شاهد من عدوه ما تندى منه جبهة كل غiyor فإن معاوية لما نزل بجيشه على الفرات منع أهل العراق من الماء حتى كَظَّهم الظمآن فأنفذه إليه أمير المؤمنين صعصعة بن صوحان وثبت بن ربيع يسألانه أن لا يمنع الماء الذي أباحه الله تعالى لجميع المخلوقات وكلهم فيه شرع سواء فأبى معاوية إلا التردد في الغواية والجهل فعندما قال أمير المؤمنين أرورووا السيوف من الدماء ترورووا من الماء ^(٢) ثم أمر أصحابه أن يحملوا على أهل الشام حملة واحدة فحمل الأشتر والأشعث في سبعة عشر الفاً والأشتر يقول :

ميعادنا اليوم بياض الصبح هل يصلح الزاد بغير ملح؟

(١) مناقب ابن شهر أشوب: ج ١، ص ٤٠٦.

(٢) نهج البلاغة: ج ١، ص ١٠٩.

والأشعث يقول:

لأُوردن خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا
فلما أجلهم أهل العراق عن الفرات ونزلوا عليه وملکوه أبي
صاحب النفسية المقدسة التي لا تدعوها أي مأثرة أن يسير على
نهج عدوه حتى أباح الماء لأعدائه ونادى بذلك في أصحابه^(١)
ولم يدعه كرم النفس أن يرتكب ما هو من سياسة الحرب من
التضييق على العدو بأي صورة.

هذه جملة من موارد السقاية الصادرة من شرفاء سادة متبوئين
على منصات المجد والخطر متكئين على أرائك العز والمنعة وما
كانت تدعهم دماثة أخلاقهم وطهارة أعراقهم أن يكونوا خلوا من
هذه المكرمة وقد افتخر بذلك عبد مناف على غيرهم.

وأنت إذا استشففت الخصوصيات المكتنفة بكل منها فإن الصراحة
لا تدعك إلا أن تقول بتفاوت المراتب فيها من ناحية الفضيلة.

كما لا تجد منتدحاً عن تفضيل الحسين على غيره يوم سقي
الحر وأصحابه في «شرف» وهو عالم بحراجة الموقف ونفاد
الماء بسقي كتيبة فيها ألف رجل مع خيولهم ووخامة المستقبل

(١) مناقب ابن شهر أشوب: ج ١، ص ٦١٩، وذكر الخوارزمي في المناقب:
ص ١٣٢ مشاورة معاوية أصحابه في أمر الماء وما أشار به ابن أبي معيط
من منع أهل العراق من الورود ورأي ابن العاص بخلافه.

وأن الماء غداً دونه تسيل النفوس وتشق المرائر لكن العنصر النبوى والآصرة العلوية لم يتركا صاحبها إلا أن يحوز الفضل.

وإنى أحسب أن ما ناء به أبو الفضل عليه السلام في أمر السقاية لا يوازيه شيء من ذلك يوم ناطح جبالاً من الحديد بأسه الشديد حتى اخترق الصفوف وزرع هاتيك الألوف وليس له هم في ذلك المأزق الحرج إلا إغاثة شخصية الرسالة المنتشرة في تلك الأمثال القدسية من الذرية الطيبة ولم تقنعه هذه الفضيلة حتى أبى نفسيته الكريمة أن يلتذ بشيء من الماء قبل أن يلتذ به أخوه الإمام وصيبيه الأزكياء.

هنا لك حداه إيمانه المشفوع باليقين وحنانه المرتبط بالكرم إلى أن ينكمف إلى المخيم ولا يحمل إلا مزادة من ماء يدافع عنها بصارمه الذكر ويزينه المثقف ولواء الحمد يرف على رأسه غير أن ما يحمله هو أنفسه الكريمة بلحاظ ما يريده من المحافظة على تلك المزادة الملاي.

وراقه أن تكون هي الذخيرة الشمينة مشفوعة بما هو أعظم عند الله تعالى فسمح بيمينه وشماله «وكلتا هما يمن» أن تقطعها بعين الله في كلاعة ما يتھالك دونه لينال الأمانة قبل المنية وما خارت عزيمة العباس عليه السلام إلا حين أحب أن لو كانت المراقة نفسه لا القربة فيا أبعد الله سهماً أسؤال ماءها ولم يكن «سعد العشيرة» طالباً للحياة بعده لو لم يأته العمود الطائش إلا لعنة الله على الظالمين.

ومن أجل مجئه بالماء إلى عيال أخيه وصحبه في الأيام العشرة

سمى «السقاء» نص عليه أبو الحسن في المجدي والداودي في عمدة الطالب وابن إدريس في مزار السرائر وأبو الحسن الديار البكري في تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣١٧. والنويري في نهاية الأرب، ج ٢، ص ٣٤١، والشبلنجي في نور الأ بصار، ص ٩٣، والعلامة الحجة محمد باقر القايني في الكبريت الأحمر، ج ٢، ص ٣٤.

ولصاحب هذا اللقب فيوضات على الأمة لا تحد وبركات لا تحصر.

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجلته المعروف والجود ساحله ومن ذلك ما ذكره العلامة السندي السيد محمد بن آية الله السيد مهدي القزويني قدس الله سره في كتاب «طروس الإنماء» قال في سنة ١٣٠٦ هـ انقطع نهر الحسينية وعاد أهل كربلا يقاسون شحة الماء وكثرة الظما فأمرت الحكومة العثمانية بحفر نهر في أراضي السيد النقيب السيد سلمان فمنع النقيب ذلك واتفق أن زرت كربلا فطلب أهلها أن أكتب إلى النقيب فكتبت إليه ما يشجيه وعلى حالهم يبكيه :

في كربلا لك عصبة تشكو الظما من فيض كفك تستمد رواها وأراك يا ساقي عطاشى كربلا وأبوك ساقي الحوض تمنع ماءها فأجاز النقيب حفر النهر وانتفع أهل كربلا ببركة هذا اللقب الشريف (السقاء).

نشأته

مما لا شك فيه أن لنفسيات الآباء ونزعاتهم وكمياتهم من العلم والخطر أو الانحطاط والضعة دخلاً تاماً في نشأة الأولاد وتربيتهم إن لم نقل إن مقتضاهما هو العامل الوحيد في تكيف نفسيات الناشئة بكيفيات فاضلة أو رذيلة فلا يكاد يرثى صاحب أي خطة إلا أن يكون خلفه على خطته ولا أن الخلف يتحرى غير ما وجد عليه سلفه ولذلك تجد في الغالب مشاكلة بين الجيل الأول والثاني في العادات والأهواء والمعارف والعلوم اللهم إلا أن يسود هناك تطور يكبح ذلك الانقضاض.

وعلى هذا الناموس يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبو الفضل عليه السلام من العلم والمعرفة وحسن التربية بنشوئه في البيت العلوي منبثق أنوار العلم ومحظ أسرار اللاهوت ومحظياً نواميس الغيب فهو بيت العلم والعمل بيت الجهاد والورع بيت المعرفة والإيمان

بيت علا سماك الضراح رفعة فكان أعلى شرفاً وأمنعا

أعزه الله فما تهبط في كعبته الأماكن إلا خُضّعا
بيت من القدس وناهيك به محظ أسرار الهدى وموضعا
وكان مأوى المرتجي والملتجي فما أعز شأنه وأرفعها^(١)
وبسيف صاحب هذا البيت المنيع انجلت غواشي الإلحاد
وببيانه تقشع غيم الشبه والأوهام.

إذن فطبع الحال يدلنا على أن سيد الأوصياء لم يبغ بابنه بدلًا
في حسن التربية الإلهية ولا أن شظية الخلافة يرافقه غير اقتصاص
أثر أبيه الأقدس فلك هنا أن تحدث عن بقية أمير المؤمنين في
أي ناحية من نواحي الفضيلة ولا حرج.

لم تكن كل البصائر في أبي الفضل عليه السلام اكتسابية بل كان
مجتبلاً من طينة القدس التي مزيجها النور الإلهي حتى تكونت
في صلب من هو مثال الحق ذلك الذي لو كشف عنه الغطاء ما
ازداد يقيناً فلم يصل أبو الفضل عليه السلام إلى عالم الوجود إلا وهو
معدن الذكاء والفطنة وأذن واعية للمعارف الإلهية ومادة قابلة
لصور الفضائل كلها فاحتضنه حجر العلم: والعمل حجر اليقين
والإيمان وعادت أرومه الطيبة هيكلًا للتوحيد يغذيه أبوه بالمعرفة
فتشرق عليه أنوار الملائكة وأسرار الالهوت وتهب عليه نسمات
الغيب فيستنشق منها الحقائق.

(١) من قصيدة للعلامة السيد محمد حسين الكيشوان رحمه الله.

دعاه أبوه ﷺ في عهد الصبا وأجلسه في حجره وقال له :

«قل واحد فقال واحد فقال له : قل اثنين فامتنع وقال إنني
أستحيي أن أقول اثنين بلسان قلت به واحداً»^(١).

وإذا أمعنا النظر في هذه الكلمة وهو على عهد نعومة من
أظفاره في حين أن نظراه في السن لا يبلغون إلى ما هو دون
ذلك الشأو البعيد فلا نجد بدأً من البخوع بأنها من أشعة تلك
الإشراقات الإلهية فما ظنك إذن حينما يلتقي مع المبادئ الفياضة
من أبيه سيد الوصيين وأخويه الإمامين سيدي شباب أهل الجنة
فلا يقتني من خزائن معارفهم إلا كل در ثمين ودرىٌ لامع .

وغير خفي ما أراده سيدنا العباس فإنه أشار إلى أن الوحدانية
لا تليق إلا بفاطر السموات والأرضين ويجلّ مثله المترعرع من
دوح الإمامة أن يجري على لسانه الناطق بالوحدةانية لباري
الأشياء صفة تنزه عنها سبحانه وتعالى وعنها ينطق كتابه المجيد
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ .

ومما زاد في سرور أبيه أمير المؤمنين أن زينب العقيلة كانت
حاضرة حينذاك وهي صغيرة فقالت لأبيها أتحبنا؟ قال بلى فقالت
لا يجتمع حبان في قلب مؤمن حب الله وحب الأولاد وإن كان

(١) خاتمة المستدرك للعلامة النوري : ج ٣ ، ص ٨١٥ ، عن مجموعة الشهيد
الأول ورواه الخوارزمي في الفصل السادس من مقتل الحسين مخطوط .

ولا بد فالحب لله تعالى والشفقة للأولاد فأعجبه كلامها وزاد في حبه وعطفه عليهم ^(١).

أما العلم فهو رضيع لبانه وناهيك في حجر أبيه مدرسة يتخرج منها مثل أبي الفضل عليه السلام وما ظنك بهذا التلميذ المصاغ من جوهر الاستعداد وذلك الأستاذ الذي هو عيبة العلم الإلهي وعلبة أسرار النبوة وهو المقيض لنشر المعارف الربوبية وتعليم الأخلاق الفاضلة ونشر أحكام الإسلام ودحض الأوهام والوسوس.

وإذا كان الإمام عليه السلام يربى البعداء الأجانب بتلك التربية الصحيحة المأثورة حتى استفادوا منه أسرار التكوين ووقفوا على غامض ما في النشأتين وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلايا كحبير بن مظاهر وميثم التمار ورشيد الھجري وكميل بن زياد وأمثالهم.

فهل من المعقول أن يذر قرة عينه وفلذة كبده خلواً من أي علم؟ أو أن قابلية المحل تربأ بأولئك الأفراد دون سيدنا العباس عليه السلام؟ — لاها الله — ما كان سيد الأوصياء يضن بشيء من علومه لا سيما على قطعة فواده ولا أن غيره ممن انضوى إلى أبيه علم الھداية يشق له غباراً في القابلية والاستعداد.

(١) مقتل الخوارزمي في الفصل السادس مخطوط.

فهناك التقى مبدأ فياض ومحل قابل للإفاضة وقد ارتفعت عامة الموانع فذلك برهان على أن (عباس اليقين) من أوعية العلم ومن الراسخين فيه.

ثم هلم معي إلى جامعتين للعلوم الإلهية ملازمتين للجامعة الأولى في نشر المعارف وتقييضهما لـإفاضة التعاليم الحقة لكل تلميذ والرقي به إلى أوج العظمة في العلم والعمل ألا وهما «كليتا» السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وانظر إلى ملازمته لأخوه بعد أبيه سيد الأوصياء ملزمة الظل لذيه فهناك يتجلّى لك أن سماء علمهما لم تهطل وبلا إلا وعاد لؤلؤاً رطباً في نفسه ولا أنفقا شيئاً من ذلك الكنز الخالد إلا واتخذه ثروة علمية لا تنفد.

أضف إلى ذلك ما كان يرويه عن عقيلة بيت الوحي زين الكبرى وهي العالمة غير المعلّمة بنص الإمام زين العابدين^(١).

وبعد هذا كله فقد حوى أبو الفضل من صفاء النفس والجلة الطيبة والعنصر الراكي والإخلاص في العمل والدّهوب على العبادة ما يفتح له أبواباً من العلم ويوقفه على كنوز المعرفة فيفترع من كل أصل فرع وتنحل عنده المشكلات.

وإذا كان الحديث ينص على أن من أخلص الله أربعين صباحاً

(١) الكبريت الأحمر.

انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه إذن فما ظنك بمن
أخلص لله سبحانه طيلة عمره وهو متخلٌ عن كل رذيلة ومتخلٌ
بكل فضيلة فهل يبقى إلا أن تكون ذاته المقدسة متجلية بأنوار
العلوم والفضائل وإلا أن يكون علمه تحققاً لا تعلقاً .

وبعد ذلك فما أوشك أن يكون علمه وجدانياً وإن برع في
البرهنة وتنسيق القياس ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين عليهم السلام
«إن العباس بن علي زق العلم زقاً»^(١) .

وهذا من أبدع التشبيه والاستعارة فإن الزق يستعمل في تغذية
الطائر فرخه حين لم يقو على الغذاء بنفسه وحيث استعمل
الإمام عليه السلام وهو العارف بأساليب الكلام هذه اللفظة هنا نعرف أن
أبا الفضل عليه السلام كان محل القابلية لتلقي العلوم والمعارف منذ كان
طفلاً ورضيعاً كما هو كذلك بلا ريب .

فلم يكن أبو الفضل بداعاً من أهل هذا البيت الظاهر الذي حوى
العلم المتدقق منذ الصغر كما شهد بذلك أعداؤهم ففي الحديث عن
الصادق عليه السلام أن رجلاً من بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب
المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم فقال له الرجل أرشدني قال
عثمان دونك الفتية الذين تراهم وأواماً بيده إلى ناحية من المسجد
فيها الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر فمضى الرجل نحوهم

(١) أسرار الشهادة: ص ٣٢٤

وسألهم فقال له الحسن يا هذا المسألة لا تحل إلا في ثلاثة دم مفجع أو دين مقرح أو فقر مدقع أيتها تسأل فقال في واحدة من هذه الثلاث فأمر له الحسن بخمسين ديناراً والحسين بتسعة وأربعين ديناراً وعبدالله بن جعفر بثمانية وأربعين فانصرف الرجل ومر بعثمان فحكى له القصة وما أعطوه فقال له ومن لك بمثل هؤلاء الفتية أولئك فطمووا العلم فطماً وحازوا الخير والحكمة.

قال الصدوق بعد الخبر معنى فطمووا العلم أي قطعوه عن غيرهم وجمعوه لأنفسهم^(١) وجاء في الأثر أن يزيد بن معاوية قال في حق السجاد إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً.

ومن أجل ذلك قال العلامة المحقق الفقيه المولى محمد باقر بن المولى محمد حسن بن المولى أسد الله بن الحاج عبدالله بن الحاج علي محمد القايني نزيل بيرجند في كتاب الكبريت الأحمر، ج ٣، ص ٤٥، إن العباس من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت بل إنه عالم غير متعلم وليس في ذلك منافاة لتعليم أبيه عليهما السلام إياه.

وكان هذا الشيخ الجليل ثبتاً في النقل منقباً في الحديث يشهد بذلك كبريته تلمذ عليه السلام في العراق على الفاضل الأيررواني وميرزا حبيب الله الرشتي والسيد الشيرازي وفي خراسان على السيد

(١) الخصال: ج ١، ص ٦٧، في باب لا تصلح المسألة إلا في ثلاثة.

مرتضى القائيني والعلامة محمد تقى الوجنردى وكان له أربع
وثلثون مؤلفاً.

ومن مستطرف الأحاديث ما حدثني به الشيخ العلامة ميرزا
محمد علي الأربادى عن حجة الإسلام السيد ميرزا عبد الهادى
آل سيد الأمة الميرزا الشيرازى قدس الله سره عن العالم البارع
السيد ميرزا عبد الحميد الوجنردى أنه شاهد في كربلا المشرفة
رجلاً من الأفضل قد اغتر بعلمه وبلغ من غلوائه في ذلك أنه
كان في منتدى من أصحابه وجرى ذكر أبي الفضل وما حمله من
المعارف الإلهية التي امتاز بها على سائر الشهداء فصارح الرجل
بأفضليته على العباس واستغرب من حضر هذه الجرأة وأنكروا
عليه ولا موه على هذه البدارة فطقق الرجل يبرهن على تهيئة
بتعداد مآثره وعلومه وما ينوه به من تهجد وتنفل وزهادة وقال إن
كان أبو الفضل العباس يفضل بأمثال هذه فعنده مثلها والشهادة
يوم الطف لا تقابل ما يحمله من العلوم الدينية وأصولها
ونواميسها.

فقام الجماعة من المجلس والرجل على ذلك الغرور والغلواء
غير نادم ولا متهيب.

ولما أصبحوا لم يكن لهم هم إلا معرفة خبر الرجل وأنه هل
بقي على غيّه أو أن الهدایة الإلهیة شملته فقصدوا داره وطرقوا

الباب فقيل لهم إن الرجل في حرم العباس فتوجهوا إليه ليستبروا
خبره فإذا الرجل قد ربط نفسه في الضريح الأقدس بحبيل شد أحد
طرفيه بعنقه والآخر بالضريح وهو تائب نادم مما فرط.

فسألوه عن شأنه وخبره فقال:

لما نمت البارحة وأنا على الحال الذي فارقتكم عليه رأيت
نفسني في مجتمع من أهل الفضل وإذا رجل دخل النادي وهو
يقول إن أبا الفضل قادم عليكم فأخذ ذكره من القلوب مأخذًا
حتى دخل عليه السلام والنور الإلهي يسطع من أسارير جبهته والجمال
العلوي يزهو في محياه فاستقر على كرسي في صدر الندي
والحضور كلهم خاضعون لجلالته وخصستني من بينهم رهبة عظيمة
وفرق مقلق لما أتذكرة من تفريطي في جنب ولی الله فطفق عليه السلام
يحيي أهل النادي واحداً واحداً حتى وصلت النوبة إلي.

ثم قال لي ماذا تقول أنت فكاد أن يرتجع علي القول ثم
راجعت نفسي وقلت إنّ في المصارحة متنداً عن الارتكاب وفوزاً
بالحقيقة فأنهيت إليه ما ذكرته لكم بالأمس من البرهنة.

فقال عليه السلام أما أنا فقد درست عند أبي أمير المؤمنين وأخوي
الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام وأنا على يقين من ديني بما تلقيته
من مشيختي من الحقائق ونواهيس الإسلام.

وأنت شاك في دينك شاك في إمامك أليس الأمر هكذا؟ فلم

يسعني إنكار ما يقوله ثم قال عليه السلام وأما شيخك الذي قرأت عليه وأخذت منه فهو أتعس منك حالاً وما عسى أن يكون عندك من أصول وقواعد مضروبة للجاهل بالأحكام يعمل بها إذا أعزوه الوصول إلى الواقع وإنني غير محتاج إليها لمعرفتي بواقع الأحكام من مصدر الوحي الإلهي .

ثم قال عليه السلام وفي نفسيات كريمة وأخذ يعددها من كرم وصبر ومواساة وجهاد إلى غيرها ولو قسمت على جميعكم لما أمكنك حمل شيء منها .

على أن فيك ملكات رذيلة من حسد ومراء ورياء ثم ضرب بيده الشريفة على فم الرجل فانتبه فزعاً نادماً معترفاً بالتقصير ولم يجد منتدحاً إلا بالتوسل به والإنابة إليه صلوات الله عليه وعلى آبائه .

اليقين

لقد كان أبو الفضل عليه السلام أحد الأفذاذ العلويين الذين لم تكن المفاخر مزايا زائدة على ذاتياتهم وإن مدحوا بآثارها لأنهم زبد المغض حازوا شرف النبوة وفضيلة الخلافة تنتضد بهم جمل العلم وتعتدل موازين العمل وتترنح بهم صهوات المنابر.

فكان سلام الله عليه متربعاً على منصة المجد وملء الندي هيبة وملء العيون بهجة وملء المسامع ذكره الجميل وملء القلوب محبة وحشو إهابه علم وعمل وحشو الرداء سؤدد وشرف.

وإن الإحاطة بما حواه من اليقين الثابت وال بصيرة النافذة بأحد طريقين الأول سبر أحواله و مواقع إقامته وإحجامه ومواضع بطيشه وأناته وموارد صفحه وانتقامه ولا بد أن يكون المنقب عند ذلك مميزاً بين مدارج الرأي ومساقط الخطل بصيراً بمراتق الحلم ومهاوي البطش والثاني إخبار من وقف على ذلك ب المباشرة وافية وعلم متسع تم شكله وظهر نتاجه أو تعليم إلهي أو أخذ عن من له صلة بذلك التعليم.

وغير خفي أن قمربني هاشم ملتقي ذينك الطرفين في البصيرة واليقين في دينه وعقله في معارفه وأخلاقه في حله وارتحاله وكان ينظر إلى جملة الأحوال بين البصيرة التي تخرق الحجب وتبصر ما وراءها من أسرار وخيالا لا بناظر البصر الذي تحجبه الحواجز وتمنعته السدول فيرث عن الإدراك خاسئاً فلا يكون أمر تهالك دونه إلا بعلم ثابت ويقين راسخ وإيمان لا يشوبه شك فإنه :

سر أبيه وهو سر الباري مليك عرش عالم الأسرار
وارث من حاز مواريث الرسل أبو العقول والنفوس والمثل
وكيف لا وذاته القدسية مجموعة الفضائل النفسية
لقد كان أبو الفضل يعرف العراقيين ونزعات أهل الكوفة منذ
عهد أبيه وأخيه السبط المجتبى بالتجارب الصحيحة وأنهم
تجمعهم الأماني وتفرقهم الرضائخ ويشاهد الأمويين وقوة
سلطانهم وتوغلهم في إراقة الدماء وبطشهم في الناس وطيشهم
في الأمور ويرى ضعف جانب (أبي الضيم عليه السلام) وقلة أنصاره
وطبع الحال يحدو مثله إلى التحيز إلى فئة أخرى، ولأقل من
التقادع عن أي الفريقين وما كان مثله لو سالم الأمويين يعدم
ولاية أو قيادة لجيوشهم أو عيشة راضية يقضي بها أيامه .

(لكن عباس اليقين) لم يكن له طمع في شيء من حطام

الدنيا فلم يرقه إلا الالتحاق بأخيه سيد الشهداء موطنًا نفسه الكريمة لأي كارثة أو شدة مؤلمة هذا والتكهن بمصير أمر الحسين عليه السلام في مسيره نصب عينه والمعيبات المأثورة عن رسول الله وأمير المؤمنين والسمواعات من أخويه الإمامين ملأت أذنه فلم يبرح مع «أخيه الشهيد» يفترع ربواة ويسف إلى وادٍ لا يرى في هاتيك الثنایا والعقبات إلا تصديقاً لما عرفه ويقيناً بمنتهى أمره وغايته حتى بلغهم نبأ فاجعة مسلم بن عقيل فعرف القوم انتشال الكوفيين عن الحق ورضوخهم إلى حكم الطاغية. هنالك خارت العزائم وأخفقت الظنون وطفق أهل المطامع والشره يتفرقون عن السبط المقدس يميناً وشمالاً^(١) إلا من حداهم إلى المسير حق اليقين وفي الطليعة منهم سيدنا العباس فإنه لم يزدد إلا بصيرة في النهضة الكريمة وسروراً بأزوف الغاية المتواخة.

فسار به وبهم «شهيد العظمة» وهو لا يشاهد كما أنهم لا يرون كلما قربوا من الكوفة إلا تدبر الناس وتألبهم عليهم وتتوارد عليهم الأنباء بما هو أشد لكن لم يشن ذلك من عزائمهم شيئاً ولا أكدى أملاً بل كانوا يُخفون الخطأ ويسرعون السير لينتهوا إلى معانقة الرماح ومصافحة الصفاح أكثر مما يسرع الصب إلى الخود الرداح ومرشدتهم إلى ذلك بعد إمام الهدى (أبو الفضل).

(١) اللهوف: ص ٤١ صيدا.

ركب حجازيون بين رحالهم تسري المنايا أنجدوا أو أتهموا
يحدون في هرج التلاوة عيسهم والكل في تسبيحه يتربّم

الأصحاب

هبط موكب العظمة عراصن الغاضريات وهو يضم الفتية من آل عبد المطلب والأباء الصفوة من الأصحاب فكانوا فرحين بما آتاهم المولى من فضله واختصهم به من المنحة الكبرى حيث جعل أثر ميتهם حياة للدين ومدحرة للأضاليل فكانوا رضوان الله عليهم بما أودع الله تعالى فيهم من النيات الصادقة لا يهابون في سبيل السير إليه تعالى عقبة كأداء أو نبأً موحشاً من تخاذل القوم وتدابر النفوس وتضاؤل القوى لما عرفوه من أنها موهبة لا يحظى بها إلا الأمثل فالأمثل فقابلوا الأخطار بجأش طامن وجنان ثابت لا يزجره أي هائلة وكلما اشتد المأزق الحرج أعقب فيهم انشراحًا وانبساطًا بين ابتسامة ومداعبة ومن فرح إلى نشاط :

ومذ أخذت في نينوى منهم النوى ولاح بها للغدر بعض العلائم
غدا ضاحكاً هذا وذا متبسماً سروراً وما ثغر المنون بباسم^(١)

(١) من قصيدة للشيخ صالح الكواز الحلي وقيل للتميمي .

هازل برير بن خضير عبد الرحمن الأنباري فقال له عبد الرحمن ما هذه ساعة باطل فقال برير والله لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكنني لمستبشر بما نحن لاقون والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ولو ددت أنهم مالوا علينا الساعة ^(١).

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك فقال له يزيد بن الحصين ما هذه ساعة ضحك قال حبيب وأي موضع أحق بالسرور من هذا ما هو إلا أن يميل علينا هؤلاء الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور ^(٢).

وناهيك بعابس بن أبي شبيب الشакري حينما برق إلى الحرب وقد أحجم القوم عنه لأنهم عرفوه بالإقدام والبسالة فلما رأى أنه لم يبارزه أحد ألقى ما عليه من درع ولا ملة فاغتنمها القوم فرصة ومع ذلك لم يبرز إليه أحد لكنهم رموه بالسهام والحجارة وإنه ليطرد أكثر من مائتين فرحاً مبتهجاً بما يلاقيه من حبور ونعيم.

وإنني لأعجب من الرواية وحملة التاريخ إذ توسعوا في النقل وقد ذروا أولئك الأباء الصفوة والغلب المصاليل بما يندى منه وجه الإنسانية وينبأه الوجدان الصادق فقيل كان القوم بحالة ترتعد

(١) تاريخ الطبرى: ج ٦، ص ٢٤١، ومثير الأحزان لابن نما، ص ٢٧، والبخارى: ج ١٠، ص ٢٤١.

(٢) رجال الكشى ونفس المهموم: ص ١٢٧.

فرائصهم وتتغير ألوانهم كلما اشتد الحال وضاق المجال إلا الحسين فإن أسرة وجهه تشرق كالبدر المنير^(١).

وذلك بعد أن أعزتهم الواقعة في شهيد الإباء فلم يجدوا للغمز فيه نصيباً فمالوا على أصحابه وأهل بيته الذين قال فيهم الإمام عليه السلام «إني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيته أبداً وأوفي من أهل بيتي»^(٢) والله لقد بلوتهم بما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعد يسألون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه^(٣).

وليس ذلك إلا من الداء الدفين بين أضالع قوم ذاقوا السم في الدسم إلى سُدُّج آخرين حسبوه حقيقة راهنة فشوهوا وجه التاريخ غير أن البصير الناقد لا تخفي عليه نفسية القوم ولا ما جاؤوا به.

وأعجب من ذلك قول زجر بن قيس ليزيد: إِنَّا أَحْطَنَا بِهِمْ
وَهُمْ يَلْوِذُونَ عَنَا بِالْأَكَامِ وَالْحَفَرِ لَوَادِ الْحَمَامِ مِنَ الصَّقْرِ^(٤).

بفيك الكثكث أيها القائل كأنك لم تشاهد ذلك الموقف الرهيب فترى ما للقوم من بسالة وإقدام ومفادة دون الدين

(١) الطبرى: ج ٦، ص ٢٥٤.

(٢) المصدر: ص ٢٣٨.

(٣) الدمعة الساكرة: ص ٣٢٥، عن بعض المؤلفات.

(٤) تاريخ الطبرى: ج ٦، ص ٢٦٤.

الحنيف حتى أغفل يومهم مع ابن المصطفى أيام صفين وما شاكلها من حروب دامية ووقائع هائلة وحتى أخذت أندية الكوفة لا تتحدث إلا بشجاعتهم ^(١).

أجل إن تلك الأهوال أدهشتكم فلم تدرك ما تقول أو أن الشقة بعده عليك فنسألك ما كان ولكن هل غاب عن سمعك صرخ الأيامى وعويل الأيتام في دور الكوفة حتى طبق أرجاءها من جراء ما أوقعه أولئك الصفوة بأعداء الله ورسوله بسيوفهم الماضية والعذر لك أنك أدركت ساعة العافية فطفقت تشوه مقامهم المشكور طلباً لمرضاة (يزيد الخمور).

ولقد صرخ عن صدق نياتهم وإخلاصهم في التضحية عدوهم الألد عمرو بن الحاج محرضاً قوله: «أتدرؤن من تقاتلون تقاتلون فرسان مصر وأهل البصائر تقاتلون قوماً مستميتين لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوا على قلتهم والله لو لم ترمواهم إلا بالحجارة لقتلتموهم» فقال عمر بن سعد قد صدقت، الرأي ما رأيت، أرسل في الناس من يعزّم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم ^(٢) ولو خرجم إليهم وحداناً لأتوا عليكم ^(٣).

وقيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك أقتلتم

(١) مناقب ابن شهر آشوب.

(٢) الطبرى: ج ٦، ص ٢٤٩.

(٣) مقتل محمد بن أبي طالب.

ذرية رسول الله فقال عضضت بالجندل إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيفها كالأسود الضاربة تحطم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان ولا ترحب في المال ولا يحول حائل بينها وبين حياض المنية أو الاستيلاء على الملك فلو كففنا عنها رويداً لأنت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك^(١).

وشهد لهم بالصبر على الموت والثبات لمنازلة الأقران كعب ابن جابر فإنه لما قتل برير بن خضير عتبت عليه زوجته النوار أو أخته وقالت أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة فقال من أبيات على ما في تاريخ الطبرى ، ج ٦ ، ص ٢٤٧ :

ولم تر عيني مثلهم في زمانهم ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع أشد قراءاً بالسيوف لدى الوغى ألا كل من يعطي الذمار مقارع وقد صبروا للضرب والطعن حسراً وقد نازلوا لو أن ذلك نافع

فرد عليه رضى بن منقد الذي صرעהه برير واستغاث بكعب وقال:

ولو شاء ربي ما شهدت قتالهم ولا جعل النعمان عندي ابن جابر لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبة تغيره الأبناء بعد المعاشر فيا ليت أني كنت من قبل قتله ويوم حسين كنت في رمس داشر

(١) شرح النهج الحديدي : ج ١ ، ص ٣٠٧ .

وأي فرد منهم أقلقه الحال حتى ارتعدت فرائصه فهو زهير بن القين الذي وضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً :
أقدم هديت هادياً مهدياً فاليلوم ألقى جدك النبيا
أم ابن عوسبة الذي يوصي حبيب بن مظاهر بنصرة الحسين
وهو في آخر رمق من الحياة فكأنه لم يقنعه عن المفادة كل ما
لاقاه من جهد وبلاء .

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهمه في سبيل السير إلى ربه
سبحانه كل ما هناك من فوادح وآلام إلا الصلاة التي دنا وقتها
فقال للحسين نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك
ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب أن ألقى الله وقد صليت
هذه الصلاة التي دنا وقتها فقال الحسين ذكرت الصلاة جعلك الله
من المصليين الذاكرين ^(١) .

أم سعيد الحنفي الذي تقدم أمام الحسين وقت الصلاة
واستهدف لهم فأخذوا يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً حتى سقط
لكثرة نزف الدم ^(٢) فقال للحسين أوفيت يا بن رسول الله قال نعم
أنت أمامي في الجنة .

أم ابن أبي شبيب الشاكري الذي ألقى جميع لامته لتقرب منه

(١) الطبرى : ج ٦ ، ص ٢٥١ .

(٢) المصدر ، ص ٢٥٢ .

الرجال فيموت في حين نرى الكماة الأبطال المعروفين بالشجاعة والإقدام يتدرعون للحرب كيلا يخلص إليهم ما يزهق نفوسهم .

أم الغفاريان اللذان استأذنا الحسين في الحملة وهمما يبكيان فقال عليه السلام لهم ما يبكيهما فوالله إني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قrieri العين فقا لا ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك أبا عبد الله نراك قد أحاط بك ولا نقدر على الدفع عنك والذب عن حرمك فجزاهمما الحسين خيراً .

وإذا تأملنا قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام إن أصحاب جدي الحسين لم يجدوا ألم مس الحديد ^(١) .

ووضح لنا ما عليه أولئك الأطايib من الثبات وأنهم غير مكتريين بما لا قوه من ألم الجراح ولعاً منهم بالغاية وشوقاً إلى جوار المصطفى .

ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العاشق وأنه عند توجه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بكل ما يلاقيه من عناء ونكد حكى المؤرخون أن عزة دخلت على كثير الشاعر وهو في خبائه يبكي سهاماً له ولما نظر إليها أدهشه الحال وأبهره الجمال فأخذ يبكي أصابعه وسالت الدماء وهو لا يحس بالألم ^(٢) .

(١) الخرائج للراوندي .

(٢) الأغاني : ج ٧ ، ص ٣٧ ، ترجمة كثير .

وأكبر مثال على ذلك حكاية الكتاب المجيد حالة النسوة حينما شاهدن جمال الصديق يوسف عليه السلام فقال تعالى فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُلْنَ حَنْشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ^(١) .

وإذا كانت النسوة لم يشعرن بألم قطع المدية أيديهن لمحض جمال الصديق فليس من الغريب ألا يجد أصحاب الحسين عليه السلام وهم زبد العالم كله ألم مس الحديد عند نهاية عشقهم لمظاهر الجمال الإلهي ونزعو أنفسهم إلى الغاية القصوى من القدسية بعد التكهرب بولاء سيد الشهداء عليه السلام .

هذا ما عليه الأصحاب من سر المقادمة وقد كان مرشدهم إلى ذلك والمقدم فيهم (حامل اللواء) إذ لم يكن هياباً لما شاهده من لغط وصخب وضوضاء وصهيل وجحفل مجر يتبعه جيش لجب وقد أخذ ابن ميسون عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء.

بححافل بالطف أولها وأخيرها بالشام متصل فلا يرى إلا وجوهاً عابسة كل يتحرى استئصال شأفة الإمامة وإزهاق من يجنه إليها و«قمر الهاشميين» أسارير وجهه تشرق كالبدر المنير.

لأنه عليه السلام يجد ببصيرته الحادية له إلى المقادمة قرب الأجل

(١) سورة يوسف، الآية: ٣١.

المضروب وحصول الضالة المنشودة وهذا كله بعد العلم بأنه إذا فارق أخاه في ذلك الموقف يكون في سعة من الخطر.

وإنا لنكبر موقفه وثباته حينما قال لهم أبو عبدالله عليه السلام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا فأنتم في إذن مني فإن القوم لم يطلبوا غيري ولو ظفروا بي لذهبوا عن طلب غيري وليرأذن كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيته وتفرقوا في سوادكم هذا^(١).

هنا كان لعباس الشرف والحفظ موقفه المشهود الذي أظهر فيه من قوة الإيمان وغزاره العلم وعوامل الشهامة ما أوقف جوالة الفكر وحير نفاذة الحلم حيث ابتدر الجماعة بقوله «ولم نفعل ذلك لا أبقانا الله بعده» وتابعه الهاشميون الصفوة والصحب الأكارم^(٢) متخذين قوله حقيقة راهنة من معلم هذبته المعرفة وبصرته التجارب وأنه لم يرد بقوله إلا التضحية الخالصة والسعادة الخالدة فأجابوا بما انحنت عليه الأضالع من إثمار موتة العز دون سبط الرسول على حياة مخدجة بعده وإن كانت محفوفة بنعومة من العيش.

فقال آل عقيل: قبح الله العيش بعده نفديك بأنفسنا وأهالينا.

وقال ابن عوسرة: لو لم يكن معي سلاح لقذفهم بالحجارة حتى أموت دونك.

(١) الطبرى: ج ٦، ص ٢٣٨، وابن نما: ص ٢٦.

(٢) الطبرى: ج ٦، ص ٢٣٩، وإرشاد المفید.

وقال سعيد الحنفي أنحن نخلي عنك لا والله حتى يعلم الله
أنا قد حفظنا وصية رسول الله فيك ولو علمت أنني أُقتل ثم أُحيى
ثم أُقتل ثم أُحرق حياً ثم أُذري يفعل بي سبعين مرة ما فارقتك
حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة
واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .
وتكلم الجماعة بما يشبه ذلك .

فأجادوا الجواب واخترطوا البيـ ض اهـتـيـاجـاـ إلى جـلـادـ الأـعـادـي
وـانـشـنـوا لـلـوـغـىـ غـضـابـ أـسـوـدـ عـصـفـتـ فـيـ العـدـىـ بـصـرـصـرـ عـادـ
حـرـسـوـهـ حـتـىـ اـحـتـسـوـاـ جـرـعـ الـمـوـ تـبـيـضـ الـطـبـاـ وـسـمـرـ الـصـعـادـ
سـمـحـوـاـ بـالـنـفـوـسـ فـيـ نـصـرـةـ الدـيـنـ وـأـدـوـاـ فـيـ الـلـهـ حـقـ الـجـهـادـ
وـبـعـدـ أـنـ عـرـفـ الـحـسـيـنـ مـنـهـمـ صـدـقـ الـنـيـةـ وـالـإـلـاـخـاـصـ فـيـ
الـمـفـادـاـةـ أـوـقـفـهـمـ عـلـىـ غـامـضـ الـقـضـاءـ وـقـالـ إـنـيـ أـقـتـلـ وـكـلـكـمـ تـقـتـلـونـ
حـتـىـ الـقـاسـمـ وـعـبـدـالـلـهـ الرـضـيـعـ إـلـاـ السـجـادـ فـإـنـهـ أـبـوـ الـأـئـمـةـ ثـمـ كـشـفـ
عـنـ أـبـصـارـهـمـ فـرـأـواـ مـاـ حـبـاهـمـ بـهـ اللـهـ مـنـ نـعـيمـ الـجـنـانـ وـعـرـفـهـمـ
مـنـازـلـهـمـ فـيـهـاـ^(١) وـلـيـسـ ذـلـكـ فـيـ الـقـدـرـةـ الـإـلـهـيـةـ بـعـزـيـزـ وـلـاـ فـيـ
تـصـرـفـاتـ الـإـمـامـ بـغـرـيـبـ وـلـقـدـ حـكـىـ الـمـؤـرـخـونـ وـقـوـعـ نـظـيرـ هـذـاـ
لـسـحـرـةـ فـرـعـوـنـ لـمـ آـمـنـواـ بـمـوـسـىـعليه السلامـ وـأـرـادـ فـرـعـوـنـ قـتـلـهـمـ فـإـنـهـمـ
شـاهـدـوـاـ مـنـازـلـهـمـ فـيـ الـجـنـةـ^(٢) .

(١) الخرائج وأسرار الشهادة: ص ٤٠٠ .

(٢) أخبار الزمان: ص ٢٤٧ .

الأمان

لم تزل هذه الفضيلة نفسية أبي الفضل في جميع مواقفه عند ذلك المشهد الرهيب لا سيما حين بلغه كتاب عبيد الله بن زياد بالأمان له ولإخوته الذي أخذه عبدالله بن أبي المholm بن حزام وكانت أم البنين عمته وبعثه مع مولاه كزمان فلما قدم كربلا قال للعباس وإخوته هذا أمان من ابن زياد بعثه إليكم خالكم عبدالله فقالوا له أبلغ خالنا السلام وقل له لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من أمان ابن سمية^(١).

كيف يتنازل أبو الفضل إلى الدنيا وهو ينظر بعين غير أعين الناس ويسمع بأذنه الوعائية غير ما يسمعونه يشاهد نصب عينه الرضوان الأكبر مع «خلف النبي المرسل» ويسمع هتاف الملوك من شتى جوانبه بالبشرى له بذلك كله عند استمراره مع أخيه الإمام.

(١) الطبرى: ج ٦، ص ٢٣٦، وابن الأثير: ج ٤، ص ٢٣.

نعم وجد «عباس المعرفة» نفسه المكهرة بعالم الغيب مجذوبة بجاذب مركز القدسية إلى التضحية دون حجة الوقت لا محالة فرفض ذلك الأمان الخائب إلى أمان الرسول الأعظم.

وهنالك طمع الشمر فيه وفي إخوته أن يفصلهم عن مستوى الفضيلة فناداهم أين بنو أختنا العباس وإخوته فأعرضوا عنه فقال الحسين أجيyoه ولو كان فاسقاً قالوا ما شأنك وما تريد قال يابني أختي أتمن آمنون لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد فقال له العباس لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له^(١) وتأمننا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء فرجع الشمر مغضباً^(٢).

إن هذا الجلف الجافي قد أساء الظن بهؤلاء الفتية نجوم الأرض من آل عبد المطلب فحسب أنهم ممن يستهويهم الأمان والدعة أو تروقهم الحياة مع أبناء البغايا هيهات خاب الرجس ففشل وأخفق ظنه وأكدى أمله ولم يسمع في الجواب منهم إلا لعنك الله وتبت يداك ولعن ما جئت به.

وحيث إن ابن ذي الجوشن يفقد البصيرة التي وجدها أبو الفضل والنفسية التي يحملها والسؤدد المتحلي به والحفظ

(١) تذكرة الخواص: ص ١٤٢ ، وإعلام الورى: ص ١٢٠ .

(٢) أسرار الشهادة: ص ٣١٨ .

اللائح على وجناته، طمع أن يستهوي رجل الغيرة ويجره إلى
الخسف والهوان والحياة مع الظالمين.

أيظن أن أبا الفضل ممن يستبدل النور بالظلمة ويستعيض عن
الحق بالباطل ويدع علم النبوة وينضوي إلى رأية ابن مرجانة؟

- كلاما -

ولما رجع العباس وإخوته إلى الحسين وأعلمه بما أراده
المائن منهم قام زهير بن القين إلى العباس وحدثه بحديث قال فيه
إن أباك أمير المؤمنين عليه السلام طلب من أخيه عقيل وكان عارفاً
بأنساب العرب وأخبارها أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من
العرب وذوو الشجاعة منهم ليتزوجها فتلد غلاماً فارساً شجاعاً
ينصر الحسين بطف كربلا وقد ادحرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا
تقصير عن نصرة أخيك وحماية أخواتك فغضب العباس وقال يا
زهير تشجعني هذا اليوم فوالله لأرينك شيئاً ما رأيته^(١).

فجدل أبطالاً ونكس رايات في حالة لم يكن همه فن القتال
ولا منازلة الأبطال بل كان همه إيصال الماء إلى أطفال أخيه
ولكن لا مرد للقضاء ولا دافع للأجل المحتوم.

ولا يهمه السهام حاشا من همه سقاية العطاشا
فجاد باليمن والشمال لنصرة الدين وحفظ الآل

(١) الكبريت الأحمر: ج ٣، ص ١٤٤، وأسرار الشهادة: ص ٣٨٧.

١٧٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المواساة

لا يسع الباحث في حديث مشهد الطف المقدر فيه (قمر بنى هاشم) حق قدره إلا البخوع له بتحقيق هذه الغريرة الكريمة أعني المواساة بأجل مظاهرها وأنت إذا أعرت لما أفضنا من القول في البصيرة أذناً واعية عرفت كيف كان مقامه مع أخيه سيد شباب أهل الجنة وإيثاره التفاني معه على الحياة الرغيدة وتهالكه في المفادة منذ مغادرته الحجاز إلى هبوطه أرض كربلاً وحتى لفظ نفسه الأخير تحت مشتبك النصoul فلا تجد مناصاً عن الإذعان بأنه عليه السلام كان على أعلى ذروة من المواساة لأن أخيه الإمام تربو على المواسين معه جمياً لأن مواساته كانت عن بصيرة هي أنفذ البصائر يومئذ بشهادة الإمام الصادق عليه السلام (كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان).

وقد شهد له بهذه المواساة إمامان معصومان واقفان على الضماير ويعرفان مقادير الرجال فيقول الحجة عجل الله فرجه في زيارة الناحية: «السلام على أبي الفضل العباس المواسي أخاه

بنفسه الآخذ لغده من أمسه الواقي له الساعي إليه بمائه المقطوعة يداه لعن الله قاتله يزيد بن الرقاد الجهنمي وحكيم بن الطفيل السنبي الطائي».

ويقول الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة عند ضريحه الأقدس «أشهد لقد نصحت الله ولرسوله ولأخيك فنعم الأخ المواسي».

فجعل عليه السلام الشهادة له بالمواساة المنعم بها نتيجة نصحه لله الذي هو مقتضى دينه ويقينه ونصحه لرسول الله الذي هو تمام التوحيد والنصح لأخيه الإمام الذي هو الجزء الأخير للعلة وبه كمال الدين وتمام النعمة ﴿الْيَوْمَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ ^(١) وبه قبول الأعمال.

«لو أن عبداً صام وصلى ورثى ولم يأت بالولالية ما قبل الله له عملاً أبداً» فرضاً الرب والرسول وطاعتهما منوطان بطاعة ولبي الأمر ﴿إِنَّمَا وَلِيَّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الَّذِينَ يُقْرِبُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَوَةَ وَهُمْ رَكِعُونَ﴾ ^(٢).

فأراد الإمام الصادق بذلك الخطاب أن نصح «عباس الهدایة» لأن أخيه المظلوم على حد نصحه لله ولرسوله مع حفظ المرتبة في كل منهما فالطاعة شرع سواء في الثلاثة تحت جامع واحد هو

(١) سورة المائدة، ٣.

(٢) السورة، ٥٥.

وجوب الخضوع لهم والتسليم لأمرهم غاية الأمر تختلف المراتب فإنه تجب الطاعة أولاً وبالذات بالنسبة إليه سبحانه تعالى وبما أن الرسول مبعوث من قبله وجبت بالنسبة إلى الرسول وبما أن الإمام خليفة لهذا المبعوث المرسل لعدم بقائه إلى الأبد وعدم إهمال العباد كالبهائم وعدم وضوح الكتاب المجيد لوجود المخصص والمقييد والناسخ والمتتشابه وعدم وفائه بالأحكام الشرعية بالبداهة وجب على الأمة إطاعة هذا الإمام فالمراد من المؤمنين في هذه الآية ومن أولي الأمر في قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ أَلْأَمِ مِنْكُمْ﴾^(١) .

شيء واحد وقد انحصر مصداقه في سيد الوصيين وأبنائه المعصومين الأحد عشر بالتواتر عن الرسول ﷺ .

فالنصح الذي أشار إليه الإمام في الزيارة هو لازم تلك الطاعة ومقتضى الولاية تحت جامع واحد وهو لزوم مناصرة الدين والصادع به المنبسط على ذات الباري تعالى والرسول والإمام كل في مرتبته .

وقد أفادنا هذا الخطاب أن مفاده أبي الفضل ومواساته لم تكن لمحضر الرحمة الماسة والإخاء الواشج ولا لأن الحسين عليه السلام أسرته وكبير قومه وإن كان في كل منها يمدح عليه هذا

الناهض لكنها جمعاء كانت مندكة في جنب ما أثاره «عباس البصيرة» من لزوم مواساة صاحب الدين والتهالك دون دعوته سواء كانت المفادة بعين المشرع سبحانه أو تحت راية الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه أو إمام الوقت وكل بعين الله وعن مرضاته جل شأنه وقد اجتمعت في مشهد الطف تحت راية الحسين عليه السلام.

إن من الواجب إمعان النظر في عمله الناصع حين ملك الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب ولكن ألممه حق اليقين وقوة الإيمان أن ينفض الماء من يده حيث لم ير له مسامغاً في التأخير عن سقاية حجة الوقت الإمام المعصوم وحرم النبوة ولو بمقدار التروي من الماء هنيئة بل عرف أن الواجب عليه الإبقاء على مهجة خليفة الرسول بسقايته ولو في أن يسير إذ الحالة شرع سواء بين قليل الزمان وكثيره ولذلك نسب فعله هذا إلى الدين حيث يقول «تالله ما هذا فعال ديني».

على أن شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلبي يحدث في النقد النزيه ج ١، ص ١٠٠ عن فخر الذاكرين الثقة الثبت الشيخ ميرزا هادي الخراساني النجفي نقلأً عن «عدة الشهور» أن أمير المؤمنين عليه السلام دعا العباس وضمه إليه وقبل عينيه وأخذ عليه العهد إذا ملك الماء يوم الطف أن لا يذوق منه قطرة وأخوه الحسين عطشان فقول أرباب المقاتل نفض الماء من يده ولم يشرب إنما هو لأجل الوصية من أبيه المرتضى.

لم يذق الفرات أسوة به
لم ير في الدين يبل غلة
والمرتضى أوصى إليه في ابنه
لذاك قد أسنده لدینه
هذا من الشرع يرى فعلته
ومثله الحسين لما ملك الماء
أم الخيام نافضاً لمائه
فكان للعباس فيه أسوة
لم يمماً بمائه نحو الخبا
وصنوه فيه الظما قد ألهبا
وصية صدته عن أن يشربا
وعن يقين فيه لن يضطربا
ومن صراط أحمد ما ارتكبا
فقيل رحله قد نهبا
إذ عظم الأمر به واعصوصبا
إذ فاض شهماً غير مفلول الشبا

عثرة التاريخ

لقد كان من نفوذ بصيرة العباس أنه لم تقنعه هاتيك التضحية المشهودة منه والجهاد البالغ حده حتى راقه أن يفوز بتجهيز المجاهدين في ذلك المأزق الحرج والدعوة إلى السعادة الخالدة في رضوان الله الأكبر وأن يحظى بأجور الصابرين على ما يلم به من المصاب بفقد الأحبة فدعا إخوته من أمه وأبيه وهم «عبدالله وجعفر وعثمان» وقال لهم تقدموا حتى أراكم قد نصحتكم الله ولرسوله فإنه لا ولد لكم^(١).

فإنه أراد بذلك تعريف إخوته حق المقام وأن مثولهم بهذا الموقف لم يكن مصروفاً إلا إلى جهة واحدة وهي المفادة والتضحية في سبيل الدين إذ لم يكن لهم أي شائبة أو شاغلة تلهيهم عن القصد الأسمى من عوارض الدنيا من مراقبة أمر الأولاد بعدهم ومن يرافق بهم ويربيهم فاللازم حينئذ السير إلى

(١) إرشاد الشيخ المفید وإعلام الورى ومثير الأحزان لابن نما.

الغاية الوحيدة وهي الموت دون حياة الشريعة المقدسة فكانوا كما شاء ظنه الحسن بهم حيث لم يألووا جهداً في الذب عن قدس الدين حتى قضوا كراماً متلقيعين بدم الشهادة.

لكن هلم واقرأ العجيب الغريب في ما ذكر ابن جرير الطبرى في التاريخ ج ٦، ص ٢٥٧، قال وزعموا أن العباس بن علي قال لإخوته من أمه وأبيه عبد الله وجعفر وعثمان يا بني أمري تقدموا حتى أرثكم فإنه لا ولد لكم ففعلوا وقتلوا.

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين قدم أخاه جعفراً بين يديه لأنه لم يكن له ولد ليحوز ميراثه العباس فشد عليه هاني بن ثبيت فقتله.

وفي مقتل العباس قال قدم إخوته لأمه وأبيه فقتلوا جميعاً فحاز مواريثهم ثم تقدم وقتل فوراً لهم وإياه عبد الله ونازعه في ذلك عمّه عمر بن علي فصوّل على شيء رضي به.

هذا غاية ما عندهما وقد تفردا به من بين المؤرخين وأرباب المقاتل ولا يخفى على من له بصيرة وتأمل بعده عن الصواب وما أدرى كيف خفي عليهما حيازة العباس ميراث إخوته مع وجود أمهم أم البنين وهي من الطبقة المتقدمة على الأخ ولم يجهل العباس شريعة تربى في خلالها.

على أن هذه الكلمة لا تصدر من أدنى الناس سيمما في ذلك

الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله فأي شخص كان يدور في خلده ذلك اليوم حيازة المواريث بتعريض ذويه وإخوته للقتل وعلى الأخص يصدر ذلك من رجل يعلم أنه لا يبقى بعدهم ولا يتهأ بمالهم بل يكون فعله لمحض أن تتمتع به أولاده.

بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يلوثوا بها ساحة ذلك السيد الكريم.

فهل ترغب أنت أن يقال لك عرضت إخوتك وبني أمك لحومة الوغى لتحوز مواريسيهم أم أن هذا من الدناءة والخسفة فلا ترضاه لنفسك كما لا يرغب به سوقة الناس وأدناهم فكيف ترضى أيها المصنف ذلك لمن علّم الناس الشهامة وكرم الأخلاق وواسى حجة وقته بنفسه الزاكية وكيف ينسب هذا لخريج تلك الجامعة العظمى والمدرسة الكبرى جامعة النبوة ومدرسة الإمامية وتربي بحجر أبيه وأخذ المعرف منه ومن أخويه الإمامين.

ولو تأملنا جيداً في تقاديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه وغاية مفاداته عن أخيه السبط فلذة كبد النبي ﷺ ومهجة البتول فإن من الواضح البين أن غرضه من تقاديمهم للقتل:

١ - إما لأجل أن يشتد حزنه ويعظم صبره ويرزاً بهم ويكون هو المطالب بهم يوم القيمة إذ لا ولد لهم يطالبون بهم.

٢ - وإما لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفاداة دون

الدين أمام سيد الشهداء ويشهد له ما ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد وابن نما في مثير الأحزان من قوله لهم (تقدموا حتى أراكم قد نصحتكم الله ولرسوله فإنه لا ولد لكم) ولم يقصد بهم المخايل وإنما رام أبو الفضل أن يتعرف مقدار ولائهم لقتيل العبرة وهذا منه عليه السلام إرفاق بهم وحنان عليهم وأداء لحق الأخوة بإرشادهم إلى ما هو الأصلح لهم.

٣ - وإنما لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه والتجهيز للجهاد بتقديم إخوته ليثاب أيضاً بأجر الصابرين ويحوز كلتا السعادتين وربما يدل عليه ما ذكره أبو الفرج في مقتل عبدالله من قول العباس له تقدم بين يديه حتى أراك قتيلاً وأحتسبك فكان أول من قتل من إخوته.

وذكر أبو حنيفة الدينوري أن العباس قال لإخوته: تقدموا بنفسي أنتم وحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعاً وقتلوا.

ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حيازة مواريثهم (وحاشاه) لم يكن لا حساب أخيه عبدالله معنى كما لا معنى لتنفيذتهم بنفسه الكريمة كما في الأخبار الطوال.

وهناك مانع آخر من ميراث العباس لهم وحده حتى لو قلنا على بعد ومنع بوفاة أم البنين يوم الطف فإن ولد العباس لم يكن

هو الحائز لمواريثهم لوجود الأطرف وعيده الله بن النهشلية فإنهمما يشتراكان مع العباس في الميراث كما يشاركهم سيد شباب أهل الجنة وزينب العقيلة وأم كلثوم ورقية وغيرهن من بنات أمير المؤمنين .

فكيف والحال هذا يختص العباس بالميراث وحده هذا كله إن قلنا بوفاة أم البنين يوم الطف ولكن التاريخ يثبت حياتها يومئذ وأنها بقية بالمدينة وهي التي كانت ترثي أولادها الأربع .

والذي أظنه أن منشأ ذلك التقول على العباس أنه أوقفهم السير على قوله لإخوته (لا ولد لكم) من غير رؤية وتفكير في غرضه ومراده فحسبوه أنه يريد الميراث فنوه به واحد باجتهاده أو احتماله وحسبه الآخرون رواية فشوهوا به وجه التاريخ ولم يفهموا المراد ولا أصابوا شاكلة الغرض فإن غرضه من قوله: لا ولد لكم تراقبون حاله بعدكم فأسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان .

على أن شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلي في النقد النزيه ، ج ١ ، ص ٩٩ ، احتمل تصحيف إرثكم من أرثكم بكم أو أرثكم وليس هذا بعيد وأقرب منه احتمال شيخنا الحجة الشيخ أغا بزرك مؤلف كتاب (الذرية إلى تصانيف الشيعة) تصحيف إرثكم من (أرثكم) فكأنه عليه السلام أراد أولاً أن يفوز بالإرشاد إلى

ناحية الحق وثانياً تجهيز المجاهدين وثالثاً البكاء عليهم ورثائهم
فإنه محبوب للمولى تعالى .

ويشبه قول العباس لإخوته قول عابس بن أبي شبيب الشاكري
لشوبن مولى شاكر يا شوبن ما في نفسك أنت تصنع؟ قال أقاتل
معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل فقال ذلك الظن بك
فتقدم بين يدي أبي عبدالله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من
أصحابه وحتى يحتسبك أنا فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى
به منك لسرني أن يتقدم بين يديه حتى يحتسبه فإن هذا يوم ينبغي
لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه فإنه لا عمل بعد اليوم
وإنما هو الحساب (الطبرى، ج ٦، ص ٢٥٤).

حاديـث الصـادـق

إن مما يتعرف منه منزلة أبي الفضل العالية وإثبات الخصال الحميـدة له إـخـبار أئـمـة الـدـين الـعـارـفـين بـضـمـائـر الـعـبـاد وـسـرـائـرـهـم الـواـقـفـين عـلـى نـفـسـيـات الـأـمـمـة عـن كـثـبـ بـتـحـقـقـهـا فـيـهـ وـقـدـ عـبـثـ أـيـديـ التـلـفـ فـيـ أـكـثـرـهـا فـإـنـ الصـدـوقـ يـحـدـثـ فـيـ الـخـصـالـ ، جـ ١ـ ، صـ ٣ـ٥ـ ، بـعـدـ ذـكـرـهـ حـدـيـثـ السـجـادـ فـيـ فـضـلـ الـعـبـاسـ أـنـهـ أـخـرـجـ الـخـبـرـ بـتـمـامـهـ مـعـ أـخـبـارـ فـيـ فـضـائـلـ الـعـبـاسـ فـيـ كـتـابـ مـقـتـلـ الـحـسـينـ عـلـيـهـالـلـهـاـ .

وـظـاهـرـهـ أـنـ هـنـاكـ أـخـبـارـاـ كـثـيرـةـ فـيـ فـضـلـ أـبـيـ الـفـضـلـ زـوـيـتـ عـنـ كـكـتـابـهـ الـمـقـتـلـ . وـلـاـ غـرـوـ فـلـقـدـ اـنـدـثـرـ بـتـعـاقـبـ الـحـوـادـثـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـؤـلـفـاتـ .

وـكـيـفـ كـانـ فـلـلـعـلـ منـ تـلـكـ الـأـخـبـارـ مـاـ رـوـاهـ فـيـ عـمـدـةـ الطـالـبـ عـنـ الشـيـخـ الـجـلـيلـ أـبـيـ نـصـرـ الـبـخـارـيـ النـسـابـةـ عـنـ الـمـفـضـلـ بـنـ عـمـرـ أـنـهـ قـالـ قـالـ الصـادـقـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ عـلـيـهـالـلـهـاـ : كـانـ عـمـنـاـ الـعـبـاسـ بـنـ عـلـيـ نـافـذـ الـبـصـيرـةـ صـلـبـ الـإـيمـانـ جـاهـدـ مـعـ أـبـيـ عـبـدـالـلـهـ وـأـبـلـيـ بـلـاءـ حـسـنـاـ وـمـضـىـ شـهـيدـاـ .

وكذلك قوله عليه السلام في ما عَلِمَ شيعته أن يخاطبوه به من لفظ الزيارة المروية بسند صحيح متفق عليه فإنه عند التأمل في ما خاطبه به الإمام العارف بأساليب الكلام ومقتضيات الأحوال تظهر لنا الحقيقة ونعرف منزلة للعباس سامية لا تعلو منزلة المعصومين .

فقال عليه السلام في صدر سلام الإذن :

«سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصديقين الزاكيات الطيبات في ما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين» .

فإنه أشار بهذا إلى مصب سلام الله الذي هو رحمته المتواصلة وعطفه غير المجدوذ للذان لا انقطاع لهما وسلام الملائكة المشاهدين لمقادير الرجال في ملأ القدس وحظيرة الجلال وسلام الأنبياء الذين لا يعدون مرضاة الله ووحيه في أفعالهم وتروكهم وسلام الصالحين والشهداء الذين أدركوا بفضل الاتصال بالرسل وأوصيائهم أو بالتجدد ومشاهدة الحقائق الثابتة في عالم الغيوب زيادة على ما عرفوه من مقام أبي الفضل وفضله فكل هؤلاء يتقربون إلى الله تعالى بالدعاء له واستنزل الرحمة منه سبحانه وإهداء التسليمات إليه لما عرفوا أنه من أقرب الوسائل إليه وحيث كانت خالصة للزلفة ماحضة في التقرب إليه جل ذكره عادت زاكية طيبة بنص الزيارة (الزاكيات الطيبات) وأما على

رواية ابن قولويه في كامل الزيارة من زيادة (واو العطف) قبل الزاكيات الطيبات فيراد بهما العنایات الخاصة التي ليست بدعاً من أحد ولا بأسباب عادية ولا يعدم هذه الأنبياء والأوصياء والأقلون ممن اقتدوا أثراً لهم وليسوا هي شرعة لكل وارد وإنما يحظى بها الأفذاذ ممن كهربتهم القدسية الإلهية وجذبهم جاذبة الصبح الربوبي وهكذا المقربون والأفذاذ عند صعودهم.

وإذا قرأنا زيارة الصادق عليه السلام لجده الحسين سلام الله وسلام ملائكته في ما تروح وتغدو والزاكيات الطاهرات لك وعليك سلام الملائكة المقربين وال المسلمين لك بقلوبهم والناطقين بفضلك إلخ^(١). وضح لنا أن منزلة أبي الفضل تصاهي منزلة الحسين حيث أثبت له مثل هذا السلام.

ثم قال عليه السلام :

(أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل).

ههنا أثبت لأبي الفضل منزلة التسليم التي هي من أقدس منازل السالكين وفوق مرتبة الرضا والتوكل فإن أقصى مرتبة الرضا أن يكون محبوب المولى سبحانه محبوباً له موافقاً لطبعه

(١) مزار البحار: ص ١٤٨، عن الكامل.

فالطبع ملحوظ فيه وأقصى مراتب التوكل أن ينزل نفسه بين يدي المولى سبحانه وتعالى منزلة الميت بين يدي الغاسل بحيث لا إرادة له إلا ما يفعله الغاسل به فصاحب التوكل مسلوب الإرادة وأما صاحب التسليم فلا يرى لغير الله وجوداً مع الله فضلاً عن نفسه ولا يكون له طبع يوافق أو يخالف في الإرادة أو نفسها قد تنفست بالإرادة فهو قريب من عالم الفناء وهذه المرتبة فوق مرتبة التوكل التي هي فوق مرتبة الرضا لا تحصل إلا بال بصيرة النافذة والوصول إلى أعلى مراتب اليقين تلك المرتبة التي أخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام «لو كشف الغطاء ما ازدلت يقيناً».

وأما العناوين الثلاثة وهي «التصديق والوفاء والنصيحة» فلا شك أن الإمام يريد أن أبا الفضل في أرقى مراتبها لأنبعاثها عن التسليم وهو حق اليقين فإنه المناسب لتصديقه ب أخيه الحجة وبنهضته في ذلك الموقف الحرج وهكذا وفاؤه ونصيحته فإن وفاء شخص آخر كما يمكن أن يكون لأجل الأخوة والرحم والصحبة ويمكن أن يكون لأجل المعرفة التامة بما أوجب الله له من الحرمة والحق على الأمة.

وحيث إن الإمام أثبت لأبي الفضل أرقى مرتبة السالكين وهي التسليم اللازم لحق اليقين فلا بد أن يكون ما صدر منه من التصديق بنهضة أخيه والوفاء لحقه والمناصحة في العمل منبعاً عن حق اليقين بذلك الواجب لا لأجل أن الحسين أخوه أو

رحمه أو ابن رسول الله فإن هذه المرتبة وإن مدح عليها الشخص إلا أن المرتبة الأولى أرقى وأرفع ولا ينالها إلا ذوو النفوس القدسية ممن وجبت لهم العصمة.

ويؤيد ذلك تعقيب العناوين الثلاثة بقوله ﷺ (لخلف النبي المرسل) فإنه لو لم يرد هذا لقال في الخطاب لأخيك أو للحسين أو لابن أمير المؤمنين فالتعبير بخلف النبي لا يراد منه إلا أن الدافع لأبي الفضل على التسليم والتصديق والوفاء والنصيحة بالمفاداة إلا كون الحسين إماماً مفروضاً الطاعة وهذا مغزى لا يبعث إليه إلا البصيرة المميزة لشرف الغايات المترحية لكرائمه.

ثم إن من تخصيص الإمام الخطاب له دون غيره من الشهداء بقوله «لعن الله من جهل حرقك واستخف بحرمتك». نعرف أن غيره من الشهداء لم يدرك هذا المدى وإن كان لكل منهم حقاً وحرمة إلا أن شبل أمير المؤمنين كانت معارفه أوسع وإيمانه أثبت فكان له حق في الدين وحق على الأمة لا ينكر فاستحق بكل منهما اللعن على جاهله والمستخف به فالشهداء وإن أخلصوا في التضحية والمفاداة وكان منبعاً عن طهارة الضمائر والمعرفة بحق الإمام فلهم حقوق وحرمات لكن لحق العباس منعة بين هاتيك الحقوق ولحرمته بذخ بين تلك الحرمات بعدما ثبت منهم لأخيه الإمام المظلوم لنفوذ بصيرته وصلابة إيمانه بنص الصادق.

ثم قال الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة داخل الحرم:

(أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى عليه البدريون).

لقد جرى التشبيه بالبدريين مجرى التقريب إلى الأذهان في الإشادة ب موقف أبي الفضل من البصيرة فإن أهل بدر أظهر أفراد أهل البصائر لأنهم قابلوا طواغيت قريش على حين ضعف في المسلمين وقلة في العدة والعتاد فلم يملكو إلا فرسين أحدهما لمرثد بن مرثد الغنوبي والآخر للمقداد بن الأسود الكندي وكانوا يتعاقبون على سبعين بعيراً الاثنين والثلاثة^(١).

لكنهم خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوة بقوة الإيمان وعتاد البصيرة إلا من استولى الرين على قلبه فردو سيف قريش مفلولة ورماحهم محطمة وجموعهم بين قتلى وأسرى ومشددين فحظوا بأول فتح إسلامي قويت به دعائمه وشيدت معالمه مع الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة مسومين^(٢).

وأعظم من ذلك مشهد الطف الذي التقطت فيه أمواج الموت وكشفت الحرب عن ساقها وكشرت عن نابها.

وللأخطار وجه مكفره يشيب لهوله المردي الغلام

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ٣، ص ٣١٩ و ٣٢٠.

(٢) سورة آل عمران، ١٢٤.

ترى الأبطال من فرقٍ سكارى يدار من الردى فيهم مدام
فقال لهم عصبة الحق من غير مدد يأملونه أو نصرة يرقبونها
والعطش معتلج في صدورهم ونشيج الفواطم من ورائهم فتلقوا
جبال الحديد بكل صدر رحيب وجنان طامن فلم تسلّ تلك
النفوس الطاهرة إلا على فتل أمية المنقوض ولا أريقت دمائهم
الزاكية إلا على حبلهم المنتكث فلم تبرح آل حرب إلا كلعنة
الكلب أنفه حتى اكتسحت معرتهم من أديم الأرض وتفرقوا أيدي
سبأ في يوم الطف فتح إسلامي بعد الجاهلية المستردة من جراء
أعمال الأمويين^(١).

وإليه أشار الإمام الشهيد في كتابه إلىبني هاشم لما حل
أرض كربلاء (من لحق بنا منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ
الفتح)^(٢).

فإنه ﷺ لم يرد بالفتح إلا ما ترتب على نهضته المقدسة
وتضحيته الكريمة من نقض دعائم الإلحاد وكسر أشواك الباطل

(١) لقد أجاد العلامة السيد باقر نجل آية الله السيد محمد الهندي رحمة الله إذ يقول:

لكان ما كان يوم الطف يكفيانا
وأقبلت كالدباء زحفاً أعادينا
هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا

لو لم تكن جمعت كل العلا فينا
يوم نهضنا كأمثال الأسود به
جاؤوا بسبعين ألفاً سل بقيتهم
(٢) كامل الزيارة: ص ٧٥

عن صراط الشريعة المطهرة وإحياء دين جده الصادع به الذي
لاقى المتابع في تأييده وتشييده.

وأنت أيها البصير إذا استشففت الحادثة من وراء نظارة في
التنقيب تجد سيدنا أبا الفضل سيد القوم بعد أخيه السبط وهو
المسدد لهم في النضال.

كما أن الباحث إذا أعطى النظر حقه يجد ضحايا (الطف)
أشد انقطاعاً عن المدد من مجاهدي يوم بدر وأبلغ بأساً وأقل
عدهاً مع اكتناف الكوارث بهم وإعواز الملجأ أكثر مما احتف
بأهل بدر مع أن المناوئين لشهداء (الطف) أوفر عدداً وأقوى
عتاداً وأوثق مداداً، وأن لهم دولة مؤسسة تنضدт جحافلها
وخفقت بنودها وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر فلقد كان
المحاربون للمسلمين شتات من طواغيت العرب حداهم إلى
الحرب بواعث الحقد والنخوة ومن المحتمل القريب انحلال
جامعتهم إذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنهم كانوا يفقدون
أي مدد من القبائل ولم يخرجوا متأهبين للاستمداد حيث ظنوا
خوراً في المسلمين وحسبوا استئصال شأفتهم وأنهم كشربة ماء
(ولكن لا مبدل لحكم الله تعالى).

فال موقف يوم الطف أحرج والكرب أكثر والمقاساة أصعب
وبقدر المشقة تجري الأجر وتقسم الفضائل فشهداء كربلا أولى
بالفضيلة.

وَضَرَبَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَثَلَ لَهُمْ بِأَهْلِ بَدْرٍ إِذْ يَقُولُ (أَنَّكُمْ مُضِيَتُمْ عَلَى مَا مُضِيَتْ عَلَيْهِ الْبَدْرِيُّونَ) لَا يُوجِبُ فَضْيَلَةُ أَهْلِ بَدْرٍ عَلَيْهِمْ كَمَا هِيَ قَاعِدَةُ التَّشْيِيْهِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّقْرِيبِ إِلَى الْأَفْهَامِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَثَلُ نُورٍ كَيْشُكُوْرَةٍ فِيهَا مَصَبَّاحٌ مِصَبَّاحٌ﴾ .

وَأَيْنَ مِنَ النُّورِ الْإِلَهِيِّ الْمَشْكَاهُ وَمَصَبَّاهُ وَلَكِنْ لَمْ تَدْرِكْ الْأَبْصَارُ ذَلِكَ النُّورُ الْأَقْدَسُ وَإِنَّمَا تَدْرِكُهُ الْبَصَائِرُ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَثَلَ بِمَا يَدْرِكُونَهُ تَقْرِيبًا لِلْأَذْهَانِ وَهَذَا الْحَالُ فِي مَا نَحْنُ فِيهِ .

وَإِلَى هَذِهِ الدِّقِيقَةِ وَقَعَ الْإِعْيَازُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَا بَعْدِ هَذِهِ الْفَقْرَةِ مِنَ الْزِيَارَةِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«فَجُزِّاكَ اللَّهُ أَفْضَلُ الْجَزَاءِ وَأَكْثَرُ الْجَزَاءِ وَأَوْفَرُ الْجَزَاءِ وَأَوْفَى جَزَاءً أَحَدَ مَنْ وَفَى فِي بَيْعَتِهِ وَاسْتِجَابَ لِهِ دُعَوَتِهِ وَأَطَاعَ وَلَاهُ أَمْرَهُ» .

فَلَوْ كَانَ فِي الْمُجَاهِدِينَ مَنْ هُوَ أَوْفَرُ فَضْلًا مِنْ أَبْيِ الْفَضْلِ الْعَبَاسِ لَكَانَ هَذَا الدُّعَاءُ أَوْ الْإِخْبَارُ عَنْ أَمْرِهِ شَطَطًا مِنَ الْقَوْلِ خَارِجًا عَنْ مِيزَانِ الْعَدْلِ تَعَالَى عَنْهُ كَلَامُ الْمَعْصُومِ إِذْنَ لَمْ يَكُنْ غَيْرَهُ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ مُطْلَقًا أَوْفَرُ فَضْلًا وَلَا أَكْثَرُ جَزَاءً وَلَا أَوْفَى بَيْعَةً إِلَّا مِنْ أَخْرَجَهُ الدَّلِيلُ مِنَ الْأَئْمَةِ الْمَعْصُومِينَ .

ثُمَّ إِنْ هَنَاكَ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى ثَبَّتَ لِأَبِي الْفَضْلِ خَصَّهُ بِهَا الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ :

«أشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود
فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء
وأعطاك من جنانه أفسحها منزلًا وأفضلها غرفةً».

فإن المبالغة في أمثل المقام عبارة عن بلوغ الأمر إلى حدوده
الالازمة وكم له من نظير في استعمالات العرب ومحاوراتهم ولا
شك أن كل واحد من شهداء الطف قد بالغ في النصيحة ولم يأْلِ
جهدًا في أداء ما وجب عليه ولكل منهم في ذلك المشهد الدامي
شواهد من أقواله وأعماله.

ومن المسلم أن المعروف بقدر المعرفة كماً وكيفاً فصاحب
السنام الأرفع في العرفان المتربع على أعلى منصة من الإيمان لا
بد وأن يقاسي أشد ضروب الجهاد ويتباهى بأجمل مظاهره من
الدؤوب على الحرب والضرب وإن طال المدى وبعد الأمد إن
كان الجهاد نضالاً كما لا بد له من المثابرة على مكافحة النفس
الأمارة وكسر شوكتها وردة صولتها وكبح جماحها وترويض
النفس بالطاعة وإلزامها بلوازمها الشاقة طيلة حياتها إن كان
الجهاد نفسيًا.

وفي هاتين الحالتين لا بد وأن يكتنف العمل المقارنات
المطلوبة مثل نية القربة والإخلاص فيها المنبعث عن حب المولى
سبحانه الحادي إلى معرفة تؤهله إلى الطاعة وعن معرفة نعم

الباري عز وجل الواجب شكرها وعن الهيبة الناشئة عن لحاظ عظمته إلى أمثال هذه من الملحوظات.

وقصيرى القول كما أن مراتب الإيمان والمعرفة متفاوتة مقوله بالتشكىك كذلك مراتب العمل متفاوتة حسب تفاوت تلك المراتب فصاحب عمل كل مرتبة محدود بحدودها.

وحيينئذ فلا شك أن كل واحد من شهداء الطف وإن بلغ الغاية في الجهاد وأدى حق النصيحة لكن (شهيد العلقمي) لما كانت بصيرته أنفذ وعلمه أوفى وإيمانه أثبت كان مداه أبعد وغايته أسمى وحدوده أوسع ولذلك خاطبه الصادق عليه السلام بهذا الخطاب وخصه بالعبارة في التضحية فكان هذا كفضيلة مخصوصة به لأن هاتيك المراتب الراقية لم توجد في غيره.

ولعل من ناحية هذه المراتب الثلاث ثبت له عليه السلام حق في الدين وحق على الأمة وحرمة لا تنكر فاستحق أن يخاطبه الإمام في سلام الإذن بقوله :

(عن الله من جهل حقك واستخف بحرملك).

وهناك درجة أربى وأرفع أشار إليها الصادق بقوله :
(ورفع ذكرك في عليين).

فإن «حامى الشريعة» لم يبرح مواصلاً في الخدمات حتى أقبل إلى الله تعالى متلفعاً بدم الشهادة شهادة صك نبؤها مسامع

الملكوت حتى اشرأب له هنالك من أنبياء ومرسلين وحجج
معصومين وملائكة مقربين وحور وولدان وأرواح مقدسة
ومقدسات زاكيات طيبات فلم يلق عليه السلام في صعوده إليهم إلا ثغوراً
باسمة ووجوهاً مستبشرة وإيذاناً له بالبشرى الخالدة ونعميم الأبد
فطفق يرفل بين ذلك الجيل القدسي الراهن بنور العصمة ورونق
العلم وهيبة العظمة وسمات الجلاله وشارات النزاهة وبهجة
العطف الإلهي وبهاء النظر إلى الجلال السرمدي والاتصال
بالرضوان الأكبر وعليه أبهة الولاء وجلاله الطاعة وبلح التضحية
وزلفي المفادة وزهو العلم والعمل ولذكره في ذلك المنتدى
الرهيب رفعة ومنعة وإليه يشير الإمام الصادق عليه السلام في لفظ الزيارة
(ورفع ذكرك في عليين).

فإن الغرض من هذا التعبير ليس إلا ما شرحناه لا مجرد
صعود ذكره الطيب إلى ذلك الملا الأرفع شأن كل صالح في
عالم الوجود لكن الشأن كله أن يكون لذكره المجيد هنالك بذخ
وإكبار فيرمه كل طرف بنظر الإجلال ويسمع الهتاف به بأذن
التقدير وتنعقد الضمائر على تقديسه ولو أراد الإمام مجرد ذكره
إلى ذلك العالم القدسي لقال في الخطاب (ورفع ذكرك إلى
عليين) ولكن حيث إنه أراد رفع الذكر بين أفراد أولئك الذين
اختص محلهم فيه جاء بفاء الظرفية فقال (في عليين).

وأما قوله عليه السلام في الزيارة التي رواها المجلسي في مزار البحار ص ١٦٥ ، عن مزار الشيخ المفید وابن المشهدی .

«لعن الله أمة استحلت منك المحارم وانتهكت فيك حرمة الإسلام»

فيرشدنا إلى مكانة سامية لأبي الفضل تصل به إلى فوق مرتبة العصمة فإننا لم نجد مثل هذا الخطاب في أي واحد من الشهداء مع بلوغهم أعلى مرتبة الفضل التي لم يحزنها أي شهيد غيرهم حتى استحقوا أن يخاطبهم الإمام في زيارة النصف من رجب قوله (السلام عليكم يا مهديون السلام عليكم يا طاهرون من الدنس) ويقول أيضاً (طبت وطابت الأرض التي فيها دفتكم) .

بل لم يخاطب بمثل ذلك علياً الأكبر الذي لا شك في عصمه ومنه يظهر أن للعباس منزلة ومقاماً يشارف مقام الحجج المعصومين عليهم السلام تناط به حرمة الإسلام كما تناط بهم صلوات الله عليهم وأنها تنتهك بمثله كما تنتهك بمثلهم عليهم السلام وهذا مقام فوق العصمة المرجوة له .

١٩٨ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

العباس في نظر الأئمة

إنني لا أحسب القارئ في حاجة إلى الإفاضة في هذه الغاية
بعدما أوقفناه على مكانة أبي الفضل عليه السلام من العلم والتقوى
والملكات الفاضلة من إباء وشمم وتضحية في سبيل الهدى
وتهالك في العبادة فإن أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام يقدرون
لمن هو دونه في تلکم الأحوال فضله فكيف به وهو من لحمتهم
وفرع أرموتهم وغضن باسق من دوحتهم وقد أثبت له الإمام
السجاد منزلة كبرى لم ينلها غيره من الشهداء ساوي بها عمه
الطيار فقال عليه السلام :

رحم الله عمي العباس بن علي فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه
بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة
في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب وإن للعباس عند الله
تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيمة^(١).

(١) الخصال: ج ١، ص ٣٥، في باب الاثنين.

ولفظ الجميع يشمل مثل حمزة وجعفر الشاهدين للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة وقد نفى البعد عنه العلامة المحقق المتبصر في الكبريت الأحمر، ص ٤٧، ج ٣.

ولعل ما جاء في زيارة الشهداء يشهد له (السلام عليكم أيها الربانيون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع وأنصار وأنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة) ^(١).

وكذلك قوله عليه السلام فيهم إنهم لم يسبقهم ساق ولا يلحقهم لاحق ^(٢).

فقد أثبتت لهم السيادة على جميع الشهداء وأنهم لم يسبقهم ولا يلحقهم أي أحد وأبو الفضل في جملتهم بهذا التفضيل وقد انفرد عنهم بما أثبته له الإمام السجاد من المنزلة التي لم تكن لأي شهيد.

ولهذه الغايات الثمينة والمراتب العليا كان أهل البيت عليهم السلام يدخلونه في أعلى أمورهم ما لا يتدخل فيه إنسان عادي فمن ذلك مشاطرته الحسين في غسل الحسن ^(٣).

وأنت بعدما علمت مرتبة الإمامة وموافق صاحبها من العظمة وأنه لا يلي أمره إلا إمام مثله فلا ندحة لك إلا الإيمان بأن من له

(١) مزار البحار: ص ١٤٩، من كامل الزيارة.

(٢) المنتخب للطريحي.

(٣) ذخائر العقبي: ص ١٤١.

أي تدخل في ذلك بالخدمة من جلب الماء وما يقتضيه الحال أعظم رجل في العالم بعد أئمة الدين فإن جثمان المعمصون عند سيره إلى المبدأ الأعلى تقدست أسماؤه لا يمكن أن يقرب أو ينظر إليه من تفاسع عن تلك المرتبة إذ هو مقام قاب قوسين أو أدنى ذلك الذي لم يطق الروح الأمين أن يصل إليه حتى تقهقر وغاب النبي الأقدس في سباحات الملوك والجلال وحده إلى أن وقف الموقف الرهيب .

وهكذا خلفاء النبي ﷺ المشاركون له في المآثر كلها ما خلا النبوة والأزواج^(١) ومنه حال انقطاعهم عن عالم الوجود بانتهاء أمد الفيض المقدس .

ومما يشهد له أن الفضل بن العباس بن عبد المطلب كان يحمل الماء عند تغسيل النبي ﷺ معاوناً لأمير المؤمنين ع على غسله ولكنه عصب عينيه خشية العمى إن وقع نظره على ذلك الجسد الطاهر .

ومثله ما جاء في الأثر عن الإشراف على ضريح رسول الله حذراً أن يرى الناظر شيئاً فيعمى^(٢) وقد اشتهر ذلك بين أهل

(١) في الحديث عن الصادق ع إنا ورثنا رسول الله فما كان له كان لنا إلا النبوة والأزواج .

(٢) مرآة العقول : ج ١ ، ص ٣٧٣ .

المدينة فكان إذا سقط في الضريح شيء أنزلوا صبياً وشدوا عينيه
بعصابة فيخرجه.

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر وليس لنا إلا التسليم
على الجملة ولا سبيل لنا إلى الإنكار بمجرد بعدها عن إدراك
مثلها خصوصاً بعد استفاضة النقل في أن للنبي والأئمة بعد
وفاتهم أحوالاً غريبة ليس لسائر الخلق معهم شركة فيها كحمة
لحوهم على الأرض وصعود أجسادهم إلى السماء ورؤية بعضهم
بعضاً وإحياءهم الأموات منهم بالأجساد الأصلية عند الاقتضاء إذ
لا يمنع العقل منه مع دلالة النقل الكثير عليه واعتراف الأصحاب
به^(١).

(١) قال الشيخ المفيد في المقالات إن الأئمة يسمعون كلام المناجي لهم عند
مراقبتهم المعظمة ولا تخفي عليهم أحوال شيعتهم في دار الدنيا إعلاماً من
الله لهم حالاً بعد حال.

ووافقه عليه الكراجكي في كنز الفوائد والمجلسي في مرآة العقول ج ١،
ص ٣٧٣، والشيخ كاشف الغطاء ص ٥١، في رسالته منهج الرشاد وفي دار
السلام، ج ١، ص ٢٨٩، أن لحوهم محرمة على الأرض وأنها ترتفع إلى
السماء بعد ثلاثة أيام وحکى عن الشيخ الأعظم قدوة السالكين المولى فتح
علي بن المولى حسن السلطان آبادي أنه لما زار أمير المؤمنين عليه السلام ورجع
إلى مشهد الحسين أسف على عدم مذاكرته مع علماء النجف في مسألة
بقاء جسد الإمام طریاً أو أنه يبلی فرأى في المنام أنه داخل إلى الروضة
فرأى جسداً موضوعاً على الحصیر والدم يجري من أعضائه فسأل عنه =

فيصار التحصيل أن الحواس الظاهرة العادية لا تتحمل مس تلك الأمثلة القدسية وهي في حال صعودها إلى سبات القدس إلا نفوس المعصومين بعضها مع بعض دون غيرهم مهما بلغ من الخشوع والطاعة .

لكن (عباس المعرفة) الذي منحه الإمام في الزيارة أسمى صفة حظي بها الأنبياء والمقربون وهي (العبد الصالح) تسنى له التوصل إلى ذلك الم محل الأقدس من دون أن يذكر له تعصيB عين أو إغفاء طرف فشارك السبط الشهيد والرسول الأعظم ووصيه المقدم مع الروح الأمين وجملة الملائكة في غسل الإمام المجتبى الحسن السبط صلوات الله عليهم أجمعين^(١) .

وهذه هي المنزلة الكبرى التي لا يحظى بها إلا ذوي النفوس القدسية من الحجاج المعصومين ولا غرو أن غبط أبا الفضل الصديقون والشهداء والصالحون .

= قيل إنه جسد الحسين أما علمت أن أجسادهم لا تبلى .

(١) روى الصفار في بصائر الدرجات عن الباقي^{عليه السلام} أن أمير المؤمنين شاهد جبرئيل والملائكة يعيونه على غسل النبي وتكفينه وحفر القبر ونزوL لهم معه في القبر وكذا شاهدهم مع النبي^{عليه السلام} الحسن والحسين يعيونهما على غسل أمير المؤمنين وتكفينه وشاهدهم الحسين مع النبي وأمير المؤمنين يعيونه على غسل الحسن وشاهدهم الباقي مع النبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين يعيونه على غسل أبيه السجاد .

وإذاقرأنا قول الحسين للعباس لما زحف القوم على مخيمه
عشية التاسع من المحرم «اركب بنفسك أنت يا أخي حتى تلقاهم
وتسألهما عما جاء بهم فاستقبلهم العباس في عشرين فارساً فيهم
حبيب وزهير وسألهم عن ذلك فقالوا إن الأمير يأمر إما النزول
على حكمه أو المنازلة فأخبر الحسين فأرجعه ليرجئهم إلى
غد^(١).

فإنك ترى الفكر يسف عن مدى هذه الكلمة وأنى له أن يحلق
إلى ذروة الحقيقة من ذات مطهرة تفتدي بنفس الإمام علة
الكائنات وهو الصادر الأول والممكן الأشرف والفيض الأقدس
للممكناة (وبكم فتح الله وبكم يختتم)^(٢).

نعم عرفها البصير الناقد بعد أن جربها بمحك التزاهة فوجدها
غير مشوبة بغير جنسها ثم أطلق تلك الكلمة الذهبية الشمينة (ولا
يعرف الفضل إلا أهله).

ولا يذهب بك الظن أيها القارئ الفطن إلى عدم الأهمية في
هذه الكلمة بعد القول في زيارة الشهداء من زيارة وارث «بأبي
أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم» فإن الإمام في
هذه الزيارة لم يكن هو المخاطب لهم وإنما هو عليه السلام في مقام

(١) الطبرى: ج ٦، ص ٢٣٧.

(٢) الزيارة الجامعة.

تعليم صفوان الجمال عند زيارتهم أن يخاطبهم بذلك الخطاب فإن الرواية جاءت كما في مصباح المتهدج للشيخ الطوسي أن صفوان قال استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة الحسين وسألته أن يعرّفني ما أعمل عليه فقال له يا صفوان صم قبل خروجك ثلاثة أيام إلى أن قال ثم إذا أتيت الحائر فقل الله أكبر كبيراً ثم ساق الزيارة إلى أن قال ثم اخرج من الباب الذي يليه رجل يليه علي بن الحسين وتوجه إلى الشهداء وقل السلام عليكم يا أولياء الله إلى آخرها فالصادق في مقام تعليم صفوان أن يقول في السلام على الشهداء ذلك وليس في الرواية ما يدل على أن الصادق ماذا يقول لو أراد السلام عليهم .

وهنا ظاهرة أخرى دلت على منزلة كبرى للعباس عند سيد الشهداء ذلك أن الإمام الشهيد لما اجتمع بعمر بن سعد ليلاً وسط العسكريين لإرشاده إلى سبيل الحق وتعريفه طغيان ابن ميسون وتذكيره بقول الرسول في حقه أمر عليه السلام من كان معه بالتنحي إلا العباس وابنه علياً وهكذا صنع ابن سعد فبقي معه ابنه وغلامه .

وأنت تعلم أن ميزة أبي الفضل على الصحابة الأكارم وسرورات المجد من آل الرسول الذين شهد لهم الحسين باليقين والصدق في النية والوفاء غير أنه عليه السلام أراد أن يوعز إلى الملا من بعده ما لأبي الفضل وعلى الأكبر من الصفات التي لا تحدوها العقول .

ومن هذا الباب لما خطب يوم العاشر وعلا صراغ النساء وعويل الأطفال حتى كان بمسامع الحسين وهو ماثل أمام العسکر أمر أخاه العباس أن يسكتهن حذار شماتة القوم إذا سمعوا ذلك العويل وغيرها على نواميس حرم النبوة أن يسمع أصواتهن الأجانب.

ولو رمت تحليلًا لتأخر شهادة العباس عن جميع الشهداء وهو حامل تلك النفس النزاعة إلى المفادة والتهلكة دون الدين فلا يمكنه حينئذ التأخر آنًا ما فكيف بطيلة تلك المدة وبمرأى منه مصارع آل الله ونشييج الفواطم وإقبال الشر من جميع نواحيه واضطهاد حجة الوقت بما يراه من المناظر الشجيبة والواحد من تلك لا يترك (الحامل اللواء) مساغًا عن تأخير الترات آنًا ما.

لكن أهمية موقفه عند أخيه السبط هو الذي أرجأه عن الإقدام فإن سيد الشهداء يعد بقاءه من ذخائر الإمامة وإن موته تفت في العضد فيقول له (إذا مضيت تفرق عسكري) حتى إنه في الساعة الأخيرة لم يأذن له إلا بعد أخذ ورده.

وإن حديث (الإيقاد) لسيدنا المتبع الحجة السيد محمد علي الشاه عبد العظيم قدس سره يوقفنا على مرتبة تصاهي مرتبة المعصومين ذلك أنه لما حضر السجاد عليه السلام لدفن الأجساد الطاهرة ترك المجال لبني أسد في نقل الجثث الزواكي إلى محلها الأخير

عدا جسد الحسين وجثة عمه العباس فتولى وحده إِنْزَالُهُمَا إِلَى
مقرهما أو إِصْعَادُهُمَا إِلَى حظيرة القدس وقال (إن معي من
يعينني) أما الإمام فالأمر فيه واضح لأنه لا يلي أمره إلا إمام مثله
ولكن الأمر الذي لا نكاد نصل إلى حقيقته وكنهه فعله بعمره
الصديق الشهيد مثل ما فعل بأبيه الوصي وليس ذلك إلا لأن ذلك
الهيكل المطهر لا يمسه إلا ذوات طاهرة في ساعة هي أقرب
حالاته إلى المولى سبحانه ولا يدنو منه من ليس من أهل ذلك
المحل الأرفع.

ولم تزل هذه العظمة محفوظة له عند أهل البيت دنياً وآخرة
حتى إن الصديقة (الزهراء) لا تبتدىء بالشكایة بأي ظلامة من
ظلمات آل محمد وهي لا تحصى إلا بـكَفَّيْ أبي الفضل
المقطوعتين كما في الأسرار ص ٣٢٥، وجواهر الإيقان ص
١٩٤، وقد ادخرتهما من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس
لرب العالمين.

العصمة

إن من الممكن جداً وليس بمحال على الله تعالى أن ينشئ كياناً لا تقترب منه العيوب أو يخلق إنساناً لا يقترف الذنوب ولقد أوجد جل شأنه ذواتاً مقدسة ونفوساً طاهرة وجبت فيهم العصمة من الآثام وتنزهوا عن كل رجس ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقد اتفق أرباب الحديث والترجم على حصر هؤلاء المنزهين بالخمسة أصحاب الكسأء وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

نعم أثبت أصحاب السيرة ما يضحك التكلى ويلحق بالخرافات (فكان للغير مجال الطعن والمناقشة ذكروا أن النبي ﷺ لما بلغ من العمر سنتين وكان خلف البيوت عندبني سعد مع أتراب له أتاه رجلان عليهما ثياب بيض مع أحدهما طست من ذهب مملوء ثلجاً فشققا بطنها وقلبه واستخرجها منه علقة سوداء هي مغمز الشيطان).

وطربوا لذلك حيث إن الله بلطفه وكرمه قدس نبيه الكريم من هذه العلقة ولكن ما أدرى لماذا صنع به هذه العملية الدامية وهو طفل صغير لا يقوى على تحمل الآلام ومعاناة الجروح الدامية ألم يكن في وسع القدرة الإلهية إيجاد ذات مقدسة طاهرة من الأرجاس حتى عن هذه العلقة المفسرة بمحض الشيطان كيف لا وقد خلقه الله من نور قدسه وبرأه من جلال عظمته واصطفاه من بين رسالته وفضله على العالمين وفي الحديث عنه عليه السلام إن الله خلقني من صفوة نوره ودعاني فأطعته وحينئذ فهل يتصور نقص في النور الأقدس تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً

تلك نفس عزت على الله قدرًا فارتضها لنفسه واصطفها حاز من جوهر التقدس ذاتاً تاهت الأنبياء في معناها لا تجل في صفات أحمد فكرًا فهي الصورة التي لن تراها وأغرب من ذلك جواب السبكي عن هذه المشكلة بأن الله أراد أن يخلق نبيه أولاً كاملاً لا نقصان فيه عن سائر الناس حتى في مثل هذه العلقة لكونها من الأجزاء ثم بعد ذلك ظهره منها .

والعجب عد هذه العلقة من أجزاء بدن الإنسان التي يوجب فقدها نقصان الخلقة وقد تنزع عنها جلال النبوة .

على أنه أثبت ولادة النبي مختوناً وهذا أظهر في النقصان عما وجد عليه البشر من العلقة لكونها غير مرئية وجواب الحلبي في

السيرة، ج١، ص ١١٥، بأنه إنما ولد مختوناً لئلا يطلع عليه المحرم وتنكشف عورته لا يرفع إشكال النقصان عما عليه الناس.

وكيف كان فقد ثبت إمكان أن يخلق الله تعالى ذاتاً مقدسة منزهة عن الأرجاس معصومة عن الخطأ وقد يجب ذلك كما في الهداة المعصومين لكي يهدي بهم الناس وأما في غيرهم من الأطهار فلا يجب ولكنه غير ممتنع فمن الممكن أن يمنح الباري سبحانه أبداً من البشر فيكونوا قدوة لمن هم دونهم وتكون بهم الأسوة في عمل الصالحات وإن كان في مرتبة نازلة عن منزلة الأنبياء المعصومين فإنهم وإن بلغوا بسبب التفكير والذكر المتواصل والتصفيه والرياضة إلى حيث لا يبارحون طريق الطاعة ولا يسلكون إلى المعصية طريقاً لكنهم في حاجة إلى من يسلك بهم السبيل الواضح ويميز لهم موارد الطاعة وموادها عن مساقط العصيان والتهلكة بخلاف الحجج المقيضين لإنقاذ البشر، المعنيين بالعصمة ه هنا فمن كانت عصمته واجبة كما في المعصومين سميت عصمته استكمافية لأنه لا يحتاج في سلوكه إلى الغير لكونه في غنىً عن أي حجة لتتوفر ما أفيض عليهم من العلم والبصائر ومن لم تكن فيه العصمة واجبة وكان محتاجاً إلى غيره في سلوكه وطاعته سميت عصمته غير استكمافية على تفاوت في مراتبهم من حيث المعرفة والعلم واليقين.

وحيئذ ليس من البدع إذا قلنا إن (قمر بنى هاشم) كان متحللاً

بهذه الحلية بعد أن يكون مصاغاً من نور القدسية الذي لا يمざجه أي شين وعلى هذا كان معتقد شيخ الطائفة وإمامها الحجۃ الشیخ محمد طه نجف قدس سره فإنه قال بترجمة العباس من كتاب (اتقان المقال) ص ٧٥: (هو أجلٌ من أن يذكر في المقام بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل التحية والسلام).

فتراه لم يقل عند ذكر رجالات أهل بيته الأعظم بل أثبت المعصومين منهم وما سرّ هذا العدول إلا لأنه يرثئي أن يجعله في صفهم ويعده منهم.

وابتعه على ذلك العلامة میرزا محمد علی الأوردی فقال من قصیدته المتقدمة في ص ١٧٧ :

أجل عباس الكتاب والهدی والعلم والدين وأصحاب العبا عن أن يطیش سهمه فینشنی والإثم قد أثقل منه منكبا ولا نقول إنه قد أذنبا لم نشرط في ابن النبي عصمة ولا أقول غير ما قال به (طه الإمام) في الرجال النجبا فالفعل منه حجة كقوله في الكل يروي عن ذويه الثُّقَبَا

وهذه النظرية في أبي الفضل لم ينكرها عالم من علماء الشیعۃ نعرفه بالثقافة العلمية والتقدم بالأفكار الناضجة وقد استضأنا من أرجوزة آیة الله الحجۃ الشیخ محمد حسین الأصفهانی رحمه الله التي

ستقرأها في فصل المديح حقائق راهنة وكرائم نفيسة سمت بأبي الفضل إلى أوج العظمة وأخذت به إلى حظائر القدس وصعدت به إلى أعلى مرتبة من العصمة.

ومما يزيدنا بصيرة في عصمته ما ذكرناه سابقاً في شرح قول الصادق «لعن الله أمة استحلت منك المحارم وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام».

فإن حرمة الإسلام لا تنتهي بقتل أي مسلم مهما كان عظيماً ومهما كان أثره في الإسلام مشكورةً إلا أن يكون هو الإمام المعصوم فلو لم يبلغ العباس المراتب المساوية في العلم والعمل لمقام أهل البيت لما استحق هذا الخطاب وهذا معنى العصمة نعم هي غير واجبة ومما يستأنس منه العصمة له ما تقدم من قول السجاد:

«إن لعمي العباس منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيمة».

ويدخل في عموم لفظ الشهداء صريحة بيت الوحي «أبو الحسن علي الأكبر» الذي أفضنا القول في عصمته وإذا كان العباس غير معصوم كيف يغبطه المعصوم على ما أُعطي من رفعة ومقام عالٍ لأن المعصوم لا يغبط غيره فلا بد أن للعباس أعلى مرتبة من العصمة كما عرفت ومن هنا غبط منزلته التي أُعدت له

٢١٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

جميع الشهداء حتى من كان معصوماً كعلي الأكبر وأمثاله غير
الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين .

الكرامات

من سنن الله الجارية في أوليائه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسْتَ أَلَّا تَحْوِيَّا﴾
إكرامهم بإظهار ما لهم من الكرامة عليه والزلفى منه وذلك غير ما
ادخره لهم من المثوابات الجزيلة في الآجلة تقديرًا لعملهم
وإصحارًا بحقيقة أمرهم وبلغ نفوسيهم من القوة وحثًا للملأ على
اقتفاء آثارهم في الطاعة ومهما كان العبد يخفي الصالحات من
أعماله فالمولى سبحانه يراغم ذلك الإخفاء بإشهار فضله كما
يقتضيه لطفه الشامل ورحمته الواسعة وبره المتواصل وأنه جلّ
آلاؤه يظهر الجميل من أفعال العباد ويزوّي القبيح رأفة منه بهم
وحنانًا عليهم .

ومن هذا الباب ما نجده على مشاهد المقربين وقباب
المستشهدين في سبيل طاعته من آثار العظمة وأيات الجلاله من
إنجاح المتossl بهم إليه تعالى شأنه وإجابة الدعوات تحت قبابهم
المقدسة وإزالة المثلاث ببركاتهم وتتأكد الحالة إذا كان المشهد
لأحد رجالات البيت النبوي لأنه جلّ حكمته ذرأ العالمين

لأجلهم ولأن يعرفوا مكانتهم فيحتذوا بمثالهم في الأحكام
والأخلاق فكان من المحتم في باب لطفه وكرمه (عظمت نعمته)
أن يصحر الناس بفضلهم الظاهر.

ومن سادات ذلك البيت الطاهر الذي أذن الله أن يرفع ويذكر
فيه اسمه أبو الفضل العباس فإنه في الطليعة من أولئك السادات
وقد بذل في الله ما عزّ لديه وهان حتى اتصلت النوبة إلى نفسه
الكريمة التي لفظها نصب عينه (عز ذكره) فأجرى سنته الجارية في
الصديقين فيه بأجل مظاهرها ولذلك تجد مشهد المقدس في
آناء الليل وأطراف النهار مزدلف أرباب الحوائج من عافٍ
يستمنحه بره إلى عانٍ يتطلب عافيته إلى مضطهد يتحرى كشف ما
به من غم إلى خائف ينضوي إلى حمى أمنه إلى أنواع من أهل
المقصود المتنوعة فينكفه ثلوج الفؤاد بنجح طلبته قرير العين
بكفاية أمره إلى منتجز بإعطاء سؤله كل هذا ليس على الله بعزيز
ولا من المقربين من عباده بعيد.

ولكثرة كراماته وآيات مرقده التي لا يأتي عليها الحصر نذكر
بعضًا منها تيمناً ولئلا يخلو الكتاب منها وتعريفاً للقراء بما جاد به
قطب السخاء على من لاذ به واستجار بتربيته.

الأولى ما يحدث به الشيخ الجليل العلامة المتبحر الشيخ
عبد الرحيم التستري المتوفى سنة ١٣١٣هـ من تلامذة الشيخ

الأنصاري أعلى الله مقامه قال زرت الإمام الشهيد أبا عبد الله الحسين، ثم قصدت أبا الفضل العباس وبينما أنا في الحرم الأقدس إذ رأيت زائراً من الأعراب ومعه غلام مسلول وربطه بالشباك وتوسل به وتضرع وإذا الغلام قد نهض وليس به علة وهو يصيح شافاني العباس فاجتمع الناس عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها فلما أبصرت هذا بعيني تقدمت نحو الشباك وعاتبته عتاباً مقدعاً وقلت يغتنم المعدي الجاهل منك المني وينكفي مسروراً وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك والتأدب في المثال أمامك أرجع خائباً لا تقضي حاجتي فلا أزورك بعد هذا أبداً ثم راجعتني نفسي وتنبهت لجافي عتبى فاستغفرت ربى سبحانه مما أسأت مع (عباس اليقين والهداية) ولما عدت إلى النجف الأشرف أتاني الشيخ المرتضى الأنصاري قدس الله روحه الزاكية وأخرج صرتين وقال هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس اشتري داراً وحجّ البيت الحرام ولأجلهما كان توسلني بأبي الفضل^(١).

وما عجبت من أبي الفضل كما عجبت من أستاذك إذ علما لأن شبل المرتضى لم يغرب إذا أتى بمعجز أو معجب بكل يوم بل بكل ساعه لمن أتاه قاصداً رباعه

(١) طبعت هذه الكرامة مع صلاة الشيخ الأنصاري وذكرها في الكبريت الأحمر، ج ٣، ص ٥٠، قال وذكرها عنه جماعة من أكابر العلماء والثقة المتدينين.

وهو من الشيخ عجيب بين لكن نور الله يرنو المؤمن^(١) الثانية ما في أسرار الشهادة ص ٣٢٥، قال حدثني السيد الأجل العلامة الخبير السيد أحمد ابن الحجة المتبع السيد نصر الله المدرس الحائر قال بينما أنا في جمع من الخدام في صحن أبي الفضل إذ رأينا رجلاً خارجاً من الحرم مسرعاً واضعاً يده على أصل خنصره والدم يسيل منها فأوقفناه نتعرف خبره فأعلمنا بأن العباس قطعها فرجعنا إلى الحرم فإذا الخنصر معلق بالشباك ولم يقطر منه دم كأنه قطع من ميت ومات الرجل من الغد وذلك لصدور إهانة منه في الحرم المقدس.

الثالثة ما حدثني به العلامة البارع الشيخ حسن دخيل حفظه الله عما شاهده بنفسه في حرم أبي الفضل عليه السلام قال: زرت الحسين في غير أيام الزيارة وذلك في أواخر أيام الدولة العثمانية في العراق في فصل الصيف وبعد أن فرغت من زيارة الحسين توجهت إلى زيارة العباس عليه السلام قرب الزوال فلم أجد في الصحن الشريف والحرم المطهر أحداً لحرارة الهواء غير رجل من الخدمة واقف عند الباب الأول يقدر عمره بالستين سنة كأنه مراقب للحرم وبعد أن زرت صلิต الظهر والعصر ثم جلست عند الرأس المقدس مفكراً في الأبهة والعظمة التي نالها قمر بنى هاشم عن

(١) للعلامة الشيخ محمد السماوي.

تلك التضحية الشريفة وبيننا أنا في هذا إذ رأيت امرأة محجبة من القرن إلى القدم عليها آثار الجلاله وخلفها غلام يقدر عمره بالستة عشر سنة بزي أشراف الأكراد جميل الصورة فطافت بالقبر والولد تابع ثم دخل بعدهما رجل طويل القامة أبيض اللون مشرباً بحمرة ذو لحية شعرها أشقر يخالطه شعرات بيض جميل البزة كردي اللباس والزي فلم يأتِ بما تصنعه الشيعة من الزيارة أو السنة من الفاتحة فاستدبر القبر المطهر وأخذ ينظر إلى السيف والخناجر والدرق المعلقة في الحضرة غير مكتثر بعظامة صاحب الحرم المنيع فتعجبت منه أشد العجب ولم أعرف الملأة التي يتحلها غير أنني اعتقدت أنه من متعلقني المرأة والولد وظهر لي من المرأة عند وصولها في الطواف إلى جهة الرأس الشريف تعجب مما عليه الرجل من الغواية ومن صبر أبي الفضل عليه السلام عنه فما رأيت إلا ذلك الرجل الطويل القامة قد ارتفع عن الأرض ولم أر من رفعه وضرب به الشباك المطهر وأخذ ينبع ويدور حول القبر وهو يقفز فلا هو بملتصق بالقبر ولا بمبعد عنه كأنه متکهرب به وقد تشنجت أصابع يديه واحمر وجهه حمرة شديدة ثم صار أزرقاً وكانت عنده ساعة علقتها برقبته بزنجيل فضة فكلما يقفز تضرب بالقبر حتى تكسرت وحيث إنه أخرج يده من عباءته لم تسقط إلى الأرض نعم سقط الطرف الآخر إلى الأرض وبتلك القفزات تخرقت.

أما المرأة فحينما شاهدت هذه الكرامة من أبي الفضل قبضت على الولد وأسندت ظهرها إلى الجدار وهي تتسل به بهذه اللهجة (أبو الفضل دخيلك أنا وولدي).

فأدهشني هذا الحال وبقيت واقفاً لا أدرى ما أصنع والرجل قوي البدن وليس في الحرم أحد يقبض عليه فدار حول القبر مرتين وهو ينبع ويقفز فرأيت ذلك السيد الخادم الذي كان واقفاً عند الباب الأول دخل الروضة الشريفة فشاهد الحال فرجع وسمعته ينادي رجلاً اسمه جعفر من السادة الخدام في الروضة فجاءه معاً فقال السيد الكبير لجعفر اقبض على الطرف الآخر من الحزام وكان طول الحزام يبلغ ثلاثة أذرع فوقاً عند القبر حتى إذا وصل إليهما وضعاً الحزام في عنقه وأداراه عليه فوق طيعاً لكنه ينبع فأخرجاه من حرم العباس وقالاً للمرأة اتبعينا إلى (مشهد الحسين) فخرجوا جمِيعاً وأنا معهم ولم يكن أحد في الصحن الشريف فلما صرنا في السوق بين (الحرمين) تبعنا الواحد والاثنان من الناس لأن الرجل كان على حالته من النبع والاضطراب مكشوف الرأس ثم تكاثر الناس.

فأدخلوه (المشهد الحسيني) وربطوه بشباك (علي الأكبر) فهدأت حالي ونام وقد عرق عرقاً شديداً فما مضى إلا ربع ساعة وإذا به قد انتبه مروعياً وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

الخليفة رسول الله بلا فصل وأن الخليفة من بعده ولده الحسن ثم
أخوه الحسين ثم علي بن الحسين وعد الأئمة إلى الحجة المهدى
عجل الله فرجه .

فُسْئَلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ الْآَنَ وَهُوَ يَقُولُ لِي
أَعْتَرَفُ بِهَؤُلَاءِ وَعَدُّهُمْ عَلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ يَهْلِكُكُ الْعَبَاسُ فَأَنَا
أَشَهِدُ بِهِمْ وَأَتَبْرُأُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

ثُمَّ سُئِلَ عَمَّا شَاهَدَهُ هُنَاكَ فَقَالَ بَيْنَا أَنَا فِي حَرَمِ الْعَبَاسِ إِذْ
رَأَيْتُ رَجُلًا طَوِيلَ الْقَامَةِ قَبَضَ عَلَيْيِ وَقَالَ لِي يَا كَلْبَ إِلَى الْآَنِ
بَعْدَكَ عَلَى الْضَّلَالِ ثُمَّ ضَرَبَ بِي الْقَبْرَ وَلَمْ يَزُلْ يَضْرِبَنِي بِالْعَصَابَ
فِي قَفَاعِي وَأَنَا أَفْرُّ مِنْهُ .

ثُمَّ سُئِلَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ قَصَّةِ الرَّجُلِ فَقَالَتْ إِنَّهَا شِيعَيَّةٌ مِّنْ أَهْلِ
بَغْدَادِ وَالرَّجُلُ سُنِّيٌّ مِّنْ أَهْلِ السَّلِيمَانِيَّةِ سَاكِنٌ فِي بَغْدَادٍ مُّتَدِّيٍّ
بِمَذْهَبِهِ لَا يَعْمَلُ الْفَسْوَقَ وَالْمَعَاصِي يُحِبُّ الْخَصَالَ الْحَمِيلَةَ وَيَتَنَزَّهُ
عَنِ الْذَّمِيْمَةِ وَهُوَ بِنَدْرَجِي تَنَّ وَلِلْمَرْأَةِ أَخْوَانٌ حَرْفَتُهُمَا بَيْعَ التَّنَّ
وَمُعَامَلَتُهُمَا مَعَ الرَّجُلِ فَبَلَغَ دِينَهُ عَلَيْهِمَا مَائِتَةً (لِيَرَةً عُشْمَانِيَّةً) فَاسْتَقْرَرَ
رَأْيِهِمَا عَلَى بَيْعِ الدَّارِ مِنْهُ وَالْمَهَاجِرَةِ مِنْ بَغْدَادٍ فَأَحْضَرَاهُ فِي
دَارِهِمَا (ظَهِيرًا) وَأَطْلَعَاهُ عَلَى رَأْيِهِمَا وَعَرَّفَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ دِينَ
عَلَيْهِمَا لِغَيْرِهِ فَعَنْدَهَا أَبْدِيٌّ مِّنِ الشَّهَامَةِ شَيْئًا عَجِيْبًا فَأَخْرَجَ الْأُورَاقَ
وَخَرَقَهَا ثُمَّ أَحْرَقَهَا وَطَمَنَهُمَا عَلَى الإِعَانَةِ مَهْمَا يَحْتَاجُانَ .

فطاراً فرحاً وأراداً مجازاته في الحال فذاكراً المرأة على التزويج منه فوجدا منها الرغبة فيه لوقوفها على هذا الفضل مع ما فيه من التمسك بالدين واجتناب الدنيا وقد طلب منها مراراً اختيار المرأة الصالحة له فلما ذكرها له ذلك زاد سروره وانشرح صدره بحصول أمنيته فعقدا له على المرأة وتزوج منها .

ولما حصلت عنده طلبت منه زياراة الكاظميين إذ لم تزرهما مدة كونها بلا زوج فلم يجدها مدعياً أنه من الخرافات ولما ظهر عليها الحمل سأله أهل ينذر الزيارة إن رزق ولداً ففعل ولما جاءت بالولد طالبته بالزيارة فقال لا أفي بالنذر حتى يبلغ الولد فأيست المرأة ولما بلغ الولد السنة الخامسة عشرة طلب منها اختيار الزوجة فأبى ما دام لم يف بالنذر فعندها وافقها على الزيارة مكرهاً وطلبت من العجودين الكرامة الباهرة ليعتقد بإمامتهما فلم تر منها ما يسرها بل ساعتها سخريته واستهزاؤه .

ثم ذهب الرجل بالمرأة والولد إلى العسكريين وتوسلت بهما وذكرت قصة الرجل فلم تشرق عليه أنوارهما وزادت السخرية منه .

ولما وصل كربلاً قالت المرأة نقدم زيارة العباس عليه السلام وإذا لم تظهر منه الكرامة وهو أبو الفضل وباب الحوائج لا أزور أخاه الشهيد ولا أباه أمير المؤمنين وأرجع إلى بغداد وقصت على أبي

الفضل قصة الرجل وعَرَفَته حال الرجل وسخريته بالأئمة الطاهرين وأنها لا تزور أخاه ولا أباه إذا لم يتلطف عليه بالهداية وينقذه من الغواية فأنجح سُؤلها وفاز الرجل بالسعادة.

الرابعة ما في كتاب (إعلام الناس في فضائل العباس) تأليف الزاكي التقى السيد سعيد بن الفاضل المهدب الخطيب السيد ابراهيم^(١) البهبهاني قال تزوجت في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٥١ هـ وبعد أن مضى أسبوع من أيام الزواج أصابني زكام صاحبته حمى وبأشرني أطباء النجف فلم أنتفع بذلك والمرض يتزايد ومن جملة الأطباء الطبيب المركزي (محمد زكي أباظة) وفي أول جماد الأول من سنة ١٣٥٣ هـ خرجت إلى «الكوفة» وبقيت إلى رجب فلم تقطع الحمى وقد استولى الضعف على

(١) هو ابن السيد محمد بن السيد جعفر بن سيد محمد بن سيد هاشم بن سيد محمد بن سيد عبدالله بن سيد محمد الكبير بن سيد عبدالله البلادي بن سيد علوي عتيق الحسين بن سيد حسين الغريفي بن سيد حسن بن سيد أحمد بن سيد عبدالله بن سيد عيسى بن سيد خميس بن سيد أحمد بن سيد ناصر بن سيد علي بن كمال الدين بن سيد سلمان بن سيد جعفر بن أبي العشا موسى بن أبي الحمراء محمد بن علي الطاهر بن علي الضخم بن أبي علي محمد الحسن بن محمد الحائرى بن ابراهيم المجاوب بن محمد العابد ابن الإمام الكاظم ع ع ولهذه الكرامة كتب السيد سعيد كتاباً في أحوال العباس يزيد على أربعين مائة صفحة أجهد نفسه وسهر الليالي في جمعه وتبويه جزاه الله خير الجزاء.

بدني حتى لم أقدر على القيام ثم رجعت إلى النجف وبقيت إلى ذي القعدة من هذه السنة بلا مراجعة طبيب لعجزهم عن العلاج وفي ذي الحجة من هذه السنة اجتمع الطبيب المركزي المذكور مع الدكتور محمد تقى جهان وطبيبين آخرين جاؤوا من بغداد وفحصوني فاتفقوا على عدم نفع كل دواء وحكموا بالموت إلى شهر وفي محرم من سنة ١٣٥٤ خرج والدي إلى قرية «القاسم بن الإمام الكاظم عليه السلام» للقراءة في الماتم التي تقام لسيد الشهداء وكانت والدي تمرضني ودأبها البكاء ليلاً ونهاراً.

وفي الليلة السابعة من هذه السنة رأيت في النوم رجلاً مهياً وسيماً جميلاً أشبه الناس بالسيد الطاهر الزكي (السيد مهدي الرشتي) فسألني عن والدي فأخبرته بخروجه إلى القاسم فقال إذن من يقرأ في عادتنا يوم الخميس وكانت الليلة ليلة الخميس ثم قال إذن أنت تقرأ .

ثم خرج وعاد إلى وقال إن ولدي السيد سعيد^(١) مضى إلى

(١) ولد السيد مهدي الرشتي سنة ١٣٠٣ وتوفي في النجف يوم ١٤ رجب سنة ١٣٥٨ ودفن في الحجرة الملاصقة لباب الصحن المعروفة بباب القرزازين وكان السيد رحمة الله باذلاً نفسه ونفيسه في خدمة أجداده الأئمة المعصومين وداره العامرة (حسينية) لأهل طرفه (البراق) يقيمون فيها مراسيم العزاء والفرح للأئمة عليهم السلام لا يعدلون بها بدلاً وفهم الله لما يرضيه وأما ولده السيد سعيد فكانت ولادته في سنة ١٣٢٢ وتوفي في ذي القعدة

كربلا يعقد مجلساً لذكر مصيبة أبي الفضل العباس وفاة لنذر عليه فامض إلى كربلا واقرأ مصيبة العباس وغاب عني .

فانتبهت من النوم ونظرت إلى والدتي عند رأسى تبكي ثم نمت ثانية فأتاني السيد المذكور وهو يقول ألم أقل لك إن ولدي سعيد ذهب إلى كربلا وأنت تقرأ في مأتم أبي الفضل فأجبته إلى ذلك غاب عني فانتبهت .

وفي المرة الثالثة نمت فعاد إلى السيد المذكور وهو يقول بزجر وشدة ألم أقل لك امض إلى كربلا فما هذا التأخير فهبة في هذه المرة وانتبهت مرعوباً .

وقصصت الرؤيا من أولها على والدتي ففرحت وتفاالت بأن هذا السيد هو أبو الفضل وعند الصباح عزمت على الذهاب بي إلى حرم العباس ولكن كل من سمع بهذا لم يوافقها لما يراه من الضعف البالغ حده وعدم الاستطاعة على الجلوس حتى في السيارة وبقيت على هذا إلى اليوم الثاني عشر من المحرم فأصرت الوالدة على السفر إلى كربلا بكل صورة فأشار بعض الأرحام على أن يضعوني في تابوت ففعلوا ذلك ووصلت ذلك اليوم إلى القبر المقدس ونمت عند الضريح الطاهر .

= ١٥ سنة ١٣٥٥ هـ ودفن في الحجرة مع أبيه وقام السيد صالح مكان أبيه في إقامة الأفراح والمأتم فنعم الخلف لذلك السيد الطاهر .

وبينا أنا في حالة الإغماء في الليلة الثالثة عشرة من المحرم إذ جاء ذلك السيد المذكور وقال لي لماذا تأخرت عن يوم السابع وقد بقي سعيد بانتظارك وحيث لم تحضر يوم السابع فهذا يوم دفن العباس وهو يوم ١٣ فق默 واقرأ ثم غاب عني وعاد إلى ثانياً وأمرني بالقراءة وغاب عني وعاد في الثالثة ووضع يده على كتفي الأيسر لأنني كنت مضطجعاً على الأيمن وهو يقول إلى متى النوم قم واذكر (مصيبتي) فقمت وأنا مدهوش مذعور من هيبته وأنواره وسقطت لوجهه مغشياً علي وقد شاهد ذلك من كان حاضراً في الحرم الأطهر.

وانتبهت من غشوتني وأنا أتصبب عرقاً والصحة ظاهرة علي وكان ذلك في الساعة الخامسة من الليلة الثالثة عشرة من المحرم سنة ١٣٥٤ هـ.

فاجتمع علي من في الحرم الشريف وأقبل من في الصحن والسوق وازدحم الناس في الحضرة المنورة وكثر التكبير والتهليل وخرق الناس ثيابي وجاءت الشرطة فأخرجوني إلى البهو الذي هو أمام الحرم فبقيت هناك إلى الصباح.

وعند الفجر تطهرت للصلوة وصليت في الحرم بتمام الصحة والعافية ثم قرأت مصيبة أبي الفضل عليه السلام وابتداة بقصيدة السيد راضي بن السيد صالح القزويني وهي :

أبا الفضل يا من أسس الفضل والإبا أبا الفضل إلا أن تكون له أبا
والأمر الأعجب أنني لما خرجت من الحرم قصدت داراً لبعض
أرحامنا بكربلا وبعد أن قرأت مصيبة العباس خلوت بزوجتي
وببركات أبي الفضل حملت ولداً سميته «فاضل» وهو حي يرزق كما
رزقت عبدالله وحسناً ومحمدًا وفاطمة كنيتها أم البنين .

هذه من علاه إحدى المعالى وعلى هذه فقس ما سواها
وذكر أن السيد الطاهر الزاكى السيد مهدي الأعرجى وكان
خطيباً نائحاً له مدائح ومراثٍ لأهل البيت عليه السلام كثيرة ورد النجف
يوم خروجي إلى كربلا فبات مفكراً في الأمر وكيف يكون الحال
وفي تلك الليلة الثالثة عشرة رأى في المنام كأنه في كربلا ودخل
حرم العباس فرأى الناس مجتمعين على وأنا أقرأ مصيبة العباس
فارتجل في المنام :

لقد كنت بالسلل المبرح داؤه فشافاني العباس من مرض السل
ففضلت بين الناس قدرًا وإنما لي الفضل إذ إنني عتيق أبي الفضل
وانتبه السيد من النوم يحفظ البيتين فقصد دارنا وعرّفهما بما
رأه وفي ذلك اليوم وضع لهم الأمر .

وقد نظم هذه الكرامة جماعة من الأدباء الذين رأوا السيد
سعيد في الحالين الصحة والمرض .

فمنهم السيد الخطيب العالم السيد صالح الحلي رحمه الله:

بأبي الفضل استجرنا فحبانا منه منحه
وطلبنا أن يداوي ألم القلب وجرحه
فكسى الله سعيداً بعد سقم ثوب صحة
بدل الرحمن منه قرحة القلب بفرحة

وقال الخطيب الفاضل الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي:

بأبي الفضل زال عني سقامي مذكاري من الشفاء برودا
وحباني من السعادة حتى صرت في النشأتين أدعى سعيدا

وقال العلامة الشيخ علي الجشي أいで الله:

سعید سعدت وجزت الخطر من السل في مثل لمح البصر
غداة التجأت لمثوى به أبو الفضل حل فرد القدر

وقال السيد حسون السيد راضي القزويني البغدادي:

سعید لقد نال الشفا من أبي الفضل ولو لاه كان السقم يؤذن بالقتل
ولا غرو أن نال الشفا منه إنه أبو الفضل أهل للمكارم والفضل
وله أيضاً:

ذا سعید بالبرء أضحت سعيداً وحباه الإله عمراً جديداً
من أبي الفضل بالشفاء نال فضلاً وامتناناً ونال عيشاً رغيداً
وللأديب الكامل السيد محمد بن العلامة السيد رضا

الهندي حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَعْلَمَ :

لِمْ أَنْسَ فَضْلَكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ الَّذِي
يَكْفِيْكَ يَوْمَ الْطَّفِ مَوْقِفَكَ الَّذِي
وَلَقَدْ نَصَرْتَ بِهِ النَّبِيَّ بِسْبَطِهِ
وَأَنَا الَّذِي قَدْ كَانَ دَائِيَّ مَهْلَكَاً
أَلْبَسْتَنِيَّ ثُوبَ الشَّفَاءِ وَعَدْتَ

هِيَهَاتَ أَنْ يَحْصِيْ ثَنَاهُ مَفْصَلَاً
قَدْ كَانَ أَلْمَعَ مَا يَكُونُ وَأَفْضَلَاً
وَغَدَوْتَ فِي دُنْيَا الشَّهَادَةِ أَوْلَأَ
وَأَجْرَتْنِي لِمَا اسْتَجَرْتَ مَؤْمَلَاً
حَيَاً فِيكَ يَا سَاقِي عَطَاشِي كَرْبَلَا

وَلِلْخَطِيبِ الْذَّاكِرِ الْفَاضِلِ الشَّيْخِ عَبْدِ عَلِيِّ الشَّيْخِ حَسِينٍ :

سَعِيدُ التَّجَىِّيِّ مِنْ ضَرِهِ وَسَقَامِهِ
لِعُمْرِيِّ تَرِيَ الْأَقْدَارِ طَوعِ يَمِينِهِ
فَآبَ وَابْرَاهِيمَ قَرَتْ عَيْونِهِ
سَعِيدُ سَعِيداً عَشَ بَظَلَ لَوَائِهِ
بِفَضْلِ أَبِي الْفَضْلِ الْفَضِيلَةِ حَزْتَهَا

بَقْبَرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمَفْدِيِّ فَعَافَاهُ
كَوَالِدَهُ الْكَرَارِ يَمِنَاهُ يَمِنَاهُ
بَبِرَءِ سَعِيدِ النَّدْبِ يَشْكُرُ مَوْلَاهُ
بَأْسَعِدِ يَوْمِ لَا تَزَالُ وَأَهْنَاهُ
وَلَوْلَاهُ لَمْ تَنْجُو مِنَ الْضَّرِّ لَوْلَاهُ

وَلِلشَّيْخِ جَعْفَرِ الطَّرِيفِيِّ :

عَجَزَ الطَّبِيبُ لِعُلْتِيِّ وَقَلَانِيِّ
هَجَرَ الصَّدِيقَ زِيَارَتِيِّ وَكَأْنِيِّ
حَتَّى إِذَا قَالُوا فَقَلُوا خَفِيَّةَ
فَقَصَدَتْ بَاباً لِلْحَوَائِجِ وَالشَّفَاءِ
لَوْلَاهُ وَارَانِيَ التَّرَابُ بِحَفْرَتِيِّ

وَعَجَزَتْ مِنْ سَقْمِيِّ وَطُولِ زَمَانِيِّ
مَا زَرْتَهُ فِي سَقْمِهِ فَجَفَانِيِّ
هَجَرُوا الْأَوَانِيِّ خِيفَةَ الْعَدُوَانِ
الْعَبَاسُ بَاباً لِلشَّفَا فَشَفَانِيِّ
نَعَمَ الطَّبِيبُ الْأَوَّلُدُ الرَّبَانِيِّ

وللشيخ كاظم السوداني :

لها تلية عند البرية آيات
لها من بنات المجد أو مت إشارات
به انسل عنه السل إذ كم به ماتوا
فيما جاحديه مثل برهانه هاتوا
له أثر من بأسه وعلامات
بأنواره أرخ (وفيها مضيئات)

فكم لأبي الفضل الأبي كرامات
وشاراته كالشمس في الأفق شوهدت
سعيد سعيداً عاد منها إلى الشفا
أبو الفضل كم فضل له ومناقب
هو الشبل شبل من علي وفي الوعي
لقد شعت الأكونان من بدر فضله

وللخطيب الشيخ حسن سبتي :

ألا عش سعيداً يا سعيد منعماً مدي الدهر إذ عوفيت من فتكة السل
عنيق حسين كان جدك أولاً لذا صرت ثانية عتيق أبي الفضل

وللسيد نوري بن السيد صالح بن السيد عباس البغدادي :

بشرى لإبراهيم في نجله من مرض السل غدا سالما
أبرأه العباس من فضله وفضله بين الورى دائما

(الخامسة) حدثني الشيخ العالم الثقة الثبت الشيخ حسن بن العلامة الشيخ محسن بن العلامة الشيخ شريف آل الشيخ المقدس صاحب الجواهر قدس سره عن حاج منيشد بن سلمان آل حاج عبوده من أهل الفلاحية وكان ثقة في النقل عارفاً بصيراً شاهد الكرامة بنفسه قال كان رجل من عشيرة البراوجعة يسمى (مخيلف) مصاباً بمرض في رجليه وطال ذلك حتى يبستا وصارتا في رفع

الإصبع وبقي على هذا ثلاث سنين وشاهده الكثير من أهل المحمّرة وكان يحضر الأسواق ومجالس عزاء الحسين عليه السلام ويستعين بالناس وهو يزحف على أليته ويديه وقد عجز عن المباشرة ويئس وكان للشيخ خرعل بن جابر الكعبي في المحمّرة (حسينية) يقيم فيها عزاء الحسين عليه السلام في العشرة الأولى من المحرم ويحضر هناك خلق كثير حتى النساء يجلسن في الطابق الأعلى من الحسينية والعادة المطردة في تلك البلاد ونواحيها أن (الخطيب النائم) إذا وصل في قراءته إلى الشهادة قام أهل المجلس يلطمون بهجات مختلفة وهكذا النساء.

في اليوم السابع من المحرم كان المتعارف أن تذكر مصيبة أبي الفضل العباس وهذا الرجل أعني «مخيلف» يأتي الحسينية (ويجلس تحت المنبر لأن رجله ممدودتان^(١)) وحينما وصل الخطيب إلى ذكر المصيبة أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالاً ونساءً وبينما هم على هذا الحال إذ يرون ذلك المصاب بالزمانة في رجله «مخيلف» واقفاً معهم يلطم ولهجته «أنا مخيلف قيمي العباس» وبعد أن تبين الناس هذه الفضيلة من أبي الفضل تهافتو عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها وازدحموا عليه يقبلون رأسه

(١) هذه الجملة التي بين قوسين حدثني بها في دار الشيخ الجليل الشيخ حسن المذكور ملا عبد الكريم وقد شاهد الرجل بعينه ذلك اليوم.

ويديه فأمر الشيخ خزعل غلمانه أن يرفعوه إلى إحدى الغرف ويمنعوا الناس عنه وصار ذلك اليوم في المحمرة أعظم من اليوم العاشر من المحرم وصار البكاء والعويل والصرخ من الرجال وأما النساء فمنهن من تهلهل وأخرى تصرخ وغيرها تلطم.

وذكر لي ملا عبد الكريم الخطيب من أهل المحمرة وكان حاضراً وقت الحديث أن الشيخ خزعل في كل يوم يصنع طعاماً لأهل المجلس في الظهر وفي ذلك اليوم تأخر الغداء إلى الساعة التاسعة من النهار لبكاء الناس وعويلهم.

قال العالمة الشيخ حسن المذكور ثم إنه سئل مخليف عما رأه وشاهده فقال بينما الناس يلطمون على العباس أخذتنى سنة وأنا تحت المنبر فرأيت رجلاً جميلاً طویل القامة على فرس أبيض عالٍ في المجلس وهو يقول يا مخليف لم لا تلطم على العباس مع الناس فقلت له يا أغاثي لا أقدر وأنا بهذا الحال فقال لي قم والطم على العباس قلت له يا مولاي أنا لا أقدر على القيام فقال لي قم والطم قلت له يا مولاي أعطني يدك لأقوم فقال «أنا ما عندي يدين» فقلت له كيف أقوم قال إلزم ركاب الفرس وقم فقبضت على ركاب الفرس وأخرجني من تحت المنبر وغاب عني وأنا في حالة الصحة وعاشر سنتين أو أكثر ومات.

وحدثني المذهب الكامل ميرزا عباس الكرماني أنه تعسرت

عليه حاجة فقصد أبا الفضل واستجار بضربيه فما أسرع أن فتح له باب الرحمة وعاد بالمسرة بعد اليأس مدة طويلة فأنشأ :

أبا الفضل إني جئتك اليوم سائلاً لتسهيل ما أرجو فأنت أخو الشبل فلا غرو إن أسعفت مثلي بائساً لأنك للحاجات تدعى أبا الفضل

هذا ما أردنا إثباته من الكرامات وهو قطرة من بحر فإن الإثبات عليها كلها يحتاج إلى مجلد كبير لأن الله سبحانه منح (حامي الشريعة) جزيل الفضل وأجرى عليه من الفيض الأقدس ما لم يحوه بشر غير الأنبياء المقربين والأئمة المعصومين جزاءً لذلك الموقف الباهر الذي لم يزل يرن رجع صدأه المؤلم في مسامع القرون والأجيال مذكراً بما أبداه أبو الفضل من إباء وشمم وكر وإقدام وتضحية دون الشرع القويم .

٢٣٤ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

اللواء

اللواء ما يعقد على رمح أو عصا ويقال له الراية كما يطلق عليهم العلم هذا عند أهل اللغة وعند المؤرخين أنهما شيئاً فذكروا أن الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقد لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في رمضان أول الهجرة وفيه يقول حمزة:

فما برحوا حتى انتدبت لغارة لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن راح من قبل
لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فضله أفضل الفعل
وأول راية عقدها لل المسلمين في شوال من هذه السنة^(١).

والمعقود على رمح أو غيره إن كان واسعاً فهو الراية وإن
فاللواء، ويقال للعلم الكبير البند والعقاب وإن خص الثاني بما
يعقد للولاة^(٢) والتسمية بالعقاب اقتبسها العرب من الروم فإن

(١) سيرة ابن هشام بهامش الروض الأنف: ج ٢، ص ٥٦.

(٢) تاج العروس، بمادة عقب.

العقاب والنسر شارة الرومان يرسمونها على أعلامهم وينقشونها على أبنائهم ^(١).

وكانت أعلام الروم كباراً تحت كل علم عشرة آلاف أو أكثر ^(٢).

وكانت راية كسرى يوم الجسر سنة ١٣ هـ من جلود النمر في عرض ثمانية أذرع وطول اثنين عشر ذراعاً وهي المسماة «درفش كابيان» ^(٣).

وهذه الراية كانت محفوظة في خزائنهم ولم تكن بهذه السعة وإنما زادوا عليها تبركاً والأصل فيها أن الضحاك بيوراسف خرجت في منكبيه سلعتان فكان إذا اشتد عليه الألم طلاهما بدماغ إنسان يذبحه فلاقى الناس منه عناً ونكداً وجوراً فأخذ ابنين لرجل من أهل أصبهان اسمه «كابي» فشق عليه فدعا الناس للخروج على الضحاك وأخذ عصا وعلق عليها جراباً وتبعه الناس فتغلب على الضحاك وخلعوه عن الملك واستراحو من جوره فعظموه ذلك العلم وتفاعلوه به وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم العلم الأكبر الذي يتبركون به وسموه «درفش كابيان» ^(٤).

(١) التمدن الإسلامي: ج ١، ص ١٦٥.

(٢) تاج العروس.

(٣) ابن الأثير: ج ١، ص ١٦٨.

(٤) الطبرى: ج ١، ص ١٠٠ وابن الأثير، ج ١، ص ٢٦.

كما احتفظ الأمويون برأية ابن زياد التي أخرجها يوم الطف
ففي تاريخ (يزد) للايتي ص ٧٢ أن أبا العلاء الطوفي كان هو
أبوه من عمال الأمويين طاف البلاد لأخذ البيعة لهم فلقب
(بالطوفي) وكان معلماً لهشام بن عبد الملك فلما ولي هشام
الملك أراد أن يكافئه على خدمته فبعثه عاملاً (على يزد) ودفع
إليه تلك الرأية فسار أبو العلاء إلى (يزد) ونصب الرأية في
البستان المشهور باسمه ودعا أهل يزد إلى بيعة الأمويين وكانوا
على طريقة أهل البيت عليه السلام وأخذهم على ذلك أخذًا شديداً
وعاملهم بالقسوة والجور وبقوا يتقلبون على حسک الظلم إلى أن
ظهر أبو مسلم الخراساني أيام مروان الحمار وتصرف في
خراسان وفارس سنة ١٣٢ وسنة ١٣٣ هـ ج فراسله اليزديون
وطلبوا إنقاذهم من مخالب الطوفي فبعث أبو مسلم محمدًا
الزمجي إلى أصفهان ويزد وبلغ الطوفي إقباله بجيش جرار وأن
اليزديين معه فخرج ليلاً من يزد إلى قرية «ابرندآباد» فبعث محمد
الزمجي جماعة فقبضوا عليه وأتوا به إلى يزد وتجمهر اليزديون
رجالاً ونساءً عليه واستقر الرأي على إحراقه والرأية معه ففعل
بهمما ذلك وانتهوا القصر والبستان.

وإن المصادر التاريخية لم ترشدنا إلى أول من رفع اللواء
ويقوى في الظن أن (كابي) المتقدم أول من اتخذه كما أن الخليل
ابراهيم عليه السلام أول من اتخذ الرایات وذلك لما غلب الروم على

لوط وأسروه رفع الخليل راية وسار لمحاربة الروم فغلبهم واسترجع لوطاً^(١).

ولما جاء الإسلام وانتشر العرب في أنحاء الشام وفارس ومصر وتعددت دولهم كثرت ضروب الألوية عندهم وتنوعت أشكالها وتعددت ألوانها وأطالوها وسموها بأسماء مختلفة حتى تفاخروا بتعديادها فقد بلغت رايات العزيز بالله الفاطمي لما خرج إلى فتح الشام خمسماة راية ومثلها البوقات.

وكانوا ينقوشون على راياتهم أسماء الخلفاء والسلطين والقواد إرهاباً وإعزازاً وتفاؤلاً بالظفر فقد كتب ابن بجكم على رايه (الرائق) نسبة إلى ابن رائق وربما كتبوا آيات القرآن عليها فقد وجد في دير الظاهر مدينة برغوس في الأندلس راية من الحرير الخالص مطرزة بالنقوش الجميلة وعليها آيات قرآنية^(٢).

(١) تهذيب الشيخ الطوسي في باب النوادر من كتاب الجهاد والمستدرك للنوري : ج ٢ ، ص ٢٦٦.

(٢) التمدن الإسلامي ، ج ١ ، ص ١٦٦ ، وفي ص ١٦٨ ، ذكر اهتمام الفاطميين بالولاية والرايات والدرق فمن ذلك أنهم صنعوا بيتاً بمصر يقال له «خزانة البنود» اختزنا فيها الأعلام والرايات والأسلحة والسرور واللجم المذهبة والمفضضة وكانوا ينفقون عليها في كل سنة ثمانين ألف دينار ولما احترق الدار بما فيها قدرت الخسارة بثمانية ملايين دينار وكان في جملتها لواء يسمونه لواء الحمد.

وكتب أبو مسلم الخراساني بالحبر على لوائه:

﴿أَذْنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(١) ثم

إنه عقد لواءً بعثه إليه إبراهيم الإمام اسمه «الظل» على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً وعقد آخر بعث به إليه اسمه «السحاب» على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً^(٢).

أما ألوان الألوية والرايات فلا يعرف عنها شيء في الجاهلية سوى راية العقاب فإنها سوداء وكذلك راية النبي ﷺ ويقال إن رايات العرب كانت بيضاء^(٣) أما رايات النبي ﷺ في مغازيه فمختلفة ففي بدر كانت راية حمزة حمراء وراية أمير المؤمنين صفراء ويوم أحد وخبير اللواء والراية أبيضان^(٤) وفي عين الوردة الراية بلقاء^(٥).

وكان أعلام بنى أمية حمراً وكل من دعا إلى الدولة العلوية فعلمته أبيض ومن دعا إلى الدولة العباسية فعلمته أسود ويقرب في الظن أن شعار العلويين الخضراء حتى في راياتهم فإن المأمون لما

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٧٣، ج ١، ص ١٦٦.

(٢) التمدن الإسلامي: ج ١، ص ١٦٦.

(٣) آثار الدول للقرماني.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٢.

(٥) طبرى: ج ٧، ص ٧٩.

عقد ولادة العهد للإمام الرضا عليه السلام ألزم الناس بالخضرة وترك
شعار العباسين.

نعم لما عقد المตوكلي لبنيه البيعة عقد لكل واحد منهم لواءين
أحدهما أسود وهو لواء العهد والآخر أبيض وهو لواء العمل^(١).

وكيف كان فالراية عقد نظام العسكرية وآية زحفهم فلا يخالفون
انجفلاً ما دامت تسري أمامهم فهي بتقدمها شارة الظفر وعلامة
الفوز فلن تجد جحفلًا مثلاً وفيقلاً ملائلاً إلا إذا انكفت الرأية
أو أصيب حاملها فخرت ولذلك لا تعطى إلا للأكفاء الحماة
الغيارى على المبدأ ممن لا يجنبه الخور أو يفشله الضعف أو
يخذله الطمع.

وفي قول سيد الوصيين عليه السلام شاهد عدل على هذا فإنه كان
يحرض الناس يوم صفين ويقول «ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوا
ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم فإن المانع للذمار والصابر عند
نزول الحقائق أهل الحفاظ واعلموا أن أهل الحفاظ هم الذين
يحتفون براياتهم ويكتنفونها ويصيرون حفافها وأمامها ووراءها
ولا يضيعونها ولا يتأنرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها
فيفردوها»^(٢).

(١) التمدن الإسلامي: ج ١، ص ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٨٠ خ ١٢٤ ..

ولقد كان حملة الرايات يتها الكون دون حملها إلى آخر قطرة تسقط من دمائهم حذراً من وصمة الجبن وشية العار وسمة الخزي ولا يدع لهم ثبات الجأش وحمى الذمار وأصرة الشرف أن يلقوها ما دامت أيديهم تقلها :

لا عيب فيهم غير قبضهم اللوا عند اشتباك السمر قبض ضئيل من أجل ذلك كانت راية الإسلام مع أمير المؤمنين في جميع مغازي الرسول ولم يفته مشهد إلا تبوك حيث لم يقع فيها قتال^(١) وإنما ترك النبي في المدينة مع ما يعلمه من بلائه وإقادمه وفي يوم بدر أعطاه الرسول راية الإسلام فزحف بها المسلمين خلفه ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره فأظهر أمير المؤمنين فيها من البسالة والتجلدة والبأس ما أطاش الألباب وحير العقول وجبن الشجعان ووضع من قدرها فطار (أبو الحسن) بذكرها وحاز مجدها واستأثر بفضلها وإن عمله في هذا اليوم الذي كسر الله به شوكة المشركين وفل حدهم لمن خوارق العادة وأجل الكرامات إذ لم يباشر قبله حرباً ولا نازل قرناً فعمل في ذلك الجمع من النكایة والقتل الذريع ما لم يشاهد مثله مع أن أكثر الجمع قد مارس الحرب وقادى الأهوال وخاض الغمرات وبارز الشجعان .

وأما يوم أحد فكان اللواء مع مصعب بن عمير من بنى عبد الدار وإنما أعطاه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه جبراً لقلوب من آمن به من بنى عبد الدار خصوصاً لما كان لواء المشركين مع قومهم من بنى عبد الدار وبعد أن فعل مصعب ذلك اليوم ما يبهر العقول وأدى حتى اللواء حتى قطعت يده اليمنى ثم اليسرى وإذا قطعت ضم اللواء إلى صدره حتى طعن بالرمح في ظهره فسقط إلى الأرض قتيلاً دفع النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه اللواء إلى صاحبه (أبي الريحانتين) فكان لأمير المؤمنين من البلاء العظيم والمقامات المحمودة ما لم يكن لأحد قط حتى عجبت من ثباته وجلالته الملائكة بقتله أصحاب الأولوية ولما كانت الدبرة على المسلمين كان له الموقف المشهود أبصر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه جماعة فقال لعلي فرقهم ففرقهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي ثم أبصر جماعة أخرى فقال له فرقهم فحمل عليهم وقتل شيبة بن مالك فقال جبرئيل هذه الموساة.

قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وما يمنعه، إنه مني وأنا منه.

قال جبرئيل وأنا منكما.

وسمعوا صوتاً:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على ^(١)

(١) الطبرى: ج ٣، ص ١٧، وابن الأثير، ج ٢، ص ٧٥، والأغاني: ج ١٤، ص ١٧.

وفي يوم خير لما شاهد النبي خور المسلمين وضعفهم
وانتصار اليهود لانكسار «الرجلين» في اليوم الأول والثاني ساعه
ذلك فقال لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله
ورسوله فاستطالت لها أعناق الرجال رجاء أن يدعوا لها فيحظون
بالفتح والسعادة الخالدة:

فأتاب الوصي أرمد عين
ومضى يطلب الصفو فولت
وibri مرحباً بـك اقتدار
ودحى بـها بـقوـة بـأس
وأـما يوم حـنين فـلم يـلقـ المـسلـمـون أـشـدـ منه فـلـقـدـ ضـاقتـ عـلـيـهـمـ
الـأـرـضـ بـماـ رـحـبـتـ وـبـلـغـتـ الـقـلـوبـ الـحـنـاجـرـ وـعـاتـبـهـمـ اللـهـ عـلـىـ
فـرـارـهـمـ عـنـ حـبـيـهـ وـخـاتـمـ رـسـلـهـ وـلـكـنـ ظـهـرـتـ فـيـ هـذـاـ يـوـمـ عـظـمـةـ
(ـصـاحـبـ الـرـاـيـةـ)ـ وـمـكـانـتـهـ مـنـ الرـسـوـلـ وـمـوـقـفـهـ مـنـ الدـيـنـ وـمـبـلـغـهـ مـنـ
الـدـافـعـ وـثـبـاتـهـ فـيـ وـجـهـ الـخـطـوبـ حـتـىـ تـرـاجـعـ الـمـسـلـمـوـنـ.

ثم لفت هذه الراية خمساً وعشرين سنة ونشرها أمير المؤمنين يوم (الجمل) وأعطها لولده محمد بن الحنفية وقال له هذه راية رسول الله لا تردد قط فزحف بها (ابن حيدرة) والجيش خلفه وقيس بن سعد بن عبادة يقول^(١) .

(١) كتاب الجمل للشيخ المفید، ص ١٦٥.

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي وجبريل لنا مدادا
ما ضر من كانت الأنصار عيّنته أن لا يكون له من غيرها أحدا
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم بالشرفية حتى يفتحوا البلدا
وأدى شبل علي عليه السلام حقها حتى كان الفتح كما أنها كانت معه
يوم النهروان ^(١).

أما يوم صفين فكانت راية الهمدانيين مع سفيان بن يزيد فلما
قتل أخوها أخوه عبيد ثم أخوه كرب ثم عمير بن بشير ثم الحرش
ابن بشير ثم وهب بن كرب وكلهم قتلوا دونها ^(٢) وفي هذا اليوم
الباهر كان لحملة الرايات من أهل العراق المقام المشكور حتى
تضعضع من أقدامهم عرش معاوية لولا القضاء وإبرام المحتوم.
فكان ذوو الرايات يحرصون على رفعها لكونها معقد الجيش
وبها يتم نظامهم وتتطامن نفوسهم ولم ينكسر الجيش إلا بقتل
صاحب الراية وسقوطها.

ومن هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة و موقفه من
الشهمة و محله من الشرف و مبوأه من الدين و منزلته من الغيرة
و مرتقاه من السؤدد يوم عبأ الحسين أصحابه فأعطى رايته أخيه
«العباس» ومع أن للعباس إخوة من أمه وأبيه وهناك من أولاد أبيه

(١) الاختصاص للمفید مخطوط.

(٢) رجال المامقاني بترجمة سفيان.

من لا يسلم اللواء كما أن في الأصحاب من هو أكبر سنًا منه مع صدق المفادة ولكن سيد الشهداء وجد أخاه أبا الفضل أكفى من معه لحملها ، وأحفظهم لذمامه وأرأفهم به وأدعاهم إلى مبدئه وأوصلهم لرحمه وأحماهم لجواره وأثبتهم للطuan وأربطهم جأشاً وأشدتهم مراساً فكان «صاحب الراية» عند معتقد أخيه الإمام ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب ثبات الأسد الخادر وهذا بيان مطرد تلهج به الألسن وإلا فما موقف الأسد منه ومن أين له طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت في ما يفر عنه الضرغام .

ولولا احتقار الأسد شبهتها به ولكنها معدودة في البهائم
نعم أنساب تشبهه يليق بمقامه أنه كان يصول ومعه صولة أبيه
المرتضى .

وللعباس مزية على من حمل اللواء وبارز الأبطال وتقدم للطuan فإنه عليه السلام قد ألمت به الكوارث والمحن من نواحٍ متعددة من جروح وعطش وفتنة صرعي وحرائر ولهم وأطفال أمض بها الظماً والواحدة منها كافية في أن تهدي إلى البطل ضعفاً وإلى الباسل فراراً لكن صريحة بنى هاشم بالرغم من كل هاتيك الرزايا كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه وصارم من عزمه وكان في حد حسامه الأجل المتاح وملك الموت طوع يمينه إذاً فليس من الغريب إذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول .

قُسْمًا بِصَارِمِهِ الصَّقِيلِ وَإِنِّي فِي غَيْرِ صَاعِقَةِ السَّمَا لَا أُقْسِمُ
لَوْلَا الْقَضَا لِمَحَا الْوِجُودَ بِسَيْفِهِ وَاللَّهُ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ

موقفه قبل الطف

يسترسل بعض الكتاب عن موقفه قبل الطف فيثبت له منازلة الأقران والضرب والطعن وبالغ في ذلك حتى حکى عن المنتخب أنه يقول كان كالجبل العظيم وقلبه كالطود الجسيم لأنه كان فارساً هماماً وجسوراً على الضرب والطعن في ميدان الكفار ويحدث صاحب الكبريت الأحمر، ج ٣، ص ٢٤، عن بعض الكتب المعتبرة لتبني صاحبها أنه عليه السلام كان عضداً لأخيه الحسين يوم حمل على الفرات وأزاح عنه جيش معاوية وملك الماء.

قال ومما يروى أنه في بعض أيام صفين خرج من جيش أمير المؤمنين عليه السلام شاب على وجهه نقاب تعلوه الهيبة وتبصر عليه الشجاعة يقدر عمره بالسبعين عشرة سنة يطلب المبارزة فهابه الناس وندب معاوية إليه أبا الشعثاء فقال إن أهل الشام يعدونني بألف فارس ولكن أرسل إليه أحد أولادي وكانوا سبعة وكلما خرج أحد منهم قتله حتى أتى عليهم فسأ ذلك أبا الشعثاء وأغضب به ولما بُرِزَ إِلَيْهِ الْحَقْهُ بِهِمْ فَهَابَهُ الْجَمْعُ وَلَمْ يَجِرْهُ أَحَدٌ عَلَى مَبَارِزَتِهِ

وتعجب أصحاب أمير المؤمنين من هذه البسالة التي لا تعلو
الهاشميين ولم يعرفوه لمكان نقابه ولما رجع إلى مقره دعاه أبوه
أمير المؤمنين وأزال النقاب عنه فإذا هو «قمر بنى هاشم» ولده
العباس عليه السلام.

قال صاحب الكبريت بعد هذه الحكاية وليس ببعيد صحة
الخبر لأن عمره يقدر بالسبعين عشرة سنة وقد قال الخوارزمي كان
اماً كاملاً.

وهذا نص الخوارزمي في المناقب ص ١٤٧ خرج من عسكر
معاوية رجل يقال له كريب كان شجاعاً قوياً يأخذ الدرهم فيغمزه
بإباهامه فتذهب كتابته فنادى ليخرج إلى علي فبرز إليه مرتفع بن
وضاح الزبيدي فقتله ثم برق إليه شرحبيل بن بكر فقتله ثم برق إليه
الحرث بن الحجاج الشيباني فقتله فسأله أمير المؤمنين ذلك فدعا
ولده العباس عليه السلام وكان تاماً كاملاً من الرجال وأمره أن ينزل عن
فرسه وينزع ثيابه فلبس علي ثياب ولده العباس وركب فرسه
وألبس ابنه العباس ثيابه وأركبه فرسه لئلا يجبن كريب عن مبارزته
إذا عرفه فلما برق إليه أمير المؤمنين ذكره الآخرة وحذره بأس الله
وسخطه فقال كريب لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من أمثالك ثم
حمل على أمير المؤمنين فاتقاه بالدرقة وضربه علي على رأسه
فشقه نصفين ورجع أمير المؤمنين وقال لولده محمد بن الحنفية
قف عند مصرع كريب فإن طالب وتره يأتيك فامثل محمد أمر

أبيه فأتاه أحد بنى عمه وسأله عن قاتل كريب قال محمد أنا مكانه فتجاولا ثم قتله محمد وخرج إليه آخر فقتله محمد حتى أتى على سبعة منهم.

وفي ص ١٠٥ من المناقب ذكر حديث العباس بن الحارث ابن عبد المطلب وقد بربز إليه عثمان بن وائل الحميري فقتله العباس فبرز إليه أخوه حمزة وكان شجاعاً قوياً فنهاه أمير المؤمنين عن مبارزته وقال له انزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكانك وأنا أخرج إليه فتذكر أمير المؤمنين وبرز إليه وضربه على رأسه فقطع نصف رأسه ووجهه وإبطه وكتفه فتعجب اليمانيون من هذه الضربة وهابوا العباس بن الحارث.

هذا ما حدث به في المناقب ومنه نعرف أن هناك واقعتين جرتا لأمير المؤمنين مع ولده العباس ومع العباس بن الحارث فإنكار شيخنا الجليل المحدث النوري في حضور العباس في صفين مدعياً اشتباه الأمر على بعض الرواية بالعباس بن الحارث في غير محله فإن الحجة على تفنيد الخبر غير تامة لأن أحداً هذا البيت ورجالاته قد فاقوا الكل في الفضائل جميعاً وجاؤوا بالخوارق في جميع المراتب فليس من البدع إذا صدر من أحد هم ما يمتنع مثله عن الشجاعان وإن لم يبلغوا مبالغ الرجال.

فهذا القاسم بن الحسن السبط لم يبلغ الحلم يوم الطف وقد

ملاً ذلك المشهد الرهيب هيبة وأهدى إلى قلوب المقارعين فرقاً وإلى الفرائص ارتعاداً وإلى النفوس خوراً غير مبالٍ بالجحفل الجرار ولا بمكتثر بمزدحم الرجال حتى قتل خمسة وثلاثين فارساً^(١) وبطبع الحال فيهم من هو أقوى منه لكن البسالة وراثة بين أشبال (علي) على حد سواء فهم فيها كأسنان المسط صغيرهم وكبيرهم كما أنهم في الأنفة عن الدنيا سيان فلم يغتالوا الشبل الباسل حتى وقف يشد شسع نعله وهو لا يزن الحرب إلا بمثله وقد أنف (شبل الوصي) أن يحتفي في الميدان.

أهوى يشد حذاءه وال Herb مشرعة لأجله
 ليسومها ما إن غلت هيجاوها بشراك نعله متقلداً صم صامة
 لا تعجبن لفعله فالفرع مرتهن بأصله السحب يخلفها الحيا
 والليث منظور بشبله يردي الطليعة منهم ويريهم آيات فعله^(٢)

وهذا عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب بارز يوم الطف الألوف مع صغر سنه حتى قتل منهم على رواية محمد بن أبي طالب ثلاثة وتسعين رجلاً بثلاث حملات.

(١) نفس المهموم: ص ١٧٠، وحكي عن أمالي الصدوق أنه قتل ثلاثة.
 (٢) للعلامة السيد مير علي أبو طبيخ رحمه الله.

وهذا محمد بن الحنفية فإن له مواقف محمودة في الجمل وصفين والنهر وان وكانت الرأية معه فأبلى بلاءً حسناً سجله له التاريخ وشكراً للإسلام وكان صغير السن على ما يظهر من السبط في تذكرة الخواص وابن كثير في البداية ج ٩، ص ٣٨، فإنهما نصا على وفاته سنة ٨١ عن خمس وستين فتكون ولادته سنة ١٦ وله يوم البصرة الواقع سنة ٣٦ عشرون سنة.

وحينئذ فلا غرابة في التحدث عن موقف أبي الفضل وما أبداه من كر وإقدام خصوصاً بعدهما أوقفنا النص النبوي الآتي على ما حواه ولد أبي طالب من بسالة وبطولة.

وأما يوم شهادة أخيه الإمام المجتبى فله أربع وعشرون سنة وقد ذكر صاحب كتاب «قمر بنى هاشم» ص ٨٤ أنه لما رأى جنازة سيد شباب أهل الجنة ترمى بالسهام عظم عليه الأمر ولم يطق صبراً دون أن جرد سيفه وأراد البطش بأصحاب «البلغة» لولا كراهية السبط الشهيد الحرب عملاً بوصية أخيه (لا تهرق في أمري محجمة من دم) فصبر أبو الفضل على أحر من جمر الغضا ينتظر الفرصة ويتربّق الوعود الإلهي فأجهد النفس وبذل النفيض في مشهد (النواويس) وحاز كلتا الحسينين.

٢٥٢ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

موقفه في الطف

ربما يستعصي البيان عن الإفاضة في القول في هذا الفصل لشدة وضوحيه وربما أعقب الظهور خفاء فإن من أغرز الصفات الحميدة في الهاشميين الشجاعة وقد جبلوا عليها وبالأخص الطالبيين وقد أوقفنا على هذه الظاهرة الحديث النبوي «لو ولد الناس أبو طالب كلهم لكانوا شجاعاً»^(١) إذاً فما ظنك بطالبي أبوه أمير المؤمنين قاتل عمرو بن عبد ود ومزهق مرحب وقالع باب خيبر وقد عرق في ولده البسالة كلها والشهامة بأسرها وعلمه قراع الكتائب فنشأ بين حروب طاحنة وغارات شعواء وخؤولته العامريون الذين شهد لهم عقيل بالفروسيّة وللحؤولة كالعمومة عرق ضارب في الولد ومن هنا قالت العرب فلان معّ مخول إذا كان كريمه وحوى المزايا الحميدة عنهما^(٢) ولم يعقد أمير

(١) غرر الخصائص للوطواط ص ١٧، في باب حفظ الجوار.

(٢) تاج العروس: ج ٧، ص ٣١٢ وج ٨، ص ٤٠٠ وقد نظم هذه الخاصة أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٧٣ ففي معجم البلدان: =

المؤمنين على أم البنين إلا لتلد له هذا الفارس المغوار والبطل
المجرب فما أخطأت إرادته الغرض ولا عدى سهمه المرمى.

فكان أبو الفضل رمز البطولة ومثال الصولات يلوح البأس
على أسرّة جبهته فإذا يمم كمياً قصده الموت معه أو التقى بمقبل
ولاه ذبره ولم يبرح هكذا تشكّره الحرب والضرب وتشكوه
الهامت والأعناق ما خاض ملحمة إلا وكان ليلها المعتكر ولم
يُلْفَ في معركة إلا وقابل بيشه وجهها المكفر:

يمثل القرار في كراته بل في المعاني الغر من صفاته
ليس يد الله سوى أبيه وقدرة الله تجلت فيه
 فهو يد الله وهذا ساعده تغنيك عن إثباته مشاهده
صولته عند النزال صولته لولا الغلو قلت جلت قدرته
وهل في وسع الشاعر أن ينضد خياله أو يتسى للكاتب أن

= ج ١ ، ص ٦٣ بمادة أمل أنه قال :

بأمل مولدي وبنو جرير فأخوالي ويفحكي المرء حاله
فها أنا رافضي عن تراث وغيري رافضي عن كلاله
عرض بابن جرير صاحب التاريخ فإنه أخو أمه وكان من أهل السنة وإنما
نسبة إلى التشيع الحنابلة لتصحيحه حديث الغدير فتشيعه ادعائي وهو
المعبر عنه (بالكلالة) فإنها في اللغة ما لم يكن من النسب لحافقول
الحموي في المعجم كذب الخوارزمي لأن ابن جرير من أعلام السنة مبني
على عدم فهمه الغرض من البيت فالخوارزمي لم يعترف بتشيعه .

يسترسل في وصف تلك البسالة الحيدرية وجوهر الحقيقة قائم بنفسه ماثل أمام الباحث بأجلٍ من كل هاتيك المعرفات في مشهد يوم الطف .

ولعمري إن حديث كربلا لم يبقٍ لسابق في الشجاعة سبقاً ولا للاحق طريقاً إلا الالتحاق به فلقد استعملينا أخبار الشجعان في الحروب والمعازي يوم شاؤوا الأقران في الفروسية فلم يفدهم في الغالب الاستظهار بالعدد وتوفّر العتاد وتهيئة مددات الحياة من المطعم والمشرب وفي الغالب أن الكفاية بين الجيشين المتقابلين موجودة .

يسترسل المؤرخون لذكر شجعان الجاهلية والحالة كما وصفناها واهتزوا طرباً لقصة ربيعة بن مكدم - وهي أن ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان من بني مالك بن كنانة كان أحد فرسان مصر المعدودين خرج بالظعينة وفيها أمه أم سنان من بني أشجع ابن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة وأخته أم عزة وأخوه أبو القرعة ورأى الظعينة دريد بن الصمة فقال لرجل معه صح بالرجل أن خلّ الظعينة وانجُ بنفسك وهو لا يعرفه فلما رأى ربيعة أن الرجل قد ألح عليه ألقى زمام الناقة وحمل على الرجل فصرعه فبعث دريد آخر فصرعه ربيعة بعث الثالث ليعلم خبر الأولين فقتله ربيعة وقد انكسر رمحه فلما وفاه دريد ورأى الثلاثة صرعي ورمحه مكسوراً قال له يا فتى مثلك لا يقتل وهو لاء يشارون ولا

رمح لك ولكن خذ رمحي وانجُ بنفسك والظعينة ثم دفع إليه رمحه ورجع دريد إلى القوم وأعلمهم أن الرجل قتل الثلاثة وغلبه على رمحه وقد منع بالظعينة فلا طمع لكم فيه^(١).

هذا الذي حفظته السيرة مأثرة لربيعة بن مكدم بتهالكه دون الظعائن حتى انكسر رمحه ولكن أين هو من (حامي الظعينة) يوم قاتل الألوف وززع الصفوف عن المشرعة حتى ملك الماء وملاً القرية والكل يرونها ويحذرونها وأنى لربيعة من بواسل ذلك المشهد الرهيب فضلاً عن سيدهم أبي الفضل فلقد كان جامع رأيهم فلم يقدّهم إلا إلى محل الشرف منكباً بهم عن خطة الخسف والضعة على حين أن الأبطال تتقاذف بهم سكرات الموت هذا وللسبط المقدس طرف شاخص إلى صنوه البطل المقدام كيف يرسّب ويطفو بين بُهم الرجال ووجهه متهلل لكراته ولحرائر بيت النبوة أمل موطد لحامية الظعائن.

وإليك مثلاً من بسالته الموصوفة في ذلك المشهد الدامي وهي لا تدعك إلا مذعنًا بما له من ثبات ممنع عند الهزاهز وطمأنينة لدى الأهوال.

الأول - في اليوم السابع من المحرم حوصر سيد الشهداء

(١) أمالی القالی: ج ٢، ص ٢٧١، والسمط: ج ٢، ص ٩١٠، والأغانی: ج ١٤، ص ١٢٩.

ومن معه وسد عنهم باب الورود ونفد ما عندهم من الماء فعاد كل منهم يعالج لهب الأوام^(١). وبطبع الحال كانوا بين آنة وحنة وتضور ونشيجه ومتطلب للماء إلى متاح ما يبل غلته وكل ذلك بعين «أبي علي» والغيارى من آله والأكارم من صحبه وما عسى أن يجدوا لهم وبينهم وبين الماء رماح مشرعة وبوارق مرهفة في جمع كثيف يرأسهم عمرو بن الحجاج لكن «ساقى العطاشى» لم يتطامن على تحمل تلك الحالة.

أوتشتكي العطش الفواطم عنده وبصدر صعدته الفرات المفعم ولو استقى نهر المحمرة لارتقي طويل ذابله إليها سلم لو سد ذو القرنين دون وروده وبكيفه اليمنى الحسام المخدم في كفه اليسرى السقاء يقله مثل السحابة للفواطم صوبه فيصيب حاصبه العدو فيرجم

هناك قيض الحسين لهذه المهمة أخاه العباس في حين أن نفسه الكريمة تنازعه إلى ذلك قبل الطلب ويحدوه إليه حفاظه المر فأمره أن يستقي للحرائر والصبية وإن كان دونه شق المرائر وسفك المهج وضم إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم عشرين قربة وتقدم أمامهم نافع بن هلال الجملي فمضوا غير مبالين وكل بحفظ الشريعة لأنهم محتفون بأسد آل محمد فتقدم

(١) مقتل محمد بن أبي طالب.

نافع باللواء وصاح به عمرو بن الحاج من الرجل وما جاء بك
قال جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلّأتمونا عنه فقال له اشرب
هنيئاً قال نافع لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين ومن ترى من
آله وصحبه عطاشى .

فقال لا سبيل إلى سقي هؤلاء وإنما وضعنا هنا لنمنعهم
الماء ثم صاح نافع بأصحابه املأوا قربكم وشد عليهم أصحاب
ابن الحاج فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يقاتل وحاميمهم
«ابن بجدتها» مسددة الكمة المتربي في حجر البسالة الحيدرية
والمرتضع من لبانها «أبو الفضل» فجاؤوا بالماء وليس في القوم
المناوئين من تحدثه نفسه بالدنو منهم فرقاً من ذلك البطل المغوار
فبلغت غلة الحرائر والصبية الطيبة من ذلك الماء وابتهاجت به
النفوس ^(١) .

ولكن لا يفوت القارئ معرفة أن تلك الكمية القليلة من الماء
ما عسى أن تجدي أولئك الجمع الذي هو أكثر من مائة وخمسين
رجالاً ونساءً وأطفالاً أو أنهم ينيفون على المائتين على بعض
الروايات ومن المقطوع به أنه لم ترو أكبادهم إلا مرة واحدة أو
أنها كمصة الوشل فسرعان أن عاد إليهم الظماً وإلى الله سبحانه
المشتكي .

(١) تاريخ الطبرى: ج ٦، ص ٢٣٤، والأخبار الطوال: ص ٥٣ .

الثاني - كان أصحاب الحسين عليه السلام بعد الحملة الأولى التي استشهد فيها خمسون يخرج الاثنان والثلاثة والأربعة وكل يحمي الآخر من كيد عدوه فخرج الجابريان وقاتلوا حتى قتلا وخرج الغفاريان فقاتلوا معاً حتى قتلا وقاتل الحر الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره حتى فعلا ذلك ساعة فكان إذا شد أحدهما واستلهم شد الآخر واستنقذه حتى قتل الحر^(١).

وفي تاريخ الطبرى، ج ٦، ص ٢٥٥ أن عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه وجابر بن الحارث السلمانى ومجمع بن عبد الله العائذى شدوا جمیعاً على أهل الكوفة فلما أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كل جانب وقطعوهم عن أصحابهم فندب إليهم الحسين أخاه العباس فاستنقذهم بسيفه وقد جرحوا بأجمعهم وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو فشدوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح وقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد وفازوا بالسعادة الخالدة.

(١) الطبرى: ج ٦، ص ٢٥٢.

٢٦٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الشهادة

لم يفتأ لقمر بنى هاشم دئوب على مناصرة الحق في شرم وإباء عن النزول على حكم الدنيا منذ كان يرتفع لبان البسالة وتربي في حجر الإمامة فترعرع ونصب عينه أمثلة الشجاعة والتضحية دون التواميس الإلهية لمطاردة الرجال ومجالدة الأبطال فإما فوز بالظفر أو ظفر بالشهادة فمن الصعب عنده النزول على الضيم وهو يرى الموت تحت مشتبك الأسنة أسعد من حياة تحت نير الاضطهاد فكان لا يرى للبقاء قيمة «وإمام الحق» مكثور وعقال بيت الوحي قد بلغ منهن الكرب كل مبلغ ولكن لما كان سلام الله عليه أنفس الذخائر عند السبط الشهيد وأعز حامته لديه وطمأنينة الحرم بوجوده وبسيفه الشاهر ولوائه الخفاف وبطولته المعلومة لم يأذن له إلى النفس الأخير من النهضة المقدسة فلا الحسين يسمح به ولا العائلة الكريمة تألف بغيره ولا الحالة تدعه لأن يغادر حرائر أبيه بين الوحوش الكواسر.

هكذا كان أبو الفضل بين نزوع إلى الكفاح بمقتضى غريزته

وتأخر عن الحركة لباعث ديني وهو طاعة الإمام عليه السلام حتى بلغ الأمر نصابه فلم يكن لجاذب الغيرة أو دافعها مكافئ وكان ملء سمعه ضوضاء الحرم من العطش تارة ومن البلاء الم قبل أخرى (ومركز الإمامة) دارت عليه الدوائر وتقطعت عنه خطوط المدد وتفانى صحبه وذووه هنالك هاج (صاحب اللواء) ولا يلحقه الليث عند الهياج فمثل أمام أخيه الشهيد يستأذنه فلم يجد أبو عبدالله بدأ من الأذن حيث وجد نفسه لتسيق جسمه إذ ليس في وسعه البقاء على تلك الكوارث الملمة من دون أن يأخذ ثاره من أولئك المردة فعرفه الحسين أنه مهما ينظر اللواء مرفوعاً كأنه يرى العسكر متصلةً والمدد متتابعاً والأعداء تحذر صولته وترهب إقدامه وحرائر النبوة مطمئنة بوجوده فقال له (أنت صاحب لوائي) ولكن اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء فذهب العباس إلى القوم ووعظهم وحذرهم غضب الجبار فلم ينفع فرجع إلى أخيه وأخبره فسمع الأطفال يتصارخون من العطش فنهضت (بساقي العطاشى) غيرته الشماء وأخذ القربة وركب فرسه وقصد الفرات فلم يرעה الجمع المتکاثر وكشفهم شبل علي عن الماء وملك الشريعة ومذ أحسن ببرده تذكر عطش الحسين فرأى من واجبه ترك الشرب لأن الإمام ومن معه أضر بهم العطش فرمى الماء من يده^(١) وأسرع بالقربة

(١) البحار: ج ١، ومقتل العوالم: ص ٩٤، عن بعض التأليفات.

محافظاً على مهجة الإمام ولو في آن يسير وقال^(١) :
يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني
فتکاثروا عليه وقطعوا طريقه فلم يبال بهم وجعل يضرب فيهم
بسيفه ويقول :

لا أرعب الموت إذا الموت زقا حتى أوارى في المصالิต لقى
إنني أنا العباس أغدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقى
فكمن له زيد بن الرقاد الجهنمي وعاونه حكيم بن الطفيلي
السنبي فضربه على يمينه فقطعها فأخذ السيف بشماله وجعل
يضرب فيهم ويقول :

والله إن قطعتمو يميني إنني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين
فكمن له حكيم بن الطفيلي من وراء نخلة فضربه على شماله
فبراها فضم اللواء إلى صدره .

فبعد ذلك أمنوا سطوته وتکاثروا عليه وأتته السهام كالمطر
فأصاب القربة سهم وأريق ماوها وسهم أصاب صدره وسهم

أصاب عينه وحمل عليه رجل بعمود من حديد وضربه على رأسه المقدس.

وهو بجنب العلقمي فليته للشاربين به يداف العلقم
ونادى بصوت عالٍ عليك مني السلام يا أبا عبدالله^(١) فأتاه
الحسين عليه السلام ويا ليتنى علمت بماذا أتاه أب حياة مستطرة منه بذلك
الفادح الجلل أو بجاذب من الأخوة إلى مصرع صنوه المحبوب
نعم حصل الحسين عنده وهو يبصر هيكل البسالة وقربان القدسية
فوق الصعيد وقد غشته الدماء السائلة وجللته النبال ورأى ذلك
الغصن الباشق قد ألم به الذبول فلا يمين تبطش ولا منطق يرتجز
ولا صولة ترهب ولا عين تبصر ومرتكز الدماغ على الأرض
مبعد.

أصحيح أن الحسين ينظر إلى تلکم الفجائع ومعه حياة تقدمه
أو عافية تنهض به لاها الله لم يبق الحسين بعد أبى الفضل إلا
هيكلًا شاحصاً معرّى عن لوازم الحياة وقد أعرب سلام الله عليه
عن هذا الحال بقوله (الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي
عدوي).

وبان الانكسار في جبهته فاندكت الجبال من حنيته

(١) تظلم الزهراء: ص ١٢٠.

كافل أهله وساقي صبيته وحامل اللوا بعالی همته
وکيف لا وهو جمال بهجته وفي محياه سرور مهجهته
ورجع إلى المخيم منكسرًا حزيناً باكياً يکفکف دموعه بکمه
کيلا تراه النساء^(١) وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادی بصوت
عالٍ أما من مجیر يجیرنا أما من مغيث يغیثنا أما من طالب حق
ینصرنا أما من خائف من النار فيذبّ عنا .

كل هذا: لإبلاغ الحجة وإقامة العذر حتى لا يعتذر أحد
بالغفلة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولما رأته سكينة مقبلاً أخذت بعنان جواده وقالت أين عمي
العباس أراه أبطأ بالماء فقال لها إن عمك قتل فسمعته زينب
فنادت وأخاه وا عباساه وا ضيغتنا بعدهك وبكين النسوة وبكى
الحسين معهن ونادى وا ضيغتنا بعدهك أبا الفضل .

(١) الكبريت الأحمر: ص ١٥٩، عن إكسير العبادة .

٢٦٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المشهد المطهر

مما لا شك فيه أن الإمام الشهيد أبا عبدالله عليه السلام لم يترك القتلى في حومة الميدان وإنما كان يأمر بحملهم إلى الفسطاط الذي يقاتلون دونه وهذا وإن لم نجده صريحاً في كل واحد من المستشهدين إلا أن التأمل في ما يؤثر في الواقعه يقتضيه وإن طبع الحال يستدعيه ويؤيده ما في البحار من حمل الحر حتى وضع بين يدي الحسين وعند سقوط علي الأكبر أمر الحسين فتيانه أن يحملوه إلى الفسطاط الذي يقاتلون دونه وقد حمل القاسم بن نفسه المقدسة حتى وضعه مع ابنه الأكبر وقتل حوله من أهل بيته.

هذا لفظ ابن جرير وابن الأثير ومن بعيد جداً أن يحمل سيد الشهداء أهل بيته خاصة إلى الفسطاط ويترك أولئك الصفة الأكارم الذين قال فيهم «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي» ففضلهم على كل أحد حتى على أصحاب جده وأبيه وإن كل أحد لا يرضي من نفسه هذه الفعلة فكيف بذلك السيد الكريم الذي علم الناس الشتم والإباء والغيرة.

على أن الفاضل القزويني يحكى في تظلم الزهراء، ص ١١٨ عن غيبة النعماني أن أبا جعفر الباقي عليه السلام يقول كان الحسين يضع قتلاه بعضهم مع بعض ويقول قتلة مثل قتلة النبيين وأل النبيين .

نعم مما لا شك فيه أنه عليه السلام ترك أخاه العباس في محل سقوطه قريباً من المسنة لا لما يمضى في بعض الكتب من كثرة الجروح وقطع الأوصال فلم يقدر على حمله^(١) لأن في وسع الإمام أن يحرك ذلك الشلو المبضع إلى حيث أراد ومتى شاء .

ولا لما قيل من أن العباس أقسم عليه بجده الرسول أن يتركه في مكانه لأنه وعد سكينة بالماء ويستحي منها^(٢) لعدم الشاهد الواضح على كل منهما .

بل إنما تركه لسر دقيق ونكتة لا تخفي على المتأمل ومن له ذوق سليم ولو لا لم يعجز الإمام عن حمله مهما يكن الحال وقد كشفت الأيام عن ذلك السر المقصون وهو أن يكون له مشهد يقصد بالحوائح والزيارات وبقعة يزدلف إليها الناس وتزلف إلى المولى سبحانه تحت قبته التي تحك السماء رفعة وسناء فتظهر هنالك الكرامات الباهرة وتعرف الأمة مكانته السامية و منزلته عند الله فتقدره حق قدره و تؤدي ما وجب عليهم من الحب المتأكد

(١) الدمعة الساكة: ص ٣٣٧، عن بعض التأليفات .

(٢) الكبريت الأحمر: ج ١، ص ١٥٨، عن اكسير العبادات .

والزورة المتواصلة ويكون عليه السلام حلقة الوصل بينهم وبين الله تعالى وسبب الزلفى لديه .

فشاء المهيمن تعالى شأنه وشاء وليه وحجته أن تكون منزلة أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الأخرى فكان كما شاء وأحبا .

ولو حمله سيد الشهداء إلى حيث مجتمع الشهداء في الحائر الأقدس لغمره فضل الإمام الحجة عليه السلام ولم تظهر له هذه المنزلة التي ضاحت منزلة الحجج الطاهرين خصوصاً بعدما أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بإفراد زيارة مختصة به وإنما بالدخول إلى حرمته الأطهر كما شرع ذلك لأنّة الهدى غير ما يزار به جميع الشهداء بلفظ واحد وليس هو إلا لمزايا اختصت به .

وقد أرشدتنا آثار أهل البيت على هذا الموضع من مرقده الطيب ففي كامل الزيارة لابن قولويه ص ٢٥٦ بسند صحيح عن أبي حمزة الشمالي عن الصادق عليه السلام قال إذا أردت زيارة العباس ابن علي وهو على شط الفرات بحذاء الحير فقف على باب السقيفة وقل سلام الله وسلام ملائكته إلخ .

وحكى المجلسي أعلا الله مقامه في مزار البحار عن الشيخ المفید وابن المشهدی زيارة أخرى له في هذا المشهد الذي أشار إليه الصادق برواية غير مقيدة بوقت من الأوقات .

وهكذا حكى عن المفید والشهید والسيد ابن طاوس في زیارة النصف من رجب ولیلة القدر ويومی العیدین ومثله العلامة النوری في (تحیة الزائر).

وعبارۃ المفید في الإرشاد صریحة في ما نصت به روایة أبي حمزة الثمالي فإنه قال عند ذکر من قتل من آل الحسین «وکلهم مدفونون مما يلیی رجلي الحسین فی مشهدہ حفر لهم حفیرة وألقوا فيها جمیعاً إلا العباس بن علی فإنه دفن فی موضع مقتله على المسناة بطريق الغاضریة وقبره ظاهر وليس لقبور إخوته وأهله الذين سميوا بهم أثرا وإنما يزورهم الزائر من عند قبر الحسین ويومی إلى الأرض التي نحو رجليه بالسلام عليهم وعلى ابن الحسین في جملتهم ويقال إنه أقربهم دفناً إلى الحسین فاما أصحاب الحسین الذين قتلوا معه فإنهم دفعوا حوله ولسنا نحصل لهم أجداثاً على التحقيق إلا أننا لا نشك أن الحائر محیط بهم».

وعلى هذا مشی العلماء المحققون والمنقبون في الآثار من کون مشهدہ بحذاء الحائر الشریف قریباً من شط الفرات نص عليه الطبرسی في إعلام الوری ص ١٤٧ والسيد الجزائری في الأنوار النعمانیة ص ٣٤٤ والشيخ الطریحی في المنتخب والسيد الداودی في عمدة الطالب ص ٣٤٩ وحكاہ في ریاض الأحزان ص ٣٩ عن کامل السقیفة.

وهو الظاهر من ابن ادريس في السرائر والعلامة في المتنى
والشهيد الأول في مزار الدروس والأردبيلي في شرح الإرشاد
والسبزواري في الذخيرة والشيخ اغا رضا في مصباح الفقيه فإنهم
نقلوا كلام المفید ساكتين عليه .

ملاحظة

تقديم في نقل البحار أن الحر الرياحي حمل من الميدان
ووضع أمام الحسين وعليه يكون مدفوناً في الحائر الأطهر ولكن
في الكبريت الأحمر ج ٣، ص ١٢٤، جاءت الرواية عن مدينة
العلم للسيد الجزائري أن السجاد دفنه في موضعه منحازاً عن
الشهداء وفي ص ٧٥ ذكر أن جماعة من عشيرته نقلوه عن مصروع
الشهداء لئلا يوطأ بالخيل إلى حيث مشهده ويقال إن أمه كانت
معه فأبعدته عن مجتمع الشهداء .

وإذا صح حمل العشيرة إياه إلى حيث مشهده فلا يتم ما في
مدينة العلم من دفن السجاد له فإنه من بعيد جداً أن تحمله
العشيرة ثم تترك عميدتها في البيداء عرضة للوحوش بل لم يعهد
ذلك في أي أمة وملة .

وعلى كل فهذا المشهد المعروف له مما لا ريب في صحته
للسيرة المستمرة بين الشيعة على زيارته في هذا المكان وفيهم
العلماء والمتدينون ويظهر من الشهيد الأول المصادقة عليه فإنه

قال في مزار الدروس (وإذا زار الحسين فليزرك علي بن الحسين وهو الأكبر على الأصح وليلزرك الشهداء وأخاه العباس والحر بن يزيد) ووافقه العلامة النوري في اللؤلؤ والمرجان، ص ١١٥ واعتماد السلطنة محمد حسن المراغي من رجال العهد الناصري في حجة السعادة على حجة الشهادة ٥٦ طبع تبريز.

وقال المجلسي في مزار البحار عند قوله عليه السلام في زيارة الشهداء العامة (فإن هناك حومة الشهداء) المراد منه معظمهم أو أكثرهم لخروج العباس والحر عنهم ويشهد له ما في الأنوار النعmaniّة ص ٣٤٥ أنّ الشاه اسماعيل لما ملك بغداد وزار قبر الحسين وبلغه طعن بعض العلماء على الحر أمر بنبشه لكشف الحقيقة ولما نبشوه رأه بهيئته لما قتل ورأى على رأسه عصابة قيل له إنها للحسين فلما حلها نبع الدم كالميزاب وكلما عالج قطعه بغيرها لم يتمكن فأعادها إلى محلها وتبيّنت الحقيقة فبني عليه قبة وعین له خادماً وأجرى لها وقفاً.

الحائر

جاء في حديث الصادق عليه السلام لفظ الحير فإنه قال: «وهو على شط الفرات بحذاء الحير» والhair بالفتح فالسكون كالحائر هو المكان المنخفض الذي يسيل إليه ماء الأمطار ويجتمع فيه^(١) وفي تاج العروس بمادة حور: الحائر اسم موضع فيه مشهد الإمام المظلوم الشهيد أبي عبدالله الحسين.

ولم تحدث التسمية بالحائر من استدارة الماء حول القبر المقدس حين أُجري عليه بأمر المتكفل العباسي لأن لفظ الحائر والhair وقع في لسان الصادق والكاظم قبل استخلاف المتكفل.

نعم إن الله سبحانه وتعالى المذبور دون دينه القويم ممنوعاً من ورود الماء الذي جعل شرعاً سواءً لعامة المخلوقات باستدارة الماء حول قبره يوم أُجري عليه لاغفاء أثره ومحو رسمه (ولن يزداد أثره إلا علوًّا).

(١) نص عليه في الصاح والمصباح والقاموس ومعجم البلدان.

ولقد شعت هذه الآية الباهرة فاستضاءت منها الحقب والأعوام واهتزت لها الأندية والمحافل ارتياحاً وتناقلها العلماء المنقبون في جوامعهم منهم الشهيد الأول في الذكرى والأربيلي في شرح الإرشاد والسبزواري في الذخيرة والشيخ الطريحي في المنتخب والشيخ المحقق في «الجواهر».

وكم لآل الرسول من براهين كاثرت النجوم فكثرتها وقد اجتهد أهل العnad في إغفالها أو افتعال نظائرها لأئمتهم حقداً وحسداً (ويأبى الله إلا أن يتم نوره).

من يباريهم وفي الشمس معنى مجهد متعب لمن باراها
ورثوا من محمد سبق أولاً ها وحازوا ما لم تحز أخراها
قادة علمهم ورأي حجاهم مسمعاً كل حكمة منظراها
علماء أئمة حكماء يهتدي النجم باتباع هداها
يتحدث الياافعي في مرآة الجنان ج٤، ص ٢٧٣ عن كرامة
لأحمد بن حنبل فيقول زادت دجلة زيادة مفرطة حتى خربت مقبرة
أحمد بن حنبل سوى البيت الذي فيه ضريحه فإن الماء دخل في
الدهليز علو ذراع ووقف بإذن الله وبقيت البواري عليها الغبار
حول القبر، صح الخبر.

هكذا يرتاح لهذه الكرامة ويصحح الخبر ولكنه يتوقف عن
إثبات تلك الكرامة لسيد شباب أهل الجنة وفلذة كبد الإسلام
وريحانة النبي الأعظم.

وما أدرى بماذا يعتذر يوم جرفت دجلة قبر ابن حنبل ومحت
أثره حتى لم يعرف له ضريح إلى اليوم^(١).

وقد أجاد العلامة الشيخ محمد السماوي إذ يقول :

ألا من عذيري يا بنى العلم والحجى من الياافعي الحنبلى المجلل
يذكرني إن قلت قبر ابن فاطم عليه استدار الماء للمتوكل
ويزعم حار الماء ولم تجل غبرة على حصر كانت بقبر ابن حنبل
وإن لأمثال ذلك في كتبهم الشيء الكثير أرادوا به المقابلة لما
صدر من آل النبي المعصومين والإشارة إلى بعض ما أوقفنا
البحث عليه وإن يخرجنا عن وضع الرسالة إلا أن الغرض تعريف
القارئ بأن العداء كيف يأخذ بالشخص إلى إنكار البديهي
والتعامي عن النيرات.

ذكر الياافعي في مرآة الجنان ج ٣، ص ١١٣ أن أبا اسحق
الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ لما ورد بلاد العجم خرج أهلها
إليه بنسائهم وأطفالهم للتبرك به فكانوا يمسحون أردانهم به
ويأخذون من تراب نعله فيستشفون به.

وإذا صح مثل هذا فلماذا كان الاستشفاء بتربة الحسين وهو
سيد شباب أهل الجنة بدعة وضلاله.

(١) بغداد في عهد العباسين، ص ١٤٦.

ثم في ج ٣، ص ١٣٣ منه يعد من فضائل أحمد وكراماته وما حباه الله عن خدمته في الدين أن إبراهيم الحربي رأى في المنام بشراً الحافي خارجاً من مسجد الرصافة وفي كمه شيء فسألته عنه فقال لما قدم علينا روح أحمد بن حنبل نثر عليه الدر والياقوت فهذا مما التقى .

أصحح أن تعد هذه الرؤيا من الكرامات ويعد من الباطل حديث الرسول الأعظم في حق سيد الوصيين ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى ولو لاه لما قام للدين عمود ولما أخضر له عود وذلك لما تزوج أمير المؤمنين من سيدة نساء العالمين بأن الله تعالى أمر شجرة طوبى أن تحمل صكاكاً فيها براءة لمحبي علي وفاطمة من النار وأنشأ تحتها ملائكة التقطوا ما نشرته عليهم يحفظونه إلى يوم القيمة كرامة لعلي وفاطمة .

ثم يرمى راوي هذه الكراهة بالجهالة والرفض ويعد الحديث من الموضوعات^(١) مع شهادة الحديث بين المحدثين والمنقين في الآثار .

وجاء السبكي فعد في طبقات الشافعية ج ١، ص ٢١٥، من فضائل أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتله الواثق على مسألة خلق القرآن تكلم رأسه بالقرآن لما قطع وبقي يقرأه إلى أن أُلْحق بالجسد ودفن .

(١) اللآلئ المصنوعة لسيوطى : ج ١، ص ١٩٨ .

وإذ سمعوا بأن رأس الحسين الذي قتل في سبيل الدعوة الإلهية وإحياء الدين يتكلم بالقرآن لإتمام الحجة وتعريفاً للأمة طغيان أولئك الأمراء ولئلا تذهب تلك التضحية المقدسة أدراج التمويهات، طعنوا في الحديث ونسبوا راويه إلى الرفض والجهالة مع أن الحسين لم يخرج عن كونه ابن الرسول وقد شهد الصادق الأمين له ولأخيه المجتبى بأنهما إماماً هذه الأمة إن قاما وإن قعوا وأنهما سيداً شباباً أهل الجنة ولم يخرج أثراً ولا بطراً ولا ظالماً للعباد ولا غاصباً للحقوق.

ولم يقتنع بذلك حتى ادعى كرامة لإسماعيل الحضرمي وأنها من المستفيض قال في ج٥، ص ٥١ من طبقات الشافعية إن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحضرمي كان في سفر ومعه خادمه فأشرفت الشمس على الغروب فقال لخادمه قل للشمس تقف حتى نصل المنزل ونصللي فقال الخادم إن الفقيه اسماعيل يقول لك قفي فوقفت حتى بلغ المنزل وصللي ثم قال للخادم أما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغابت وأظلم الليل في الحال.

هكذا يقول الخبر من المستفيض في رجل قصارى ما يتخيّل فيه أنه أحد الأولياء وينكر حديث رد الشمس لأمير المؤمنين وكان من أعلام النبوة.

ويرتاح الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤٢٣ إلى حديث الوركاني بوقوع المآتم والنوح في أربعة أصناف من الناس المسلمين واليهود والنصارى والمجوس يوم وفاة أحمد بن حنبل.

ولا يكون هذا من البدعة والشناعة والخروج عن أخلاق المؤمنين كما تحاملوا بذلك على الشيعة في إقامتهم المآتم والنياحة على سليل الرسول وريحانته حتى قال الغزالى في مكاشفة القلوب، ص ١٨٧ (إياك أن تشغلى ببدع الرافضة من الندب والنياحة والحزن فإن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين).

وضرب على وتره غير واحد من المؤرخين وما ذنب الشيعة والمشرع الأعظم بكى على ولده الحسين وهو حي يرزق لمجرد تذكر ما يجري عليه فيخرج إلى المسجد ودموعه جارية فتبكي الصحابة لبكائه وفيهم أبو بكر وعمر وأبو ذر وعمار ويسأله عن سبب بكائه فيقول الآن حدثني جبرئيل بما يجري على الحسين^(١).

ويمر أمير المؤمنين بوادي كربلا في ذهابه إلى صفين فيقف هناك ويرسل عبرته ويقول هذا مناخ ركابهم ومهراق دمائهم طوبى

(١) أعلام النبوة للماوردي: ص ٥٣، والخصائص الكبرى للسيوطى: ج ٢، ص ١٢٥.

لك من تربة تراق عليك دماء الأحبة^(١).

إذن فهلا تحسن مواساة صاحب الشريعة ووصيه المقدم بعد وقوع الحادثة على فلذة كبده صاحب النهضة المقدسة والله عز وجل يقول ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

على أن الأحاديث الصحيحة عندهم عن أئمتهم تحثهم على التظاهر بما فيه إحياء أمرهم من الدعوة إلى سبيل الدين وإظهار الجزع والبكاء والنوح على سيد شباب أهل الجنة.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في دعائه الطويل وهو ساجد:

(اللهم ارحم تلك الصرخة التي كانت لنا اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا فلم ينهم ذلك عن الشخصوص إلينا رغبة في برّنا وصلة لرسولك وخلافاً منهم على ما خالفنا اللهم أعطهم أفضل ما يأملون في غربتهم عن أوطنهم وما آثروا به على أبنائهم).

ويقول عليه السلام لحماد الكوفي بلغني أن أنساً من الكوفة وغيرهم من نواحيها يأتون قبر الحسين في النصف من شعبان فبين قارئ يقرأ وقارص يقصّ وما دح يمدح ونساء يندبنه فقال حماد قد شهدت بعض ما تصف فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعل في شيعتنا

(١) قرب الإسناد.

من يفدينا ويمدحنا ويرثي لنا وجعل في عدونا من يقبح ما يصنعون.

ولما قال له ذريح المحاربي إني إذا ذكرت فضل زيارة الحسين لقومي وبنيّ كذبوني فقال (دع الناس يذهبون حيث شاؤوا وكن معنا).

فإذا كان هذا وأمثاله الكثير مما أوجب فعل الشيعة لتلك المظاهر فلماذا يطعن عليهم عند إيمانهم بها وما ذنبهم أفلأ يتأنّى عملهم والحال هذا كما أولا عمل خالد وغيره (أين المنصفون).

نعم ليس السر في ما حكموا به على الشيعة من الرياء والتضليل والشنعة والبدعة إلا قيامهم بهذه الشعائر التي فيها إظهار مظلومية أهل البيت العلوي وتفظيع أعمال المناوئين لهم وإعلام الملاّء بما نشروه من الجور واسترداد الجاهلية الأولى كما اعترف به ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٠٢ قال إن الشيعة لم يريدوا بهذه الأفعال إلا أن يشنعوا على دولة بني أمية لأنّه قتل في دولتهم.

وعليه فلا يكون العمل المستلزم للتشنيع على عمل الجبارة وطواغيت الأمة بقتلهم سيد شباب أهل الجنة وتلاعبيهم بالدين الحنيف تلاعب الصبيان بالأكّر مقرّباً للمولى زلفة ورضيّ لرب العالمين.

نهر العلقمي

لم يذكر أصحاب المعاجم هذا الوصف وأهمله المؤرخون
كما لم يصفه حديث الصادق في الزيارة المتقدمة فإن فيها (وهو
مدفون بشط الفرات بحذاء الحير) لكن شيخنا الطريحي ذكر في
المنتخب، ص ٩١ أن رجلاً من أهل الكوفة حداد قال خرجت
في البعث الذي سار إلى كربلا فخيمنا على شاطئ العلقمي
وحموا الماء عن الحسين ومن معه حتى قتلوا وأهله وأنصاره
عطاشاً ثم رجعنا إلى الكوفة وبعد أن سير ابن زياد السبايا إلى
الشام رأيت في المنام كأن القيامة قامت والناس يموجون وقد
أخذهم العطش وأنا أعتقد بأنني أشدتهم عطشاً مع شدة حرارة
الشمس والأرض تغلي كالقار إذ رأيت رجلاً عم الموقف نوره
وفي أثره فارس وجهه نور من البدر وبينما أنا واقف إذ أتاني رجل
وقادني بسلسلة إليه فقلت له أقسم عليك بمن أمرك من تكون قال
أنا من الملائكة قلت ومن هذا الفارس قال هذا علي أمير
المؤمنين قلت ومن ذلك الرجل قال محمد ﷺ ثم رأيت عمر بن

سعد وقوماً لم أعرفهم في أعناقهم سلاسل من حديد والنار تخرج من أعينهم وأذانهم ورأيت النبيين والصديقين قد أحدقوا بـ محمد عليه السلام فقال رسول الله تعالى ما صنعت قال لم أترك أحداً من قاتلي الحسين إلا جئت به فقدموهم أمام رسول الله وهو يسألهم عما صنعوا بولده يوم كربلاً فواحد يقول أنا حميت الماء عنه والآخر يقول أنا رميته والثالث يقول أنا وطئت صدره ورابع يقول أنا قتلت ولده وهو يبكي حتى بكى من حوله لبكائه ثم أمر بهم إلى النار وجيء برجل قال له ما صنعت قال كنت نجاراً وما حاربت ولا قتلت فقال لقد كثرت السواد على ولدي فأمر به إلى النار ثم قدموني إليه فحكيت له فعلي فأمر بي إلى النار فلما قص الرؤيا على من حضر عنده يبس لسانه ومات نصفه وهلك بأسوأ حال وقد تبراً منه كل من سمع وشاهد.

وفي مدينة المعاجز ص ٢٦٣ باب ١٢٧ ، روى عن رجل أسدى قال كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكربني أمية فرأيت عجائب لا أقدر أحكي إلا بعضاً منها إذا هبت الريح تمر على نفحات كنفحات المسك والعنبر وأرى نجوماً تنزل من السماء وتصعد مثلها من الأرض ورأيت عند غياب الشمس أسدآ هائل المنظر يتخطى القتلى حتى وقف على جسد جللته الأنوار فكان يمرغ وجهه وجسده بدمه وله صوت عالٍ ورأيت شموعاً معلقة وأصواتاً عالية وبكاءً وعوياً ولا أرى أحداً.

وفي مناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٩٠ روى جماعة من الثقات أنه لما أمر المتكول بحرث قبر الحسين وأن يجري عليه الماء من العلقمي أتى زيد المجنون وبهلو المجنون إلى كربلا ونظرا إلى القبر لم يتغير بما صنعوا.

وفي هذا دلالة على وصف النهر بالعلقمي في تلك الأيام ويؤكد ذلك ما في مزار البحار ص ١٦١، عن مزاري المفید وابن المشهدي من ورود رواية بزيارة العباس عليه السلام غير مقيدة بوقت وفيها إذا وردت أرض كربلا فانزل منها بشاطئ العلقمي ثم اخلع ثياب سفرك واغتسل غسل الزيارة مندوباً وقل إلخ.

وفي تحية الزائر، ص ١٣٥، ذكر عنهما وعن الشهيد الأول وابن طاوس ورود رواية بزيارة للحسين وقالوا إذا وردت قنطرة العلقمي فقل إليك اللهم قصد القاصد إلخ والظاهر منه ورود لفظ العلقمي في الرواية وليس من كلام العلماء خصوصاً بعد العلم بأنهم لا يذكرون إلا ما يعتمدون عليه في الروايات ومنه نعرف أن نهر العلقمي كان معروفاً في الأزمنة السابقة على زمان ابن العلقمي الذي هو في القرن السابع وجاء في نص الشيخ الطوسي في مصبح المتهجد، ص ٤٩٩ أن الصادق عليه السلام قال لصفوان الجمال إذا أتيت الفرات (أعني شرعة الصادق بالعلقمي) فقل اللهم أنت خير من وفد إلخ.

وعلى هذا يكون قول الفاضل السيد جعفر الحلي على
الحقيقة :

وهو بجنب العلقمي فليته للشاربين به يداف العلقم
نعم لم يعرف السبب في التسمية به وما قيل في وجهها إن
الحاfer للنهر رجل من بني علقة بطن من تميم ثم من دارم جدهم
علقة بن زراة بن عدس لا يعتمد عليه لعدم الشاهد الواضح
ومثله في ذكر السبب كثرة العلقم حول حافتي النهر وهو كالقول
بأن عضد الدولة أمر بحفر النهر ووكله إلى رجل اسمه علقة
فإنها دعاوي لا تعضدها قرينة على أنك عرفت أن التسمية كانت
قبل عضد الدولة .

وحكى في الكبريت الأحمر، ج ٢، ص ١١٢، عن السيد
مجد الدين محمد المعروف بمجدي من معاصرى الشيخ البهائى
في كتابه زينة المجالس المؤلف سنة ١٠٠٤ أن الوزير السعيد ابن
العلقمي لما بلغه خطاب الصادق عليه السلام للنهر «إلى الآن تجري وقد
حرم جدي منك» أمر بسد النهر وتخريبه ومن أجله حصل خراب
الكوفة لأن ضياعها كانت تسقى منه .

مشهد الرأس

ذكر أرباب المقاتل أن عمر بن سعد أمر بالرؤوس فقطعت
فكانت ثمانية وسبعين رأساً أخذت كندة ثلاثة عشر وأقبلت هوازن
باشني عشر وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً وأقبلت بنو أسد بستة عشر
رأساً واختصت مذحج بسبعة ولسائر الجيش ثلاثة عشر رأساً^(١).

وساروا بها إلى الكوفة ثم سير ابن زياد رأس الحسين
ورؤوس من قتل معه من أهله وصحبه مع السبايا إلى يزيد
بالشام^(٢).

ولم يترك سيد الشهداء الدعوة إلى الدين وتفنيد عمل
الظالمين حتى في هذه الحال وهو مرفوع على القناة فكان متمماً
لنهضته المقدسة التي أرافق فيها دمه الطاهر وقد استضاء خلق كثير

(١) اللهوف: ص ٨١.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٦، ص ٢٦٤، وابن الأثير: ج ٤، ص ٣٤، والبداية لابن
كثير: ج ٨، ص ١٩١، ومقتل الخوارزمي مخطوط وإعلام الورى:
ص ١٤٨، والإرشاد للمفید والبحار: ج ١٠، ص ٢٤٣.

من إشراقات رأسه الأزهر:

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسوه من أنواره جلبابا
يتلو الكتاب على السنان وإنما رفعوا به فوق السنان كتابا
ولا غرابة بعد أن كان سيد الشهداء دعامة من دعائيم الدين
ومنار هداه وعنه يأخذ تعاليمه ومنه يتلقى معارفه وهو صراطه
المستقيم ومنهجه القويم دونه كانت مفاداته وفي سبيله سبقت
تضحيته فهو حليف القرآن منذ أنشئ كيانه لأنهما ثقلا رسول الله
وخليفاته على أمته وقد نص المشرع الأعظم عليه السلام بأنهما لن يفترقا
حتى يردا عليهما الحوض فبذلك كان سلام الله عليه غير مبارح
تلاوته طول حياته في تهذيبه وإرشاده في دعوته وتبليغه في حله
ومرتحله حتى في موقفه يوم الطف ذلك المأزق العرج بين
ظهراني أولئك الطغاة المتجمهرين عليه ليتم عليهم الحجة
ويوضح لهم المحجة.

هكذا كان يسيرا إلى غايتها المقدسة سيراً حثيثاً حتى طفق يتلو
القرآن رأسه الكريم فوق عامل السنان عسى أن يحصل من يكهره
نور الحق غير أن داعية الحق والرشاد لم يصادف إلا قصراً في
الإدراك وطبعاً في القلوب وصمماً في الآذان ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَنْصَرِهِمْ غِشَوَةٌ﴾

وبلغ من غلواء ابن زياد وتيهه في الضلال أن أمر بالرأس

الشريف فطيف به في شوارع الكوفة وسكنها^(١) يقول زيد بن أرقم كنت في غرفة لي فمرروا بالرأس على رمح فسمعته يقرأ **﴿أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفَ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَ الْمُنَجَّبِ﴾** فقف شعري وقلت رأسك أعجب وأعجب^(٢).

ولما صلب في سوق الصيارة وهناك ضوضاء فأراد **﴿إِنَّمَا يَنْهَا الْمُنَجَّبُونَ﴾** لفت الأنظار نحوه تنحنح تنحنحًا عاليًا فاتجه الناس نحوه وأبهرهم الحال فشرع في قراءة سورة الكهف إلى قوله تعالى **﴿إِنَّمَا فِتْيَةُ أَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَهُمْ هُدًى﴾** فلم يزدهم إلا ضلالاً^(٣).
وعجب الحاضرون إذ لم تعهد هذه الفصاحة والإتيان على مقتضى الحال من رأس مقطوع وبقي الناس واجمون لا يدرؤن ما يصنعون.

ولما صلب على شجرة بالكوفة سمع يقرأ قوله تعالى: **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**.

قال هلال بن معاوية سمعت رأس الحسين يخاطب حامله ويقول فرقت رأسي وبدني فرق الله بين لحمك وعظمك وجعلك آية ونكلاً للعالمين فرفع اللعين سوطاً وأخذ يضرب بين رأسه المطهر^(٤).

(١) تاريخ الطبرى، ج ٦، ص ٢٦٤.

(٢) إرشاد المفيد.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب.

(٤) شرح قصيدة أبي فراس.

وحدث سلمة بن الكهيل أنه سمع رأس الحسين بالковة يقرأ
وهو مرفوع على الرمح فَسَيَكِيفُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(١).

كما سمعه ابن وكيدة يقرأ القرآن فشك أنه صوته حيث لم يعهد
مثله يتكلم فإذا الإمام يَخُاطِبُهُمْ يخاطبه يابن وكيدة أما علمت أن معاشر
الأئمة أحياء عند ربهم يرزقون فزاد تعجبه وحدث نفسه أن يسرق
الرأس ويدفعه فنهاه الإمام وقال يابن وكيدة ليس إلى ذلك سبيل إن
سفكهم دمي أعظم عند الله من إشهارهم رأسه فذرهم فسوف
يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلالس يسحبون ^(٢).

وفي طريقهم إلى الشام نزلوا عند صومعة راهب وفي الليل
أشرف عليهم الراهب فرأى نوراً ساطعاً من الرأس الشريف
وسمع تسبيحاً وتقديساً وتهليلًا وقائلاً يقول السلام عليك يا أبا
عبد الله فتعجب الراهب ولم يعرف الحال حتى إذا أصبح وأراد
ال القوم الرحيل سألهم عن الرأس فأخبروه أنه رأس الحسين بن
علي بن أبي طالب وأمه فاطمة وجده محمد المصطفى فطلب
الرأس من خولي الأصبهي فأبى عليه فاسترضاه بمال كثير دفعه
إليه وأخذ الراهب الرأس الشريف وقبله وبكي وقال تباً لكم أيتها
الجماعة لقد صدقت الأخبار في قولها إذا قتل هذا الرجل تمطر

(١) أسرار الشهادة: ص ٤٨٨.

(٢) تظلم الزهراء.

السماء دمًا ثم أسلم ببركة الرأس الطاهر وبعد أن ارتحلوا نظروا إلى الدرارهم فإذا هي خزف مكتوب عليها ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَئَ مُقْلَبٌ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١).

وحدث المنهاج بن عمر قال رأيت رأس الحسين بدمشق أمام الرؤوس ورجل يقرأ سورة الكهف فلما بلغ ﴿أَمْ حَسِبَتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفَ وَالرَّقِيمَ كَانُوا مِنْ أَيَّتِنَا عَجَّابًا﴾ وإذا الرأس يخاطبه بلسان فصيح: وأعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملني^(٢).

وفي هذا الحال كله لم ينقطع الدم من الرأس الشريف وكان طریاً ویشم منه رائحة طيبة^(٣).

وبالرغم من جد يزيد في محو آثار أهل البيت واحتقار حرم النبوة حتى أنزلهم في الخربة التي لا تكفهم من حرّ ولا برد^(٤) واستعماله القسوة بالرأس المقدس من صلبه على باب الجامع الأموي^(٥) وفي البلد ثلاثة أيام^(٦) وعلى باب داره^(٧).

(١) تظلم الزهراء، والدموع الساکبة.

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطى: ج ٢، ص ١٢٧.

(٣) الخطط المقریزية: ج ٤، ص ٢٨٤.

(٤) الأنوار النعمانية.

(٥) أمالی الصدوق: ص ١٠٠.

(٦) الخطط المقریزية: ج ٢، ص ١٢٩، والاتحاف بحب الأشراف.

(٧) مقتل العوالم: ص ١٥١.

ولم يزل أهل الشام ومن حضر فيها من غيرهم يشاهدون كرامات باهرات من الرأس الظاهر لا تصدر إلا من نبي أو وصي نبي فأحرجهم الموقف خصوصاً بعدهما وقف العقيلة زينب الكبرى سلام الله عليها في ذلك المجلس المغمور بالتمويهات والأضاليل فأفادت الناس بصيرة بنوايا ابن ميسون السائبة و موقفه من الشريعة الطاهرة وأنه لم يرد إلا استئصال آل الرسول حيث لم يشهد في الإسلام مثل هذا الفعل الشنيع خصوصاً مع عيال النبي الكريم ذلك الذي ما زال يهتف في مواقفه الكريمة باحترام المرأة وعدم التعرض لها بسوء وكان عليه السلام يشدد النكير إذا بلغه في مغازيه قتل النساء ^(١).

حتى إن جماعة من المسلمين لما استأذنوه لقتل ابن أبي الحقيق اذن لهم وأمرهم بعدم التعرض للنساء والصبيان وهم مشركون ^(٢).

وعلى سيرته مشى المسلمون وإن سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام لما أنزل عائشة في الدار قال له رجل من الأزد والله لا تفلتنا هذه المرأة فغضب أمير المؤمنين وقال صه لا تهتكن ستراً ولا تدخلن داراً ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفهنن أمراءكم

(١) صحيح مسلم: ج ٢، ص ٤٨، وموطأ مالك: ج ٢، ص ٦.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٣، ص ٧.

وصلحاءكم فإنهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركتان وإن الرجل ليكافئ المرأة بالضرب فيعير بها عقبه من بعده فلا يبلغني عن أحد تعرض لامرأة فأنكل به^(١).

من هذا عرف الناس ضلال يزيد وتيهه في الباطل فأكثروا اللائمة عليه حتى من لم ينتحل دين الإسلام وحديث رسول ملك الروم مع يزيد في مجلسه أحدث هزة في المجلس وعرف يزيد الإنكار منهم وأنه لم تجده فيهم تلك التمويهات وكيف تجدي وقد سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدس لما أمر يزيد بقتل ذلك الرسول (لا حول ولا قوة إلا بالله^(٢)).

وأي أحد رأى أو سمع قبل يوم الحسين رأساً مقطوعاً ينطق بالكلام الفصيح وهل يقدر ابن ميسون أن يقاوم أسرار الله؟ أو يطفئ نوره تعالى شأنه؟ — كلا —

ولقد أنكرت عليه زوجته هند بنت عمرو بن سهيل وكانت عند عبد الله بن عامر بن كريز وهو ابن خال عثمان بن عفان فإن عامراً وأروى أم عثمان وأمهم أم حكيم البيضاة بنت عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف فأجبره معاوية على طلاقها لرغبة يزيد بها^(٣).

(١) المصدر: ج ٥، ص ٢٢٢.

(٢) مقتل العوالى: ص ١٥٠.

(٣) مقتل الخوارزمي مخطوط وذكر قصة طويلة في تحيل معاوية لأخذها من زوجها وإجباره على الطلاق وليس هذا بغرير من معاوية لمحضر رغبة =

فإنها لما أبصرت الرأس الزاهي مصلوباً على باب دارها ورأت الأنوار النبوية تتصاعد إلى عنان السماء وشاهدت الدم يقطر منه طریاً أدهشها الحال وعظم مصابه في قلبها فلم تتمالك دون أن دخلت على يزيد في مجلسه مهتوكة الحجاب وهي تصيح رأس ابن بنت رسول الله على دارنا فقام إليها وغطتها وقال لها أعلوي وابكي على الحسين فإنه صريحة بنى هاشم عجل عليه ابن زياد^(١).

ورأت في منامها كأن رجالاً نزلوا من السماء وطافوا برأس الحسين يسلمون عليه ولما انتبهت جاءت إلى الرأس فأبصرت نوراً حوله فطلبت يزيد لتقص عليه الرؤيا فإذا هو في بعض الغرف يبكي ويقول ما لي ولحسين وقد رأى مثل ما رأت^(٢) فأصبح يزيد وملء أذنه حديث الأندية عن القسوة التي استعملها والجور الشديد فلم ير مناصاً من إلقاء التبعة على عاتق ابن زياد وتبعداً

= يزيد فلقد روى ابن زيدون في شرح قصيدة ابن عبدون، ص ١٧٢، وابن قتيبة في السياسة والإمامية: ج ١، ص ١٦١، أن أرينب كانت تحت عبدالله ابن سلام القرشي فرغلب يزيد فيها لجمالها المفترط فأجبره معاوية على الطلاق ورواهما النوري في نهاية الأربع، ج ٦، ص ١٨٠، وسماها زينب بالزاء المعجمة.

(١) مقتل العوالى: ص ١٥١، وتاريخ الطبرى: ج ٦، ص ١٥٠.

(٢) البحار: ج ١٠، ص ٢٤٦.

للسبة عنه ولكن الثابت لا يزال وهذا هو السر في إنشاء كتاب صغير وصفه المؤرخون بأنه مثل (أذن الفارة) أرفقه بكتابه الكبير إلى الوالي بأخذ البيعة من المدينة عامه وفي الكتاب الصغير إلزام الحسين بالبيعة وإن أبي تضرب عنقه^(١).

وليس الغرض من إنشاء الكتاب الصغير إلا أن يزيد لما كان عالماً بأن النبي ﷺ لم يجعله خليفة ولا كانت بيعته مما اتفق عليها صلحاء الوقت وأشراف الأمة وما صدر من الموافقة منهم يوم أرادها أبوه معاوية إنما هو للوعيد والتهديد فأراد يزيد أن يخلّي رسمياته عن الأمر بقتل الحسين بحيث لو صدر ذلك من عامله ولا مه الناس وخطأوه تذرع بالعذر بخلو كتابه للعامل بهذا الفعل وإنما هو شيء جاء به من قبل نفسه وكان له المجال حينئذ في إلقاء التبعة على العامل.

ولكن هلم واقرأ العجيب الغريب في إحياء العلوم، ج ٣، ص ١٠٦، في الآفة الثامنة من آفات اللسان فهناك ترى الغزالى تائهاً في الغلواء لما وشجت عليه عروق النصب والتحيز إلى الأمويين فأبى أن يلعن قاتل الحسين حتى على الإجمال فيقال (لعنة الله على قاتل الحسين) معللاً باحتمال موته بعد التوبة وقد فاته أن

(١) الطبرى: ج ٦، ص ١٨٨، وابن الأثير: ج ٤، ص ٥، والبداية: ج ٨، ص ١٤٦.

التائب إن قبلت توبته لا يشمله اللعن فإذا أقيمت لعنة الله على قاتل الحسين لولا ذلك العداء المحتدم بين الجوانح والبغض لأهل هذا البيت الطاهر.

وأغرب من ذلك قياسه يزيد بوحشى قاتل حمزة أسد الله وأسد رسوله فقال فيه إن وحشى تاب عن الكفر والقتل جمياً ولا يجوز أن يلعن مع أن القتل كبيرة فإذا لم يقيده بالتوبة وأطلق كان فيه خطر. إلخ.

لا قياس بين يزيد ووحشى فإن وحشياً قتل حمزة وهو كافر فلما أسلم سقطت عنه كل تبعه كانت عليه لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف يزيد فإنه قتل الحسين وهو يظهر الإسلام وقد ارتد بقتله إما لأن الحسين إمام معصوم أو لتشفيه بذلك من رسول الله عليه السلام بما صنعه مع حاله وجده يوم بدر على أن من المقطوع به أن من باه بذلك الإثم العظيم وهو قتل الحسين لا يتوقف للتوبة نهائياً فإنه من الذنوب التي لا تدع صاحبها أن يتحيز إلى خير أبداً كما أن من المقطوع به أن وحشياً وإن أظهر الإسلام أمام الرسول وسكت عنه النبي وقال غيب وجهك عني فلا يختتم له بالصلاح والسعادة أبداً ولا يأتي يوم القيمة وعليه شارة الهدى وقد قتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الشاهد لأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة.

كيف لا يلعن يزيد وقد جوز العلماء المنقبون لعنه وصرحوا بخروجه عن طريقة الإسلام كما أفصح عن ذلك شعره فإنه لما وردت عليه سبايا آل الرسول وأشرفوا على ثنية جيرون ونعب الغراب قال^(١):

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرونني نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني فمن أولئك العلماء القاضي أبو يعلى وأحمد بن حنبل وابن الجوزي^(٢) والكيا الهراسي^(٣) والشيخ محمد البكري وسعد التفتازاني^(٤) وسبط ابن الجوزي^(٥).

وقال الجاحظ إن المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وإخافته أهل المدينة وهدم الكعبة وحمل بنات رسول الله سبايا وقرعه ثنايا الحسين بالعود هل تدل هذه القسوة والغلظ على نصب وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق ويقين مدخول؟ أم تدل على الإخلاص وحب النبي والحفظ له وصحة السيرة؟ وعلى هذا

(١) روح المعاني: ج ٨، ص ١٢٥، في تفسير قوله تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ﴾ إلخ.

(٢) تذكرة الخواص: ص ١٦٢.

(٣) ابن خلkan.

(٤) السيرة الحلبية: ج ١، ص ١٧٢.

(٥) التذكرة.

فلا يعدو الفسق والضلal وذلـك أدنـى منازلـه . فالفاـسق مـلعونـونـ ومن نـهـى عن شـتـمـ المـلـعـونـونـ ^(١) .

وقـالـ العـلـامـةـ الـأـلـوـسـيـ لاـ تـوـقـفـ فـيـ لـعـنـ يـزـيدـ لـكـثـرـةـ أـوـصـافـهـ الـخـبـيـثـةـ وـارـتـكـابـهـ الـكـبـائـرـ فـيـ جـمـيعـ أـيـامـ تـكـالـيـفـهـ وـيـكـفـيـ ماـ فـعـلـهـ أـيـامـ اـسـتـيـلـائـهـ بـأـهـلـ الـمـدـيـنـةـ وـمـكـةـ وـالـطـاـمـةـ الـكـبـرـىـ ماـ فـعـلـهـ بـأـهـلـ الـبـيـتـ وـرـضـاهـ بـقـتـلـ الـحـسـيـنـ عـلـىـ جـدـهـ وـعـلـيـهـ أـفـضـلـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ وـاسـتـبـشـارـهـ بـذـلـكـ وـإـهـانـتـهـ بـأـهـلـ بـيـتـهـ مـاـ تـوـاتـرـ مـعـنـاهـ وـالـذـيـ يـغـلـبـ عـلـىـ ظـنـيـ أـنـ الـخـبـيـثـ لـمـ يـكـنـ مـصـدـقاـًـ بـالـرـسـالـةـ وـإـنـ مـجـمـوعـ مـاـ فـعـلـهـ مـعـ أـهـلـ حـرـمـ اللـهـ وـأـهـلـ نـبـيـهـ وـعـتـرـتـهـ الـطـيـبـيـنـ الـطـاهـرـيـنـ فـيـ الـحـيـاـةـ وـبـعـدـ الـمـمـاتـ وـمـاـ وـرـدـ مـنـ الـمـخـاـزـيـ لـيـسـ بـأـضـعـفـ دـلـالـةـ عـلـىـ عـدـمـ تـصـدـيقـهـ مـنـ إـلـقـائـهـ وـرـقـةـ مـنـ الـمـصـحـفـ الـشـرـيفـ فـيـ قـدـرـ وـلـاـ أـظـنـ أـمـرـهـ خـافـيـاـًـ عـلـىـ أـجـلـ الـمـسـلـمـيـنـ إـذـ ذـاـكـ وـلـكـ كـانـواـ مـغـلـوـبـيـنـ مـقـهـورـيـنـ لـمـ يـسـعـهـمـ إـلـاـ الصـبـرـ لـيـقـضـيـ اللـهـ أـمـرـاـًـ كـانـ مـفـعـوـلـاـًـ .

ولـوـ سـلـمـ أـنـ الـخـبـيـثـ كـانـ مـسـلـمـاـًـ فـهـوـ مـسـلـمـ جـمـعـ مـنـ الـكـبـائـرـ مـاـ لـاـ يـحـيـطـ بـهـ نـطـاقـ الـبـيـانـ وـأـنـاـ أـذـهـبـ إـلـىـ جـوـازـ لـعـنـ مـثـلـهـ عـلـىـ التـعـيـنـ وـلـوـ لـمـ يـتـصـورـ أـنـ يـكـونـ لـهـ مـثـلـ مـنـ الـفـاسـقـيـنـ وـالـظـاهـرـ أـنـهـ لـمـ يـتـبـ وـاحـتـمـالـ تـوـبـتـهـ أـضـعـفـ مـنـ إـيمـانـهـ .

وـيـلـحـقـ بـهـ اـبـنـ زـيـادـ وـابـنـ سـعـدـ وـجـمـاعـةـ فـلـعـنـةـ اللـهـ عـلـيـهـمـ

(١) رسائل الجاحظ: ص ٢٩٨ ، الحادية عشرة في بنـيـ أـمـيـةـ .

أجمعين ، وعلى أنصارهم وشيعتهم ومن مال ميلهم إلى يوم الدين
ما دمعت عين على أبي عبدالله الحسين ويعجبني قول شاعر
العصر عبد الباقي أفندي العمري :

يزيد على لعن عريض جنائية فأغدو به طول المدى لعن اللعنة
ومن يخشَ القيل والقال بلعن ذلك الضليل فليقل لعن الله من
رضي بقتل الحسين ومن آذى عترة النبي بغير حق ومن غصبهم
حقهم فإنه يكون لاعناً له لدخوله تحت العموم دخولاً أولياً في
نفس الأمر .

ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ سوى ابن
العربي المالكي وموافقيه فإنهم على ظاهر ما نقل عنهم يجوزون
لعن من رضي بقتل الحسين وذلك لعمري هو الضلال البعيد الذي
قاد يزيد على ضلال يزيد إلخ^(١) .

وبعد هذا فهل يتوقف أحد عن لعن يزيد والبراءة منه وإن كان
فليس هؤلاء إلا أصحاب الضلال والعناد أعاذ الله أولياءه من شر
الحقد .

لما كثرت اللائمة على يزيد خشي الفتنة وانقلاب الأمر
فتداركه بإرجاع السجاد والعيال إلى وطنهم ومحنة مما يريدون

(١) روح المعاني : ج ٨ ، ص ١٢٥ ، في تفسير قوله تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ﴾ الآية .

من الرجوع برأس الحسين إلى كربلا ودفنه مع الجسد ولم يختلف في ذلك اثنان من علماء الإمامية المعروفين بالبحث والتنقيب ومن هنا نسبه المجلسي في البحار إلى المشهور بين العلماء وفي روضة الوعاظين ص ١٦٥ ، قال رد الرأس إلى الجسد وقال ابن نما في مثير الأحزان ، ص ٥٨ ، إنه المعمول عليه وفي اللهو فلابن طاوس ص ١١٢ : عليه عمل الإمامية وقال ابن شهرآشوب في المناقب ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ : ذكر المرتضى في بعض رسائله أن رأس الحسين أعيد إلى بدنها في كربلاء وقال الطوسي ومنه زيارة الأربعين وفي مقتل العوالم ص ١٥٤ ، أنه المشهور بين علمائنا وهو ظاهر الطبرسي في إعلام الورى ، ص ١٥١ ، والسيد في رياض المصائب .

وأما باقي الرؤوس فلم يتعرض لها أرباب المقاتل ولكن في نفس المهموم ص ٢٥٣ ، ورياض الأحزان ص ١٥٥ ، عن حبيب السير أن يزيد سلم جميع الرؤوس إلى علي بن الحسين فألحقها بالأبدان الطاهرة في العشرين من صفر ثم توجه إلى المدينة .

ولعل الاعتبار يساعدك في إن يزيد لما نقم عليه الناس وكثير الاضطراب لم ير بدأً من موافقة الإمام السجاد على كل ما يريد وإخراجهم من الشام عاجلاً .

نعم ذكر العلامة السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ ، قسم أول أنه رأى في سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة

المعروفة بمقدمة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع على بابه صخرة مكتوب عليها «هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي الأكبر بن الحسين ورأس حبيب بن مظاهر».

قال «ثم إنه انهدم بعد ذلك بستين هذا المشهد وأعيد بناوه وأزيلت هذه الصخرة وبني ضريح داخل المشهد ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلا ولكن الحقيقة أنه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مر وهذا المشهد الظن القوي بصحة نسبته لأن الرؤوس بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إظهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفي لا بد أن تدفن في إحدى المقابر فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير وحفظ محل دفنهـ والله أعلمـ إلخـ .

هذا ما ذكره السيد أيده الله ولو اطلع على حبيب السير لاعتقد عدم صحة الدفن هناك على أن التغيير الذي ذكره يدلنا على أن الحفظة لذلك المشهد لهم غرض آخر وليس بالمستبعد أن ذلك المشهد محل صلب الرؤوسـ .

وحقـيقـ أنـ يـقالـ فيـ كلـ منهاـ :

هـامـةـ فيـ الحـيـاةـ طـاـولـتـ الشـهـبـ وـماـ نـالـهـاـ هـبـوبـ الـرـيـاحـ أـنـفـتـ بـعـدـ مـوـتـهـاـ التـرـبـ فـاـخـتـارـ تـ لـهـاـ مـسـكـنـاـ رـؤـوسـ الرـماـحـ

٣٠٠ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

مشهد الكَفَّيْن

لم يفتأ شيعة أهل البيت عليه السلام كما أنهم يقتصون آثارهم في معارفهم وتعاليمهم يتبركون بتعيين كل ما يتعلق بهم من مشهد أو معبد أو مقام فيتبعونها بالحفاوة والتجليل ويرون ذلك من متممات الولاء ولوازم الاتباع والمشابعة.

وهو كما يرون لأنه إما مشهد يزار أو معبد يقصد للعبادة أو محل مسرة فيسرون ذلك أو موقف مأساة فيستأذون لهم وهذا هو التشيع الممحض والاقتداء الصحيح.

ومن ذلك ما نشاهده في كربلاء المشرفة من المقام (لـكَفَّيْ أبى الفضل) اللتين تناقلت حديثهما الألسن وأخذ الخلف عن السلف والسيرة المستمرة بين الإمامية كافية في القطع بثبوت (المقامين) ولو لاها لانتقض الأمر في كثير من المشاهد والمعابد والمقامات.

يقع مقام (الـكَفـ الـيـمنـيـ) في جهة الشمال الشرقي على حد

محلة باب بغداد ومحللة باب الخان قريباً من باب الصحن المطهر
الواقعة في الجهة الشرقية وعلى جدار المقام شباك صغير وعلى
جبهته بيتان بالفارسية لم يكتب اسم ناظمها ولا تاريخ البناء ولا
وضع الشباك والبيتان :

افتاد دست راست خدا یا زپیکرم
بر دا من حسین پرسان دست دیگرم

دست چیم بجاست اگرینست دست راست

اما هزار حیف که یک دست بیصداست

ويقع مقام (الكف اليسرى) في السوق الصغير القريب من
الباب الصغير للصحن الواقعة في الجنوب الشرقي ويعرف بسوق
باب العباس الصغير وعلى الجدار شباك وكتب بالقاشاني عليه
(هذا نظم الشيخ محمد المعروف بالسراج).

سل إذا ما شئت واسمع واعلم ثم خذ مني جواب المفہم
إن في هذا المقام انقطعت يسرة العباس بحر الكرم
ههنا يا صاح طاحت بعدهما طاحت اليمنى بجنب العلقم
أجر دمع العین وابكيه اساً حق أن يبکی بدمع عن دم

الزيارة

ذكرنا في ما تقدم أن الزيارة من المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام ولكمال فضله وعلمه الجم وورعه الموصوف وكراماته الخارجة عن حد الإحصاء كان في المثول حول مرقده الأقدس بداعي الزلفي إلى المولى تعالى مزيد لرسوخ العقيدة بأمر الدين وتعريف للأمة بما وجب من حق الله تعالى على خلقه وأن العبد كيف يجب عليه بذل ذاته في مرضاته الله عز وجل.

ثم إن الزيارة وإن كانت مجرد الحضور عند المزور والسلام عليه بأي لفظ جاء به المسلم كما يؤيده حديث مسلم بن ظبيان عن الصادق عليه السلام إذا أتيت القبر يعني قبر الحسين فقل صلى الله عليك أبا عبدالله فقد تمت زيارتك^(١). ولكن الألفاظ الواردة عن أهل البيت يلزم الاحتفاظ بها لأنها اشتغلت على ما يناسب مقام المزور من الخواص وما له من جهاد نافع في سبيل الدين مضافاً إلى ما فيها من التأدب عند أداء السلام عليه.

(١) أسرار الشهادة: ص ١٤٦.

فالقول المأثور من أهل البيت عليه السلام في السلام عليهم أو على أحد أولادهم أو أصحابهم راجح ومن هنا أفتى صاحب الوسائل فيها وخاتمة المحدثين النوري في المستدرك باستحباب زيارة الحسين بالزيارة المأثورة وآدابها ولا خصوصية له على غيره من أئمة الهدى عليه السلام وبذلك المناط يتسرى إلى غيرهم .

ومن يقرأ ما ورد عن الإمام الصادق في زيارة أبي الفضل بتدبر وإمعان يعرف رجحان الأخذ بقوله عليه السلام وأن الزائر مهما يبلغ من المعرفة والكمال لا يحيط خبراً بحقيقة أبي الفضل وما يلقي بجليل قدره وعظيم منزلته ومن هنا كان الراجح للزائر عند زيارة العباس أن يقف مواجهاً له مستدبراً القبلة كما هو الشأن في زيارة المعصومين وهو مقتضى التأدب أمام «قمر بنى هاشم» فإن زيارته ميتاً كزيارته حياً والشهداء أحياءٌ عند ربيهم يُرْزَقُونَ ولا شك أنه لو كان حياً ودخل عليه الزائر فلا يسلم عليه إلا مواجهاً له .

ويشهد لذلك ما في مزار البحار، ص ١٦٥ ، عن المفید وابن المشهید والشهید الأول أنهم قالوا إن الزائر للعباس يقف أولاً على باب السقیفة ويستأذن للدخول فيقول سلام الله وسلام ملائكته . إلخ . ثم يدخل وينكب على القبر ويقول السلام عليك أيها العبد الصالح . إلخ ثم ينحرف إلى عند الرأس فيصلي ويدعوا ويعود إلى الضريح ويقف عند الرجلين ويقول السلام عليك يا أبا الفضل العباس إلخ .

وقد يدّعى أن هذه العبارة وما رواه ابن قولويه عن أبي حمزة الشمالي يقتضي الوقوف على قبر العباس من دون تخصيص بجهة من الجهات فإن العبارة «ثم ادخل وانكب على القبر وقل إلخ» ولم يبين كيفية الانكباب هل أنه من جهة القبلة كما هو شأن زيارة الإمام المعصوم أو من جهة عكسها أو من جهة الرجلين أو الرأس.

إلا أن المنصرف من الإطلاق إرادة جهة القبلة خصوصاً لو كان الباب الذي يدخل منه إلى الروضة المطهرة في ذلك الزمان كما عليه اليوم وحينئذ تكون زيارة أبي الفضل على حد زيارة المعصوم مواجهاً له مستدبر القبلة.

فالتوقف عن رجحان مواجهته حال الزيارة في غير محله واستظهار المجلسي تخير الوقوف في زيارته محل المناقشة فإنه لم يرد عن الأئمة خبر بالتفصيل بين المعصوم وغيره باستحباب المواجهة له في الأول واستقبال القبلة في الثاني.

وغاية ما ورد في زيارة الحسين وأبيه عليهما السلام مواجهة القبر وجعل القبلة بين كتفيه وهناك أخبار مطلقة بالوقوف على قبريهما كإطلاقها على قبري الجوادين والعسكريين والرضا عليه السلام.

فلا تخصيص للمعصوم على غيره وما ورد في صفة زيارة المؤمنين من استقبال القبلة ووضع اليد على القبر والتوقيع المروي في الإقبال عن صاحب الزمان عجل الله فرجه: إذا أردت

زيارة الشهداء فقف عند رجلي الحسين فاستقبل القبلة بوجهك فإن هناك حومة الشهداء وأومن وأشر إلى علي بن الحسين وقل السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل. إلخ.

أخص من المدعى على أن الاعتبار يشهد بأن السلام والثناء على المزور يستدعي مواجهته لا استدباره وكيف يكون الحال فأبو الفضل ممتاز عن سائر المؤمنين بخواص لا يأتي البيان على حصرها كيف وقد بلغ من الدرجات الرفيعة ما يغبطه عليها جميع الشهداء والصديقين وقد أعلمنا الإمام الصادق بالزيارة التي علمها أبا حمزة الثمالي بأن لأبي الفضل مكانة سامية ودرجات عالية لا ينالها إلا أولو العزم من الرسل فرجحان مواجهته عند السلام عليه متعين كما هو الحال في أئمة الهدى عليهم السلام وبذلك أفتى شيخنا الحجة الشيخ عبد الحسين مبارك قدس سره في بشاره الزائرين ثم قال (ولعمر أبيه الطاهر صلوات الله وسلامه عليهمما إنه بذلك لحقيقة جدير فإنه ابن سيد الوصيين والمواسين ريحانة خير الخلق أجمعين عليه السلام).

ومن هنا كان بعض العارفين من العلماء الأعلام يقدم زيارة العباس على زيارة الحسين لأنه بابه في الحوائج وهو في محله وعليه العمل منذ عهد قديم وفي هذا يقول الأديب السيد مهدي الأعرجي رحمه الله.

قصدتك قبل ابن النبي محمد وأدمع عيني كالحيا في انسكابها لأنك في كل الحوائج بابه وهل يقصدون الدار من غير بابها

صلاة الزيارة

إن من الراجح المؤكد صلاة ركعتين بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل عليهما السلام ويشهد له ما في مزار البحار ص ١٦٥ عن مزار المفید وابن المشهدی من الروایة عن الأئمۃ عليهم السلام في كيفية زيارته وبعدها قال ثم انحرف إلى عند الرأس فصل ركعتين ثم صل بعدهما ما بدا لك.

وذكر السيد ابن طاووس في مصباح الزائر الصلاة ركعتين بعد الفراغ من الزيارة.

كما أن الشيخ المفید وابن المشهدی وابن طاووس ذكروا في مزاراتهم عند زيارة العباس يوم عید الفطر والأضحى وليلة عرفة ويومها الأمر برکعتي الزيارة بعد الفراغ منها .

وجاء في زيارة الأربعين أن جابرًا الأنباري زار العباس بن أمير المؤمنين ثم صلی ركعتين ومن البعيد جداً أن يكون الحكم ممنوعاً منه عند الأئمۃ ولا يعلمه مثل جابر المتخرج من

مدرستهم الكبرى أو أنه كان يغض الطرف عن هذا المنع بل ظاهر الفعل منه أنهما ركعتازيارة وأنه لما علمه من أئمته فسار على نهجهم.

وإن من المستبعد جداً أن يثبت هؤلاء الأعظم وهم عمد المذهب المنقبون في الآثار مثل هذه الوظائف من دون تخرير عن أئمته بحيث يتورطون في التشريع المحرم والبدعة التي لا تقال عثرتها (كلا وحاشا) بل لم يodusوا في كتبهم ومزاراتهم إلا ما وقفوا عليه عن أئمته وإن لم نحط به خبراً كثيراً مما وقفوا عليه.

وقد ذكر السيد ابن طاووس في آخر مصباح الزائر أن ما وقع اختياره عليه في هذا الكتاب قد وصل على الوجه الذي استحسن واعتمد عليه من جهة الرواية.

وذكر ابن المشهدى في أول مزاره أن ما أودعه في الكتاب ما حصل لديه من الروايات الواردة عن أئمة الهدى.

إذن فكيف يسعنا نسبة ما أودعوه في كتبهم إلى محض آرائهم من دون تخرير عن أهل البيت.

ولقد أفادنا بصيرة في تأكيد هذا شيخ المحققين الشيخ أسد الله الكاظمي قدس سره في (كشف القناع) ص ٢٣٠ وحاصل ما ذكره أن من الجائز أن يحصل لبعض حملة أسرار الأئمة العلم

بقول الإمام الغائب عن الأ بصار إما بنقل أحد سفرائه سراً على وجه يفيد اليقين وإما بتوقيعه ومكاتبه كذلك وإما بالسماع منه عليه السلام مشافهة على وجه لا ينافي الرؤية في زمن الغيبة فلا يسعه التصريح بما حصله من الحكم على هذه الوجوه ولم يجد في الأدلة ما يدل عليه ولم يكن مخصوصاً بذلك الحكم وممنوعاً عن إظهاره لسائر الناس فلا مندوحة حينئذ من إظهار هذا الذي اطلع عليه بصورة الاتفاق عليه والتسالم وهذا هو الأصل في كثير من الزيارات والأداب والأعمال المعروفة التي تداولت بين الإمامية ولا مستند ظاهراً من أخبارهم ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار الأئمة وأسرارهم.

ومن ذلك ما رواه والد العلامة الحلي والسيد ابن طاووس عن السيد الكبير العابد رضيّ الدين محمد بن محمد الأزدي الحسيني المجاور بالمشهد الأقدس الغروي عن صاحب الزمان في طريق الاستخاراة بالسبحة وكما سمعه منه صلوات الله عليه ابن طاووس في السرداد وكدعاء العلوي المصري المعروف الذي علمه محمد بن علي العلوي الحسيني المصري في حائر الحسين وقد أتاه في خمس ليالٍ حتى تعلمه.

وهذا هو الأصل في كثير من الأقوال المجهولة القائل فيكون المطلع على قول الإمام لما وجده مخالفًا لما عليه الإمامية أو معظمهم ولم يتمكن من إظهاره على وجهه وخشي أن يضيع الحق

جعله قوله ^{أَقْوَالَهُمْ} واعتمد عليه وأفتى به من دون تصريح بدليله .

فتحصل من ذلك أن العلماء لم يدعوا في كتبهم حكماً من الأحكام من دون أن يعثروا عليه عن أئمتهم وقد يكون بطريق المشافهة من إمام العصر أرواحنا له الفداء فما ذكره المشايخ المتقدمون في مزاراتهم من صلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل لا ينبغي الوقفة في رجحانه عند أهل البيت إذ عله وصل إليهم بالخصوص وإن جهلنا طريق الوصول إليهم .

ولو تنازلنا عن ذلك لدلتنا حديث أبي حمزة الشمالي المروي في كامل الزيارة ص ٢٤٠ عن الإمام الصادق الواردة في زيارة الحسين المشتملة على المقدمات والمقارنات الكثيرة وفيه قال الصادق :

(إِذَا فَرَغْتَ فَصَلِّ مَا أَحَبَّتْ إِلَّا أَنْ رَكَعْتِي الْمَسْأَلَةُ لَا بَدْ مِنْهَا عِنْدَ كُلِّ قَبْرٍ) فإنه أثبت بعمومه رجحان ركعتي الزيارة عند كل مزور وليس له مخصص يدفع العموم .

وخلو بعض الروايات الواردة في زيارة غير المعصومين من التعرض لرکعتي الزيارة لا ينهض لمصادمة العموم فالعام محكم في موارده حتى يجيء المخصص المخرج .

كما أن خلو رواية أبي حمزة الشمالي الواردة في زيارة

العباس عليه السلام عن ذكر صلاة الزيارة لا يدل على عدم المشروعية .
والتنصيص في زيارة المعصومين لا يدل على عدم المشروعية
في غيرهم .

فهذا العموم وما ذكر في مزارات من تقدم ذكرهم من النص
عليها كافٍ في المشروعية والرجحان .

فما حكى عن بعض معاصرى العلامة المجلسي من منع
صلاة الزيارة لغير المعصومين مستدلاً بخلو الأخبار الواردة في
زياراتهم عنها في غير محله لما عرفت من الدليل عليه مضافاً إلى
ما حكاه المجلسي في مزار البحار ص ١٨٠ عن مؤلف المزار
الكبير عن صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام من الأمر بصلاة
ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة علي الأكبر ويتم في أبي
الفضل بعد القول بالفصل .

وفيه عن المزار الكبير ومزار الشهيد بعد ذكر زيارة مسلم بن
عقيل قال ثم انحرف إلى عند الرأس فصل ركعتين ثم صل
بعدهما ما بدا لك وظاهره أن الركعتين للزيارة ولكن نقل عن
مزار السيد ابن طاووس التصريح بذلك فإنه بعد الفراغ من الزيارة
قال ثم تقبل الضريح وتصلّي صلاة الزيارة وتهدي ثوابها له ثم
تودعه وتنصرف .

وفي مزار البحار عند ذكره زيارة هاني بن عروة قال ثم صلٌ

صلاة الزيارة واهدها له وادع لنفسك بما شئت وودعه وانصرف.

وعلى ما تقدم من أن هؤلاء الأعلام لم يودعوا في مزاراتهم
إلا ما رأوه عن أنتمهم أو وجدوه مروياً واعتمدوا عليه.

يتضح لنا رجحان ركتبي الزيارة لمسلم وهاني على أن
الإطلاق المذكور يشملهما.

فإذن في أبي الفضل عليه السلام بطريق أولى.

تقبيل القبر

مما يدل على رجحان تقبيل قبر العباس ابن أمير المؤمنين ما رواه في مزار البحار ص ١٨٠ عن مؤلف المزار الكبير عن صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام وساق الزيارة للحسين إلى أن قال ثم تأتي إلى قبر العباس بن علي وتقول السلام عليك أيها الولي إلى أن قال: (ثم تنكب على القبر وتقبله وتقول بأبي وأمي يا ناصر دين الله السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين السلام عليك يا ناصر الحسين الصديق السلام عليك يا شهيد ابن الشهيد السلام عليك مني أبداً ما بقيت وصلى الله على محمد وآل وسلم).

وفيه كفاية لمن يتطلب النص على المشروعية والرجحان ويضاف إليه ما ذكره المفید وابن المشهدی وابن طاوس في مزاراتهم فإنهم قالوا بعد الاستئذان ثم ادخل وانكب على القبر وقل السلام عليك أيها العبد الصالح. إلخ.

ولهذا وأمثاله كان شيخ المحققين ونخبة المرتاضين مجدد المذهب في المائة الثانية عشرة محمد باقر البهبهاني إذا دخل إلى

حرم أبي الفضل عليه السلام يقبل عتبة الباب كما يفعل في حرم سيد الشهداء عليه السلام^(١) وفعل هذا المتبحر حجة وعمله أكبر برهان لمن يتبع الحق (إن من يهدي إلى الحق أحق أن يتبع).

(١) أسرار الشهادة: ص ٦٦.

أولاده وأحفاده

كان للعباس من الأولاد خمسة عبيد الله والفضل^(١) والحسن^(٢) والقاسم^(٣) وبنت^(٤) وعد ابن شهر آشوب من الشهداء في الطف ولد العباس محمد فأما عبيد الله والفضل فأمهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وأمهما أم حكيم جويرية بنت خالد بن قرظ الكنانية.

كانت من أجمل النساء وأوفرهن عقلاً ولما قتل بسر بن أرطأة ولديها عبد الرحمن وقثماً وكانا صبيين صغيرين وهي تنظر إليهما فقدت الصبر وأخذها الوجد فكانت تدور في البيت ناشرة

(١) أما عبيد الله فذكره أهل النسب والمقاتل وأما الفضل فذكره صاحب الناسخ والوزير بها مش مقاتل الطالبيين.

(٢) ذكره الشيخ الفتواني في حديقة النسب و المعارف ابن قتيبة: ص ٩٦، أمه أم ولد.

(٣) ذكر عن بعض كتب المقاتل.
(٤) حدائق الأنس.

شعرها وتقول في رثائهما ^(١):

يا من أحس بابني اللذين هما
يا من أحس بابني اللذين هما
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا
أنحى على ودحني ابني مرهفة
حتى لقيت رجالاً من أرومته
فالآن العن بسراً حق لعنته
من دل والله حرى مولهاة
كالدرتين تشظى عنهم الصدف
سمعي وقلبي فمخي اليوم مختطف
من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
مشحودة وكذاك الإفك يقترف
شم الأنوف لهم في قولهم شرف
هذا لعمر أبي بسر هو السرف
على صبيين ضلاً إذ غدا السلف

فسمع قولها هذا رجل من أهل اليمن فرق لها واتصل ببسر
حتى وثق به ثم احتال لقتل ابني بسر فخرج بهما إلى وادي
أو طاس فقتلهما وهرب وقال ^(٢):

يا بسر بسربني أرطأة ما طلعت
خير من الهاشميين الذين هم
ماذا أردت إلى طفلني مولهاة
أما قتلتهما ظلماً فقد شرقت
فasherب بكاسهما ثكلى كما شربت
شمس النهار ولا غابت على الناس
عين الهدى وسمام الأسوق القاسي
تبكي وتنشد من أثكلت في الناس
من صاحبيك قناتي يوم أو طاس
أم الصبيين أو ذاق ابن عباس
ولما بلغ قتلهما أمير المؤمنين دعا على بسر فقال اللهم اسلبه

(١) مروج الذهب: ج ٢، ص ٦٦.

(٢) الأغاني: ج ١٥، ص ٤٥.

دینه وعقله فخر بسر حتى كان يلعب بخراطه ويقول لمن حضر انظروا كيف يطعنوني هذان الغلامان ابنا عبیدالله هذا الخراء فشدوا يديه إلى ورائه ليمنع من ذلك فأنجله يوماً في مكانه وأهوى بفمه ليتناول منه فمنع منه فقال أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعناني وبقي على هذا حتى مات في سنة ٨٦هـ أيام الوليد بن عبد الملك^(١).

خلف على لبابه بعد أبي الفضل عليه السلام زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين فأولدها نفيسة تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان^(٢).

فولدت له ولداً فكان زيد بن الحسن يفدي إلى الوليد ويجلس معه على السرير ويكرمه لمكان ابنته عنده ووهب له ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة^(٣).

وخلف عليها بعد زيد بن الحسن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فولدت له القاسم^(٤).

واتفق أرباب النسب على انحصر عقب العباس ابن أمير

(١) مروج الذهب: ج ٢، ص ١٥٥.

(٢) تذكرة السبط: ص ٢٢٣.

(٣) سر السلسلة.

(٤) المجددي

المؤمنين في ولده عبيد الله وزاد الشيخ الفتوني العقب للحسن بن العباس وكان عبيداً لله من كبار العلماء موصوفاً بالجمال والكمال والمروة مات سنة ١٥٥ هـ^(١).

تزوج من ثلات عقائل كرام رقية بنت الحسن بن علي وبنت معبد بن عبد الله بن عبد المطلب وبنت المسور بن مخرمة الزبيري^(٢) ولعبيداً لله هذا منزلة كبيرة عند السجاد كرامة ل موقف أبيه (قمربني هاشم) وكان إذا رأى عبيداً لله رق واستعبر باكيًّا فإذا سئل عنه قال إني أذكر موقف أبيه يوم الطف فما أملك نفسي.

وانحصر عقب عبيداً لله في ولده الحسن وكان لأم ولد عاش سبعاً وستين سنة. أولد الحسن بن عبيداً لله بن العباس خمسة ١ - الفضل ٢ - حمزة ٣ - ابراهيم ٤ - العباس ٥ - عبيداً لله وكلهم أجياله فضلاء أدباء.

فأما الفضل فكان لسناً متكلماً فصيحاً شديد الدين عظيم الشجاعة محتشماً عند الخلفاء ويقال له ابن الهاشمية^(٣) أعقب من ثلاثة جعفر والعباس الأكبر ومحمد ولكل منهم أولاد فيهم الأدباء^(٤).

(١) المجددي.

(٢) ذخيرة الدارين.

(٣) المجددي.

(٤) عمدة الطالب.

فمنهم أبو العباس الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس كان خطيباً شاعراً وقع عقبه إلى قم وطبرستان وله أبيات في موقف جده العباس يوم الطف نذكرها في فصل المديح.

وأما حمزة فيشيه جده أمير المؤمنين خرج توقيع المأمون بخطه وفيه: يعطى لحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين ألف درهم لشبهه بجده أمير المؤمنين تزوج زينب بنت الحسين بن علي بن عبدالله بن جعفر الطيار المعروف بالزينبي نسبة إلى أمه زينب بنت أمير المؤمنين وكان حفيده محمد ابن علي بن حمزة متوجهاً شاعراً نزل البصرة وروى الحديث عن الرضا وغيره مات سنة ٢٨٦^(١) وسيأتي في ترجمة ابن أخيه الحمزة صاحب المشهد بقرب الحلقة أن أم صاحب الزمان التجأت إلى بيته وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ج ٢، ص ٦٣، وقال كان راوية للأخبار وهو صدوق وله الرواية عن جماعة كثيرة وفي تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٥٢، وصفه بالعلوي البغدادي ونقل عن ابن أبي حاتم أنه صدوق ثقة.

وأما ابراهيم ويعرف بجردة كان من الفقهاء الأدباء والزهاد وابنه علي أحد الأجواد له جاه وشرف مات سنة ٢٦٤ أولد تسعة

(١) عمدة الطالب.

عشر ولداً ومن أحفاده أبو الحسن علي بن يحيى بن علي بن ابراهيم جردقة كان خليفة أبي عبدالله بن الداعي على النقابة ببغداد ^(١).

وعبدالله بن علي بن ابراهيم جردقة جاء إلى بغداد ثم سكن مصر وكان يمتنع من التحدث بها ثم حدث وعنده كتب تسمى الجعفرية فيها فقه على مذهب الشيعة توفي في مصر في رجب سنة ثلاثمائة واثني عشر ^(٢).

وقال أبو نصر البخاري في سر السلسلة في العباس بن الحسن بن عبيدة الله بن العباس السقاء ما رئي هاشمي أعضب لساناً منه ولا أجراً.

قدم بغداد في أيام الرشيد وأقام في صحبته ثم صحب المأمون بعده وكان من رجالبني هاشم فصاحة وشاعرًا ^(٣) ولجلالته وفضله وبلغته وفصاحته يكفي عند الرشيد ^(٤) ومن شعره في إخاء أبي طالب لعبدالله والد الرسول الأقدس عليه السلام ^(٥):

(١) عمدة الطالب.

(٢) تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣٤٦.

(٣) تاريخ بغداد: ج ١٢، ص ١٢٦.

(٤) عمدة الطالب.

(٥) تاريخ بغداد: ج ١٢، ص ١٢٦، والحججة على الذاهب: ص ٦٦.

إنا وإن رسول الله يجمعنا أب وأم وجدٌ غير موصوم
جاءت بنا ربة من بين أسرته غراء من نسل عمران بن مخزوم
حزنا بها دون من يسعى ليدركها قرابة من حواها غير مسحوم
رزقاً من الله أعطانا فضيلته والناس من بين مرزوق ومحروم
وفي المجدي مما رثى به أخاه محمدًا :

وارى البقيع محمد لَهُ ما وارى البقيع
من نائل وندى ومحروف إذا ضَنَّ المنسوع
وحباً لأيتام وأرملة إذا جف الربيع
ولى فولى الجود والمعرفة والحسب الرفيع
قال وله أيضاً :

وقالت قريش لنا مفخر رفيع على الناس لا ينكر
بنا تفخرون على غيرنا فاما علينا فلا تفخروا
أولد العباس عشرة ذكور منهم عبدالله وأمه افطسية كان أديباً
شاعراً فمن شعره ما في المجدي :

إني لاستحيي أخي أن ابره قريباً وأن أجفوه وهو بعيد
علي لإخواني رقيب من الهوى تبيد الليالي وهو ليس يبيد
وفي سر السلسلة قدم على المأمون فتقدمنه ولما سمع
بموته قال استوى الناس بعده يابن عباس ومشى في جنازته وكان

يسميه الشيخ ابن الشيخ .

وفي العمدة كان من أحفاد العباس السقاء أبو الطيب محمد ابن حمزة بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السقاء من أكمل الناس مروءة وسماحة وصلة رحم وكثرة معروف مع فضل كثير وجاه واسع اتخد بمدينة الأردن وهي طبرية ضياعاً وأموالاً فحسده طعج بن جف الفرغاني فدس إليه جنداً قتلوه في بستان له بطبرية في صفر سنة ٢٩١ ورثته الشعراة فمن ذلك ما في المجدى :

أي رزء جنى على الإسلام أي خطب من الخطوب الجسام
ويقال لعقبه بنو الشهيد وترجمه المرزباني في معجم الشعراء
ص ٤٣٥ وقال شاعر يكثر الافتخار بآبائه وكان في أيام المتوكل
وبعده وهو القائل :

وإنى كريم من أكaram سادة أكفهم تندى بجزل المواهب
هم خير من يحفى وأفضل ناعل وذروة هضب العرب من آل غالب
هم المن والسلوى لدان بوده وكالسم في حل العدو المجانب
وترجم له شيخنا الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الأميني
في شعراه الغدير ج ٣، ص ٣، طبع النجف .

وأما عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السقاء عليه السلام
ففيه يقول محمد بن يوسف الجعفري ما رأيت أحداً أهيب ولا

أهناً ولاً أمراً من عبيد الله بن الحسن تولى إمارة الحرمين مكة والمدينة والقضاء بهما أيام المأمون سنة ٢٠٤ هـ^(١).

وفي سنة ٢٠٤ وسنة ٢٠٦ ولاه إمارة الحاج^(٢) مات ببغداد في زمن المأمون وكانت أمه وأم أخيه العباس أم ولد^(٣) وقع عقب علي بن عبيدة الله قاضي الحرمين إلى دمياط ويقال لهم بنو هارون وإلى فسا ويقال لهم بنو الهدهد وإلى اليمن.

وأما الحسن بن عبيد الله الأمير القاضي فأولد عبد الله كان له أحد عشر ذكراً لهم أعقاب منهم القاسم بن عبد الله بن الحسن ابن عبيد الله قاضي الحرمين بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد السقّاء له خطر بالمدينة وأحد أصحاب الرأي لسناً متكلماً سعى بالصلح بينبني علي وجعفر وهو صاحب أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام^(٤).

فأحفاد العباس كلهم أجلاء لهم المكانة العالية بين الناس لأنهم بين فقهاء ومحدثين ونسابين وأمراء وأدباء ولا بدع بعد أن عرق فيهم (أبو الفضل) فحووا عنه المزايا الحميدة والصفات

(١) تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣١٣.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ١٠، ص ٣٥٥.

(٣) تاريخ بغداد: ج ١٠، ص ٣١٤.

(٤) عمدة الطالب.

الجميلة فكانت ملامح الشرف والسؤدد تلوح على أسرة جهاتهم
وملء إهابهم علم وعمل وحشو الردى هيبة ومنعة .

ومنهم السيد الجليل صاحب الحرم المنين والقبة السامية
(الحمزة) المدفون بالمدحتية قرب الحلة .

الحمزة

من أحفاد أبي الفضل السيد الجليل أبو يعلى الحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيدة الله بن العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام وقد كتب الشيخ الجليل العلامة ميرزا محمد علي الأوردباديًّا صحائف غر في حياته نذكرها بنصها .

قال : كان أبو يعلى أحد علماء العترة الطاهرة وفذاً من أفذاذ
بيت الوحي وأوحيًّا من سروات المجد من هاشم .

روى الحديث فأكثر واختلف إليه العلماء لأخذ منه منهم
الشيخ الأجل أبو محمد هارون بن موسى التلعكري وأحد أعلام
الشيعة ومن حملة علومهم توفي سنة ٣٨٥ .

والحسين بن هاشم المؤدب .

وعلي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاد وكلاهما من
مشايخ الصدوق بن بابويه القمي .

وعلي بن محمد القلانسي من مشايخ الشيخ المبجل أبي
عبد الله الحسين بن عبد الله الغضائري .

وأبو عبدالله الحسين بن علي الخاز القمي^(١).

ويظهر من هذا أنه كان في طبقة ثقة الإسلام الكليني قد أدرك القرنين آخر الثالث وأوائل الرابع ولأجله عقد له الشيخ العلامة الشيخ أغاث بزرك الرازي في كتابه (نابغة الرواية في رابعة المئات) ترجمة ضافية فهو من علماء الغيبة الصغرى.

وله من الآثار والآثار كتاب التوحيد وكتاب الزيارات والمناسك وكتاب الرد على محمد بن جعفر الأسدية وكتاب من روى عن جعفر بن محمد عليه السلام من الرجال استحسنه النجاشي والعلامة ولها ترجمة شيخنا الرازي في مصفي المقال في مصنفي علماء الرجال وأسند النجاشي إلى هذه الكتب عن ابن الغضائري عن القلنسى عن سيدنا المترجم.

وإليك كلمات العلماء في الثناء عليه قال النجاشي والعلامة إنه ثقة جليل القدر من أصحابنا كثير الحديث وقال المجلسي في الوجيزه ثقة وفي تنقيح المقال للعلامة المامقاني السيد حمزة ثقة جليل القدر عظيم المنزلة وفي الكنى والألقاب لشيخنا المحدث الشيخ عباس القمي أنه أحد علماء الإجازة وأهل الحديث وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع.

(١) انظر: رجال الشيخ الطوسي وفهرست النجاشي والأموال والإكمال للصدق.

إن دون مقام سيدنا المترجم أن نقول فيه إنه من مشايخ الإجازة الذين هم في غنى عن أي تزكية وتوثيق كما نص به الشهيد الثاني وتلقاه من بعده بالقبول فإن ذلك شأن من لا يعرف وجهلت شخصيته وإن مكانة سيدنا أبي يعلى فوق ذلك كله على ما عرفته من نصوص علماء الرجال ومن كراماته المربية على حد الإحصاء المشهودة من مرقده المطهر فهو من رجالات أهل البيت المعدودين من أعيان علمائهم بكل فضيلة ظاهرة ومؤثرة باهرة (والشمس معروفة بالعين والأثر) فليس هو من نتحرج إثبات ثقته حتى نتشبث بأمثال ذلك نعم كثرة روايته للحديث تنم عن فضل كثير من غزاره علمه ومن قولهم عليه السلام (اعرفوا منازل الرجال منا بقدر روايتهم عنا) فإن ذلك يشف عن التصلب في أمرهم والتضليل في علومهم والبث لمعارفهم وبطبيع الحال إن كلاماً من هذه يقرب العبد إلى الله تعالى وإليهم عليه السلام زلفى فكيف بمن له الحظوة بها جماعة كسيدنا المترجم على نسبة المتألق المتصل بدوحهم القدسي اليانع.

أما مشايخه في الرواية فجماعة عرفناهم بعد الفحص في المعاجم وكتب الحديث ك الرجال الطوسي وفهرست النجاشي وإكمال الدين للصدق منهن :

١ - الشيخ الثقة الجليل سعد بن عبد الله الأشعري .

٢ - محمد بن سهل بن ذارويه القمي .

٣ - الحسن بن ميشل .

٤ - علي بن عبد بن يحيى .

٥ - جعفر بن مالك الفزاري الكوفي .

٦ - أبو الحسن علي بن الجنيد الرازي .

٧ - وأجل مشيخته عمه مستودع ناموس الإمامة والمؤتمن على وديعة المهيمن سبحانه ، أبو عبدالله - أو عبيد الله - محمد بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس عليهما السلام .

ومن جلالته أنه لما وقعت الفتنة بعد وفاة أبي محمد العسكري عليهما السلام وكثير الفحص والطلب من زبانية الإلحاد وطواغيت الوقت على بيت الإمامة ونسائه وجواريه وإماماته حذار وجود البقية منه أو وجود حامل منهن تلده لما بلغ الطاغية أن الخلف بعد أبي محمد العسكري يدمر دولة الباطل فحسبه في العاجل وهو آجل فعند ذلك انتقلت الكريمة الطاهرة أم الإمام المنتظر عجل الله فرجه (نرجس) سلام الله عليه وعليها إلى بيت أبي عبد الله هذا كما نص به النجاشي للحفظ من عادية المرجفين^(١) .

(١) انظر: ص ١٤٥ من فهرست النجاشي ولكن في إكمال الدين للصدقون أنَّ ماتت في أيام أبي محمد الحسن العسكري .

وإن الاعتبار لا يدعنا إلا أن نقول بأن بيته يحيى أم الإمام لا بد أن يكون مختلفاً ولـيـ الـدـهـرـ وـصـاحـبـ الـعـصـرـ الـناـهـضـ بـعـبـءـ خـلـافـةـ اللهـ الـكـبـرـىـ وـمـحـطـ أـسـرـارـهـ وـمـرـتـكـزـ أـمـرـهـ وـمـجـرـىـ عـلـوـمـهـ وـمـصـبـ مـعـارـفـهـ لـيـتـعـاـهـدـ الـحـرـةـ الـطـيـبـةـ أـمـهـ نـرجـسـ وـيـكـونـ عـلـيـهـ السـلـامـ هوـ المـحـبـيـ فـيـ صـدـرـ ذـلـكـ الدـسـتـ وـالـمـتـرـبـعـ عـلـىـ مـنـصـةـ عـزـهـ.

ولـاـ شـكـ أـنـ أـبـاـ عـبـدـ اللهـ هـذـاـ يـقـتـبـسـ مـنـ عـلـوـمـهـ وـيـسـتـضـيـءـ بـأـنـوـارـهـ وـحـيـنـئـذـ فـدـونـ مـقـامـهـ إـطـرـاءـ الـعـلـمـاءـ لـهـ كـقـولـ النـجـاشـيـ وـالـعـلـمـةـ ثـقـةـ جـلـيلـ وـكـقـولـ اـبـنـ دـاـوـدـ عـيـنـ فـيـ الـحـدـيـثـ صـحـيـحـ الـاعـتـمـادـ كـتـوـثـيـقـاتـ الـوـجـيـزـةـ وـالـبـلـغـةـ وـالـمـشـتـرـكـاتـ وـحـاوـيـ الـأـقـوـالـ وـقـالـ اـبـنـ عـنـبـةـ فـيـ الـعـمـدـةـ نـزـلـ الـبـصـرـةـ وـرـوـىـ الـحـدـيـثـ عـنـ عـلـيـ بـنـ مـوـسـىـ الـكـاظـمـ عليه السلامـ وـغـيـرـهـ بـهـاـ وـبـغـيـرـهـاـ وـكـانـ مـتـوـجـهـاـ عـالـمـاـ شـاعـرـاـ وـقـالـ النـجـاشـيـ لـهـ رـوـاـيـةـ عـنـ أـبـيـ الـحـسـنـ وـأـبـيـ مـحـمـدـ عليه السلامـ وـإـنـ لـهـ مـكـاتـبـةـ وـلـهـ مـقـاتـلـ الـطـالـبـيـنـ.

فـحـسـبـ سـيـدـنـاـ الـمـتـرـجـمـ أـبـوـ يـعـلـىـ مـنـ الشـرـفـ أـنـ يـكـونـ مـعـمـاـ بـمـثـلـهـ وـنـاهـيـهـ مـنـ الـفـضـيـلـةـ أـنـ يـكـونـ خـرـيـجـاـ لـمـدـرـسـتـهـ.

وـوـالـدـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ هـذـاـ هـوـ عـلـيـ بـنـ حـمـزـةـ بـنـ الـحـسـنـ نـصـ النـجـاشـيـ وـالـعـلـمـةـ الـحـلـيـ فـيـ الـوـجـيـزـةـ وـالـبـلـغـةـ عـلـىـ ثـقـتـهـ.

وـأـبـوـ حـمـزـةـ الشـبـيـهـ بـجـدـهـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ جـلـيلـ الـقـدـرـ عـظـيمـ الـمـنـزـلـةـ خـرـجـ تـوـقـيـعـ الـمـأـمـونـ بـخـطـهـ (يـعـطـىـ لـحـمـزـةـ بـنـ الـحـسـنـ لـشـبـيـهـ

بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مائة ألف درهم) قاله ابن عنية في العمدة.

وأبو حمزة هذا الحسن بن عبيد الله فذكر النسابة العمري في المجدى أنه كان لأم ولد روى الحديث وعاش سبعاً وستين سنة ووافقه على عمره أبو نصر البخاري في سر السلسلة وذكر أن العدد والثروة في ولده وأنّ أمه وأم شقيقه عبدالله بنت عبدالله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب.

قلت والظاهر أن في النسخة غلط نسياني فإن أبو نصر نفسه ذكر أن التي كانت تحت عبيد الله بن العباس عليهما السلام هي أم أبيها بنت معبد بن العباس لا ابنة ابنه.

وعبيد الله بن العباس أبو الحسن ذكر الشيخ العلامة علي بن يوسف بن المطهر أخو آية الله العلامة الحلي في العدد القوية عن الزبير بن بكار أنه من العلماء وقال أبو نصر البخاري تزوج أربع عقائل كراماً رقية بنت الإمام الحسن السبط وأم علي بنت السجاد لم تلد منه وأم أبيها بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب وابنة المسور بن مخزوم الزبيري.

وأما سيدنا أبو الفضل العباس قمر بنى هاشم الذي هو بمنقطع الفضل ومنتهى الشرف وغاية الجلاله وقصيرى السؤدد فالبيان يتلاعس عن مدحه، إذا أنه جاء ممدوحاً بلسان أئمة الدين كابن أخيه الإمام السجاد ثم الإمام الصادق.

ولسيدنا المترجم أبي يعلى في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة من جنوب الحلة السيفية مشهد معروف في قرية تعرف باسمه (قرية الحمزة) بالقرب من قرية (المزيدية) يقصد بالزيارة وتساق إليه النذور ويتبرك به ويعزى إليه الكرامات تتناقلها الألسن ويتسالل عليها المشاهدون وتخبت بها النفوس وكان في ذي قبل يعرف بمشهد حمزة بن الإمام موسى الكاظم.

وبما أن الثابت في التاريخ والرجال أن قبر حمزة المذكور في الري إلى جنوب مشهد السيد الأجل عبد العظيم الحسني سلام الله عليهمما.

كان سيد العلماء والفقهاء المجاهدين سيدنا المهدي القزويني بعد أن هبط الحلة الفيحاء وأقام فيها دعامة الدين وشيد أركان المذهب يمر بهذا المشهد حين وفوده إلىبني زبید للإرشاد والهداية ولا يزوره ولذلك قلَّت فيه رغبة الناس في زمانه فصادف أن مر به مرة فطلب منه أهل القرية زيارة المرقد المطهر فاعتذر بما قدمناه وقال لا أزور من لا أعرفه فبات ليلة وغادر القرية من غد إلى المزيدية وبات بها حتى إذا قام للتهجد في آخر الليل وفرغ من عمله طرق يراقب طلوع الفجر إذ دخل عليه رجل في زي علوي شريف من سادة تلك القرية يعرفه المهدي بالصلاح والتقوى فسلم وجلس وقال له استضعفت أهل الحمزة وما زرت مشهده؟ قال نعم قال ولم ذلك؟ فأجابه بما قدمناه من جوابه

لأهل القرية فقال العلوي المذكور «رب مشهور لا أصله» وليس هذا قبر حمزة بن موسى الكاظم كما اشتهر وإنما هو قبر أبي يعلى حمزة بن القاسم العلوي العباسى أحد علماء الإجازة وأهل الحديث وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع.

فحسب سيدنا الحجة المهدي أنه أخذ هذا من أحد العلماء لأنه كان من عوام السادة وأين هو من الاطلاع على الرجال والحديث فأغفل عنه ونهض لفحص الفجر وخرج العلوي من عنده ثم أدى السيد الفريضة وجلس للتعقيب حتى مطلع الشمس.

وراجع كتب الرجال التي كانت معه فوجد الأمر كما وصفه الشريف العلوي الداخل عليه قبيل الفجر ثم ازدلف أهل القرية إليه مسلمين عليه وفيهم العلوي المشار إليه فسأله عن دخوله عليه قبيل الفجر وإخباره إياه عن المشهد وصاحبه عنمن أخذه ومن أين له ذلك فحلف العلوي بالله إنه لم يأته قبل الفجر وأنه كان بائناً خارج القرية في مكان سماه وأنه سمع بقدوم السيد فأتاه زائراً في وقته هذا وأنه لم يره قبل ساعته تلك.

فنهض السيد المهدي من فوره وركب لزيارة المشهد وقال الآن وجب علي زيارته وإنني لا أشك أن الداخل عليّ هو الإمام الحجة وركب الطريق معه أهل المزيدية.

ومن يومئذ اشتهر المرقد الشريف بالاعتبار والثبوت وازدلفت الشيعة إلى زيارته والتبرك والاستشفاع إلى الله تعالى به.

وبعد ذلك نص سيدنا المهدي عليه في ذلك النجاة وتبعه على ذلك من بعده العلامة النوري في تحية الزائر والعلامة المامقاني في تنقیح المقال وشيخنا المحدث القمي في الكنى والألقاب.

أخذنا هذا النبأ العظيم من جنة المأوى للعلامة النوري.

هذا ما كتبه شيخنا العلامة ميرزا محمد علي الأوردي

أيده الله.

عمارة المشهد

تمهيد

لا شك في رجحان عمارة قبور الأولياء المقربين لا سيما من حظي منهم بشرف المنبت النبوى الظاهر الذى هو معدود من أكبر الفضائل لأنه لا يزال بمجرده متواصل العرى يحدو بصاحبه إلى أوج العظمة وكل سبب ونسب منقطع يوم القيمة إلا نسبه وسببه ﴿فَهُوَ مُشْرِفٌ مِّنْ تَحْلِيَّبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَكَيْفَ بِهِ إِذَا كَانَ مَشْفُوعًا بِعِلْمٍ وَتَقْرَىءَ مَوَاثِرَ وَمَفَالِخِ﴾.

١ - لأنه من تعظيم شعائر الله ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَّابَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١) ومن موارد حرماته المعينة بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾^(٢).

وإذا كانت البدن من الشعائر له سبحانه ﴿وَالْبُدُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ

(١) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٠.

مِنْ شَعَّابِرِ اللَّهِ ^(١) وَلَيْسَ الْبَدْنُ إِلَّا بِهِمَةٍ تَنْحَرُ فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ
سَبَحَانَهُ وَفِي سَبِيلِ طَاعَتِهِ وَالشَّعَارُ فِيهَا نَحْرَهَا.

فَلِمَذَا لَا يَكُونُ عَمَلُ الْوَلِيِّ الْمُقْرَبُ الشَّهِيدُ الصَّدِيقُ الْمُنْحُورُ
عَلَى الدُّعَوَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْمَرَاقِ دَمَهُ الْطَّاهِرُ عَلَى مَجْزِرَةِ الشَّهَادَةِ مِنْ
مَسْتَوَى الْقَدْسِ مِنْ جَمْلَةِ الشَّعَائِرِ وَالْحَرَمَاتِ الَّتِي يَجْبُ تَعْظِيمُهَا
بِتَعَاوِدِ مَرْقَدِهِ الْأَطْهَرِ وَقَصْدِهِ بِالْزِيَارَةِ وَالْعِبَادَةِ فِيهِ وَعِمَارَتِهِ عِنْدِ
الْانْهَادِمِ لِيَأْوِي إِلَيْهِ الزَّائِرُ وَيَتَفَيَّأُ بِظَلَّهِ الْمُتَبَعِّدِ كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ بِطَوَافِ
الْبَيْتِ يَسْتَدِعِي عِمَارَتِهِ كَلْمَاً أَوْ شَكْرَاً أَنْ يَتَضَعَّضَ بِنِيَانَهُ.

٢ - عَلَى أَنْ رَجَالَاتِ بَيْتِ النَّبِيِّ هُنَّ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ
وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ^(٢) وَالْمَرَادُ مِنَ الْبَيْتِ مَا كَانَ مَسْقُوفًا وَلِذَلِكَ
أَطْلَقَهُ فِي الْكِتَابِ الْمَجِيدِ عَلَى الْكَعْبَةِ الْمَعْظَمَةِ حِيثُ يَقُولُ:
﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ لِكَوْنِهَا مَسْقُوفَةً وَلَمْ يَرُدْ مِنْ
الْبَيْوَتِ مَطْلُقَ الْمَسَاجِدِ أَوِ الْمَسَاجِدِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الْمَسَاجِدُ الْحَرَامُ
وَمَسَاجِدُ النَّبِيِّ وَمَسَاجِدُ الْكُوفَةِ وَالْبَصَرَةِ فَالْمَسَاجِدُ كَلْمَاً ذَكْرُ فِي
الْقُرْآنِ أَطْلَقَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدُ دُونَ الْبَيْتِ مُثْلِّ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿لَمَسِّيدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ ^(٣).

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ^(٤).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٩٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(١) سورة الحج، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٦.

﴿وَالَّذِينَ أَنْجَدُوا مَسْجِدًا﴾ ^(١).

﴿لَتَتَخَذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ ^(٢).

﴿شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ^(٣).

﴿وَلَا نُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ^(٤).

والمساجد بمقتضى تشييعها مكسوفة والسقف الموجدة فيها حادثة لقصد أن يأوي إليها الوفود من المرامي السحرية الذين لا مأوى لهم لتكتنهم من قائظ الحر وقارص البرد فلا يناسب إطلاق البيت عليها لأنها عبارة عن المحل المسووف ولا يطلق على غير المسووف ولذلك تجد إطلاق بيوت الأعراب على أخبيتهم دون الصحارى التي يسكنونها ومن ذلك أطلق البيت على الكعبة تكونها مسووفة.

وكما لا يراد من تلك البيوت التي يجب أن ترفع ويدرك فيها اسمه المساجد لا يراد منها خصوص الكعبة المشرفة لأن لفظ البيوت في الآية جمع وحينئذ فمن المتعين أن يراد منها بيوتات تكون مستوى لذكر الله والدعوة إليه إما بألسنة ساكنيها أو بأعمالهم وجهادهم فتكون تلك البيوت منبقى أنوار الله.

(١) سورة التوبه، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

وإذا فتشنا بيوت العالم فلا نجد ما هو أولى بصدق هذه البيوت عليهم إلا بيوت رسول الله صلوات الله وآياته عليه الذين أنفدوا طاقتهم في رفع كلمة الله العليا وتوحيده والتذكير بوعده ووعيده فكانت مقصورة على ذلك دعوتهم منحصرأً به هتافهم حتى أثبتوه على جبهة الدهر وكتبوا بدمائهم الزاكية على صحفة الزمان مع ما لهم من الدلوب على العبادة والتلاوة في آناء الليل وأطراف النهار وللناس بهم أسوة حسنة .

وليس من الرأي السديد قصرها على بيوتهم التي يسكنونها أيام حياتهم بل تعمها ومشاهدهم المقدسة فإنهم ﴿أَحْيَاهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وإذا ثبت في الشهداء وهم دونهم بمراتب أنهم أحياء فإن أهل البيت أولى بذلك لأنهم الدعاة إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة أحياء وأمواتاً وشهداء في سبيل تلك الدعوة المقدسة وشهداء على أعمال الأمة المرحومة .

وعليه فلا يخلو إما أن يراد من الرفع في الآية خصوص العمارة وتشييدها كما هو الظاهر على حد قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرَقُعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ أو يراد مطلق التعظيم ومما لا شك فيه أن من أظهر مصاديقه عمارتها وتجدیدها عند أولها إلى الخراب لتم بقية أقسام التعظيم من تفیؤ المتعبدین وانتجاع المزدلفین إليها واختلاف الزوار إليها وذكر الله سبحانه والصلاه والترحم على أولياء الله المتبوئين هاتيك المشاهد المطهرة وتكون تلك القباب

والأنبية الشاهقة كنار تدل الوافدين على ما هناك من ضالتهم
المنشودة .

٣ - ثم إن في الكتاب العزيز شيء آخر دلنا على مشروعية
البناء على مراقد الصالحين واتخاذ خصوص المساجد عليها وهو
قوله جل شأنه ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أُمَّهُمْ لَنَتَّخِذُنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾
وذلك أن المؤمنين مع ملتهم يدرؤون وكان موحداً لما وصلوا
إلى أصحاب الكهف واطلعوا على موتهم في مكانهم أمر الملك
أن يتركوا في مكانهم ويبني على باب الكهف مسجد يتعبد فيه
الناس ويتركون بمكانهم^(١) .

وهذا منه سبحانه وإن كان إخباراً عن عمل أمة سابقة على
الإسلام لكنه مقرر بالতقرير من الله عز ذكره وعدم الإنكار عليهم
وكلما كان الحكم غير منكر من الإسلام فهو مستصحب البقاء
والنسخ وإن وقع في الشريعة لكنه لم يجمع هاتيك الشرائع لا
لجميعها فهو كالعشرة الإبراهيمية^(٢) التي لم تنسخ ولا تنسخ أبداً

(١) نص عليه الزمخشري في الكشاف والنيسابوري في غرائب القرآن وأبو
السعود في تنوير المقباس والبغوي في معالم التنزيل بهامش الخازن
والطبرسي في مجمع البيان والفيض في الصافي وزاد الخازن في تفسيره أن
الملك يدرؤس جعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى هذا المحل كل سنة .

(٢) خمسة من هذه العشرة في الرأس وهي أخذ الشارب وإعفاء اللحى وطم
الشعر والسواك والخلال وخمسة في البدن الختان وتقليل الأظفار =

كغيرها من الأحكام المستصحبة.

وإذا أجازت الشريعة الإلهية بناء المسجد على أولئك الصالحين من فتية الكهف للعبادة والتبرك بهم فالحكم شرع سواء فيهم وفي من هو أفضل منهم ألا وهم الحجاج المعصومون والأولياء المقربون من هذه الأمة المرحومة.

وعلى هذا النهج اللاحب جاءت سنة الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله وسلامه لما دفن عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه معللاً بأنه يتعلم منه قبر أخيه ليُدفن إليه من مات من أهل بيته وهذا الحجر أخذه مروان بن الحكم ووضعه على قبر عثمان بن عفان فكلمته بنو أمية وقالوا كيف تأخذ حجراً وضعه رسول الله فلم يعأ بهم ^(١).

وإذا كان وضع الحجر للتعريف بالقبر فلا ريب أن البناء على القبر أوفي بهذه العلة من وضع الحجر فيكون راجحاً بالأولوية.

على أن اهتمام النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بتعريف قبر عثمان دون غيره من المسلمين يدلنا على امتياز بعضهم عن بعض بالفضل والعلم والورع والمعرفة وحينئذ يكون البناء على قبور الأنبياء والأوصياء

= والغسل من الجنابة والظهور بالماء وحلق الشعر من البدن (مجمع

البيان: ج ١، ص ٢٠٠) في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَبْتَلَ إِبْرَهِيمَ رَبِّهِ﴾.

(١) وفاء الوفاء للسمهودي: ج ٢، ص ٨٥.

والاولياء والأمثل فالامثل امتيازاً عن غيرهم وإعلاماً بما لهم من شأن ورفة أولى وأرجح .

وكانت فاطمة الزهراء تزور قبر حمزة وترمه وتصلبه وقد تعلمته بحجر^(١) فدل على أن إصلاح القبر وتعاهده كي لا تندرس آثاره معروف في زمن الشارع المقدس وإلا لما فعلت ذلك سيدة نساء العالمين والوحي ينزل في بيتها وإصلاح القبر يختلف باختلاف الأوقات والأزمنة فقد تقتضي الحالة والوقت إصلاح القبر بجمع ترابه ووضع الحجر عليه وقد تقتضي بناء قبة عليه أو وضع جدار حوله .

ومن أجل ذلك دفنا النبي ﷺ في حجرة عائشة وكانت مسقفة بجريدة النخل وأول من بناها باللين عمر بن الخطاب^(٢) .

ثم إن عبدالله بن الزبير شيد جدران قبر النبي وجعلها مرتفعة وفي سنة ١٩٣ أمر الرشيد واليه على المدينة أبا البختري أن يبني سقف الحجرة ثم المتوكل أمر واليه على الحرمين اسحاق بن سلمة أن يشيد حجرة النبي بحجارة الرخام ففعل ذلك سنة ٢٤٢ .

وفي الأوراق البغدادية للسيد ابراهيم الراوي أن المسلمين لما فتحوا بلاد الشام وبيت المقدس ورأوا على قبور الأنبياء

(١) وفاة الوفاء: ج ٢، ص ١١٢ .

(٢) المصدر: ج ١، ص ٣٨٣ .

المبني لم يهدموها ومن أشهرها البناء الذي على قبر ابراهيم عليه السلام وقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلم يهدمه ولم يأمر بهدمه.

وغير خفي أن تقرير الصحابة وفيهم الخلفاء ذلك العمل دليل قوي على تعارف البناء على القبور وجوازه لديهم.

وحدث محمد بن الحنفية المتوفى سنة ٨١ أن رسول الله دفن فاطمة بنت أسد في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة وفيه دلالة كما عند السمهودي على أن قبرها كان عليه مسجد يعرف به ذلك الزمان^(١) وهو في المائة الأولى من الهجرة كما كان على قبر حمزة بن عبد المطلب مسجد يومئذ^(٢).

وكما بني على قبر العباس بن عبد المطلب قبة دفن فيها الحسن والسجاد^(٣) والباقر^(٤) والصادق^(٥) عليهم السلام في المائة الأولى والثانية كانت القبة على قبر العباس موجودة.

وإن الخطيب البغدادي المولود سنة ٣٩٢ حكى في ترجمة

(١) تاريخ المدينة: ج ٢، ص ٨٨.

(٢) المصدر: ص ١٠٥.

(٣) تاريخ ابن خلkan في ترجمة السجاد.

(٤) الصواعق: ص ١٢٠.

(٥) ابن خلkan بترجمته.

الإمام الكاظم أنه دفن في مقام الشونيزيه (مقابر قريش) خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار الخ فدل على أنه كان يوم وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قبة في مقابر قريش.

وعليه يكون وضع القباب على القبور متعارف بين المسلمين لم تنكره علماء تلك العصور مع تبصّرهم بأحاديث الرسول ﷺ ومن هنا لم يمتنع الخلفاء من وضع القباب على قبور أسلافهم فهذا الرشيد بنى قبة على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(١) وبيني المأمون على قبر الرشيد قبة^(٢) مع أن عصره كان حافلاً بالعلماء كالشافعي وابن حنبل وسفيان بن عيينة وغيرهم فلم ينكر عليه أحد.

ولما توفي المعز البويحي سنة ٣٥٦هـ دفن في داره ثم نقل إلى مشهدبني له في مقابر قريش وابن وكيع الشاعر المتوفى ٣٩٣هـ دفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها وأبو تمام المتوفى سنة ٢٧١ بنى على قبره نهشل بن حميد الطوسي قبة.

فما قيل من أن هذه القباب حدثت منذ القرن الخامس فهي من البدع غير المعروفة في زمن الشارع المقدس وما بعده، من الأكاذيب الفاضحة.

(١) عمدة الطالب وحبيب السير.
(٢) روضة الصفا.

فتحصل من جميع ما ذكرناه أن البناء على القبور وعماراتها وتجديدها وتعاهدها أمر راجح وعليه الأمة الإسلامية من دون نكير بينها ويتأكد في قبور الأولياء المقربين والشهداء الصديقين والعلماء الصالحين وذوي المآثر والفضائل لأن فيه تعريفاً بالميت وتنويهاً بمقامه ليزوره الزائر ويستريح إليه المتبعد لكونه من الأمكنة المحبوب لله تعالى فيها الذكر والطاعة وتحصيل المصالح الدينية .

وبذلك اتفقت كلمة العلماء الذين هم أعرف الأمة بموارد الأمر والنهي بل زادوا على البناء والعمارة تزيينها بالمعلقات والفرش والستائر وكل ما فيه احترامهم وتعظيمهم .

مدعين على ذلك بعد الإجماع والاتفاق أنه من الشعائر وعدم إنكار الأئمة في عهود كانوا ظاهرين فيها والأخبار الكثيرة الدالة على ميلهم له ورضاهم به وقد أمرت بالوقوف على باب الروضة أو القبة أو الناحية المقدسة والاستئذان وتقبييل العتبة والدعاء عند ترائي القبة الشريفة وغيرها مما يتوقف على وجود الباب والقبة والعتبة المتوقف كله على البناء فلو لا البناء أين تكون القبة وأين الباب وأين العتبة وأين الاستئذان عندها؟

مع صراحة خبر أبي عامر واعظ أهل الحجاز عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وفيه: إن الله سبحانه جعل قلوب

نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحتمل الأذى
والمذلة فيزورون قبوركم ويكترون زيارتها تقرباً منهم إلى الله
تعالى ومودة منهم لرسوله أولئك المخصوصون بشفاعتي الواردون
حوضي وهم زواري غداً في الجنة.

يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان على بناء
بيت المقدس إلى أن قال: ولكن حثالة من الناس يعيرون زواركم
كما تعير الزانية بزناها أولئك شرار أمتي لا نالتهم شفاعتي^(١).

وحييند فلا ريب في تخصيص العمومات المانعة من تجصيص
القبر وتتجديه بل دعا صاحب الجواهر أعلى الله مقامه (أن البناء
على قبور الأئمة والصلحاء من ضروري المذهب بل الدين).

على أن النهي عن التجصيص معارض بما هو أقوى منه سندًا
ودلالة وأكثر عدداً ومنه حديث صفوان: زار الصادق ع عليهما السلام قبر جده
أمير المؤمنين وذكر فضل زيارته واستئذانه لإخبار أصحابه من
الشيعة بهذا الفضل، فقال: نعم، وأعطاني دراهم فأصلحت
القبر^(٢).

ويحدث يونس بن يعقوب أن الإمام الكاظم عند رجوعه من
بغداد ماتت ابنة له (بفید) فدفنتها وأمر بعض مواليه أن يجصص

(١) فرحة الغري: ص ٣١.

(٢) المصدر: ص ٤١.

قبراها ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر^(١).

وماتت أم الإمام الحجة صاحب الزمان عجل الله فرجه في أيام أبي محمد الحسن العسكري فدفنت في الدار وكتب على لوح هذا قبر أم محمد عليه السلام ووضع في القبر^(٢).

وليس هو من خصائص أولادهم وإنما جرى الأمر على العادة المأبولة من التعريف بالميت والتنويه بذكره فيكون الفعل في غيره من الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء الصالحين أولى وأرجح وأكيد.

والمراد من البناء المكره كما نص عليه الأردبيلي وكاشف الغطاء هو ما كان فوق القبر بحيث يصير القبر تحت الحائط فإنه غير مناسب لحرمة الميت وأما البناء المتعارف المتداول بحيث يكون القبر تحت القبة فلا يشمله النهي كما لا يشمل عمارة القبة وتجسيصها وتزيينها ولا وضع الصناديق المزينة والأقمصة النفيسة على القبور والوقف لها.

وإليك أسماء من تعرض لهذا الحكم من علمائنا عند مسألة تجسيص القبور من أحكام الأموات وغيرها مرتبين على سنة الوفاة:

(١) الكافي والتهذيب والاستبصار.

(٢) اكمال الدين للصدقون: ص ١٤٠، وقد تقدم عن النجاشي أنها بقيت بعد الحسن العسكري.

السيد عبد الكريم بن طاووس في الفرحة المتوفى سنة ٦٩٣ هـ.

الشهيد الأول في الذكرى والدروس المتوفى سنة ٧٨٦ هـ.

المحقق الكركي في جامع المقاصد المتوفى سنة ٩٣٣ هـ.

الشهيد الثاني في روض الجنان المتوفى سنة ٩٦٦ هـ.

الأردبيلي في شرح الإرشاد المتوفى سنة ٩٩٣ هـ.

السبزواري في الذخيرة المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ.

الحر العاملي في الوسائل المتوفى سنة ١١٠٤ هـ.

المجلسي في مزار البحار ومرآة العقول المتوفى سنة ١١١٠ هـ.

السيد جواد العاملي في مفتاح الكرامة المتوفى سنة ١٢٢٦ هـ.

كاشف الغطاء في نهج الرشاد ص ٧١ المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ.

السيد علي في الرياض المتوفى سنة ١٢٣١ هـ.

الميرزا القمي في الغنائم المتوفى سنة ١٢٣١ هـ.

النراقي في المستند المتوفى سنة ١٢٤٤ هـ.

٣٤٦ العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الكرбاسي في منهاج الهدایة المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ.

صاحب الجوادر فيها المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ.

النوري في المستدرك المتوفى سنة ١٣٣٠ هـ.

عمارة مرقد العباس

إذا تمهد ما ذكرناه فمشهد سيدنا أبي الفضل عليه السلام من أظهر
مصاديق تلك البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما
أنه في الرعيل الأول من أولئك الصديقين والشهداء الصالحين
وفي تشييد قبته السامية إبقاء لما أوعزنا إليه من السر في انحياز
قبره عن مجتمع الشهداء.

وإذا أعلمنا الإمام الصادق عليه السلام في زيارته بما له من المقام
الرفيع في ملا القدس وعند مجتمع الأنبياء والرسل وقد حاز
بذلك إكباراً منهم وتبجيلاً حتى غبطه على ما حباه الله جميع
الشهداء والصديقين لتفرده بتلك المنعة والخطر كان الاحتفاء
بمشهد القديسي من العمارة والتعاوه من أوليات فرائض عالم
الشهدود.

ثم إنه سبحانه قيض لعمارة هذا المشهد الكريم أناساً قدر
لهم الخير والسعادة وأجرى على أيديهم المبرات ففازوا بالباقيات
الصالحات وكانت لهم الذكرى الخالدة في الدارين والسعادة في

النshaftين من ملوك وأمراء وعلماء ووجهاء فتعاقب عليه العمران وفي كل يوم يزداد بهجة وبهاءً حتى تجلّى كما هو اليوم في أبهج المناظر بقبته التي تحكي السماء رفعة وشأن النجوم بهجة وذلك الحرم المنيع المضاهي للعرش عظمة وأروقته المغشاة بالقوارير التي تفوق الأفلاك بذخاً وذلك الصحن الذي هو ساحة القدس وباحة الجلال والبهو الكبير الذهبي الذي دونه عرش الملك ومناط الأبهة فحاكمي غرف الجنان وصروحها .

ويتحدث المؤرخون أنّ الشاه طهماسب في سنة ١٠٣٢ هـ زين القبة السامية بالكاشاني وبنى شباكاً على الصندوق ونظم الرواق والصحن وبنى بهو أمام الباب الأول للحرم وأرسل الفرش الثمينة من صنع (إيران) .

وفي سنة ١١٥٥ هـ أهداى نادر شاه إلى الحرم المطهر تحفًا كثيرة وزين بعض تلك المباني بالقوارير وفي سنة ١١٥٧ هـ زار الحسين وزير الشهم فجدد صندوق القبر وعمر الرواق وأهداى ثريا يوضع فيها الشمع لإنارة الحرم الشريف .

وبعد حادثة الوهابية بكربيلا سنة ١٢١٦ ونهب ما في الحرم من الأعلاف النفيسة والذخائر المئمنة نهض الشاه (فتح علي) وجدد ما نهبت من الحسين وأخيه أبي الفضل وعمر قبة العباس بالكاشاني كما أنه ذهب قبة سيد الشهداء وصدر الإيوان الذي

أمام الباب الأول للحرم من جهة القبلة وأنشأ صندوق ساج على قبر أبي الضيم أبي عبدالله عليه السلام وفضض الشباك المطهر.

وفي كتاب طاقة ريحان ص ٩١ للعلامة الحاج ميرزا عبد الكريم المقدس الأرومی أن خال جدته لأمه الحاج شكر الله بن بدل بك الأفشاري ذهب الإيوان الذي هو أمام حرم أبي الفضل وأنفق على ذلك كل ماله وذلك بإيعاز زین الفقهاء والمجتهدين الشيخ زین العابدين المازندراني المتوفی ١٢ ذي القعده سنة ١٣٠٩ هـ وكتب اسمه في الجانب الغربي من جدار الإيوان على صفائح الذهب بخط ذهبي موجود إلى الآن وتاريخ الكتابة سنة ١٣٠٩ هـ.

وفي الكتاب المذكور أن نصير الدولة ذهب منارة أبي الفضل وكان الصائغ يعش في تطلية الطاقات الصفرية بالذهب فعرف منه ذلك وجيء به من بغداد إلى كربلا فلما دخل الصحن اضطرب واسود وجهه سواداً شديداً ومات من الغد.

وحدثني العلامة الحجة السيد حسن مؤلف كتاب (فدرك) وغيره من المؤلفات القيمة أن الإيوان الصغير الذهبي الذي هو أمام الباب الأول أنشأه ملك لكنه محمد شاه الهندي وأما الطارمة المسقطة بالخشب فبأمر السلطان عبد الحميد خان وجدد بناء القبة بالكاشاني محمد صادق الاصفهاني الشيرازي الأصل وهو الذي اشتري الدور الملاصقة للصحن الشريف وزادها في الصحن وبناء بما هو المشاهد وكانت الزيادة من جهة القبلة أكثر

من سائر الجهات قدر ايوانين أو ثلاثة ودفن في حجرة عند باب القبلة تعرف باسمه وبني الصحن بالكاشاني رحمة الله عليه وجزاه لخدمته لأبي الفضل أفضل جزاء المحسنين.

وجدد السيد المبجل سادن الروضة المقدسة السيد مرتضى الباب الفضي الذي هو في الإيوان الذهبي أمام حضرة العباس عليه السلام سنة ١٣٥٥ هـ وكتب على المتصاعدين قصيدة الخطيب الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي وتفضيل حفظه الله بها ولطروس الإنشاء الذي ذكرناه في ما تقدم وهذه القصيدة:

لذ بأعتاب مرقد قد تمنت
 وأنتشق من ثرى أبي الفضل نشراً
غاب فيه من هاشم أي بدر
هو يوم الطفوف ساقى العطاشى
وأطل عنده البكاء ففيه
لا يضاهيه ذو الجناحين لـما
هو بـباب الحسين ما خاب يوماً
قام دون الهدى يناضل عنه
فاديًّا سبط أـحمد كـأبيه
جدد المرتضى له بـباب قدس
إنه بـباب حـطة ليس يخـشى
قف به داعـياً وفيه توـسل

أن تكون النجوم من حصـباء
ليس يـحـكي العـبـير نـفـحـ شـذاـهـ
فيـهـ لـيلـ الضـلالـ يـمـحـىـ دـجـاهـ
فـاسـقـ منـ فيـضـ مـقـلـتـيـكـ ثـراـهـ
قدـ أـطـالـ الـحـسـينـ شـجـوـاـ بـكـاهـ
قطـعـتـ فيـ شـبـاـ الـحـسـامـ يـدـاهـ
وـافـدـ جاءـ لـائـذاـ فيـ حـمـاهـ
وـكـفـاهـ ذـاكـ الـمـقـامـ كـفـاهـ
حـيـدرـ مـذـ فـدـىـ النـبـيـ أـخـاهـ
مـنـ لـجـينـ يـغـشـيـ الـعـيـونـ سـنـاهـ
كـلـ هـولـ مـسـتـمـسـكـ فـيـ عـرـاهـ
فـبـهـ الـمـرـءـ يـسـتـجـابـ دـعـاهـ

السدانة

السدانة هي خدمة المعبد والقيام بشؤونه ولوازمه وتحري كلامه من أي عادية وقد اتخذت العرب بيوتاً تعظمها كتعظيم الكعبة وجعلوا لها حجاباً وسدانة وكانوا يهدون إليها كما يهدون إلى الكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة وينحررون بها مثلها. كل ذلك مع معرفتهم فضل البيت الحرام والكعبة المشرفة لأنها بناء الخليل^(١).

فالبيت المعظم الذي يتخذ معبداً ومائداً للوفود والزائرين ومحللاً للدعاء والابتهاج لا بد وأن يجعل له حجبة وسدانة يرعون حرمتها فنصب السادن من لوازم جلاله المحل وجود المثمنات فيه فلن تجد محللاً له شأن إلا ورأيت له خدمة.

وبالنسبة منعة المحل لا يقيض له من سوقة الناس ومن لا كفاءة له بالقيام بالخدمة لأن فيه حطاً من كرامته وتحطيمهاً لمكانته

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٢، ص ١٩٢.

فمن حق المقام أن يكون السادس شريف قومه وكريم بيته لا يسبق
بمجد ولا يلحق بشرف.

ومن هنا نشاهد السدانة في حرم أبي الفضل عليه السلام يتولاها
شريف بعد شريف حتى انتهى الأمر إلى الهاشمي المبجل السيد
مصطفى ومنه إلى خلفه الشهم الهمام السيد مرتضى الذي لا تعد
ما أثره ولا آثاره وأياديه الجميلة ومساعيه المشكورة حول خدمة
الحرم وعمارته وتنويره وتزيينه وكان كما يهواه السؤدد والخطر
وتختاره طهارة العنصر ونزاهة الأعراق ويرتئيه المجد الهاشمي
والمولد العلوي.

وقام نجله الزكي (السيد محمد حسن) بكل ما يستطيعه من
خدمة الحرم.

حامى الجوار

لقد عرف العلماء مكانة أبي الفضل عند الله سبحانه وتعالى وما جاء به وأعده له من جزيل الفضل تقديرًا لأعماله وما قاساه من فوادح وألام فكان ملجمًا الخائف ولهم اللاجيء وغوث الصريخ وحمى المستجير فلاذوا بجنابه عند الممات وجاوروا مرقده الأطهر والتجأوا إلى كهفه المنيع ليمنحهم الشفاعة فيفوزوا بالخلد ويتقربوا على أسرة النعيم الدائم وحاشا أبو الفضل أن يخفر الجوار ويتباعد عن عقل ناقته بفنائه.

ومن هؤلاء الأعلام ما في الذريعة إلى مصنفات الشيعة ج ٣ ص ١٩٩ أنَّ الحاج السيد محمد بن محسن الزنجاني توفي بزنجان سنة ١٣٥٥ وحمل إلى جوار أبي الفضل العباس بوصية منه .

وفيه ص ٣٢٣ أنَّ الشيخ علي بن زين العابدين البارجيني اليزدي الحائرى صاحب كتاب إلزام الناصب في أحوال الحجة الغائب دفن في صحن العباس عليه السلام .

والعلامة الشيخ علي اليزدي البفروئي من أجياله تلامذة الأردكاني دفن في البهو أمام حضرة العباس.

والسيد كاظم البهبهاني من تلامذة المرحوم آية الله السيد هاشم الفزويني دفن في الرواق.

والعلامة السيد عبدالله الكشميري من تلامذة الأردكاني دفن في الحجرة الرابعة من الشرق الجنوبي.

والشيخ ملا عباس المعروف باليزدي المشهور بسيبوه وأخوه ملا علي المعروف بالأخفش لهما مكانة عالية في التدريس دفنا في الحجرة المختصة بهما الملاصقة للباب المعروف بباب صاحب الزمان.

والشيخ كاظم الهر له فضل في العلم والأدب تلمذ على الشيخ صادق بن العلامة الشيخ خلف عسکر دفن في الحجرة الأخيرة من الشرق الشمالي.

المديح والرثاء

من الواضح الذي لا يرتاب فيه أن نظم الشعر في أي رجل تعريف به وإحياء لذكره وإقامة لأمره فإن آثار الرجال مهما كبرت في النفوس وعظم أمرها قد يخمل ذكرها بمرور الزمن وتباعد العهد فيغفل عن تلك المآثر ويتناهى ما لها من أهمية كبرى ولمّا كان القول المنظوم أسرع تأثيراً في الإصاحة لرغبة الطباع إليه فتسير به الركبان وتلوكه الأشداق وتحفظ به القلوب وتتلقاه جيلاً بعد جيل وتأخذه أمة بعد أمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها فتلتفت إلى ذلك الفضل المتقادم وقد حفظ لنا الأدب العربي كثيراً من قضايا الأمم وسيرها وحروبها في الجاهلية والإسلام.

وبما أن ذكرى أهل البيت قوام الدين وروح الإصلاح وبها تدرس تعاليمهم وتقتفي آثارهم طفقت هذه الأمة يذكرون ما لهم من فضل كثار وما جرى عليهم من المصائب ولاقوا في سبيل إحياء الدين من كوارث ومحن لأن في ذلك إحياء أمرهم (ورحم الله من أحى أمرهم ودعا إلى ذكرهم) وقد تواتر الحث من الأئمة المعصومين

على نظم الشعر فيهم مدحًا ورثاءً بحيث عد من أفضل الطاعات.

ولم يعهد من الأئمة الطاهرين مع تحفظهم على التقية والإزام شيئاً ينفعهم بها تبليط الشعراء عن المكاشفة في حقهم وإظهار باطل المناوئين مع أن في الشعراء من لا يقر له قرار ولا يأويه مكان فرقاً من أعداء أهل البيت لمحض مجاهرتهم بالولاء والدعوة إلى طريقة أبناء الرسول صلوات الله عليه كالكميت ودعبدل الخزاعي ونظرائهم بل كان الأئمة يؤكدون ذلك بالتحبيذ وإدرار المال عليهم وإجزال الهبات لهم وذكر المثوبات وليس ذلك إلا لأن المكاشفة أدخل في توطيد أسس الولاية وعامل قوي لنشر الخلافة الحقة حتى لا يبقى سمع إلا وقد طرقة الحق الصراح ثم تتلقاه الأجيال الآتية كل ذلك حفظاً للدين عن الاندراس ولئلا تذهب تضحية آل الله في سبيله أدراج التمويهات.

ولولا نهضة أولئك الأفذاذ من رجالات الشيعة للذب عن قدس الشريعة بتعریض أنفسهم للقتل كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق ورشيد ومیثم التمار وأمثالهم ومجاهرة الشعراء بما قدم به الأطهار من أهل البيت النبوی لما عرفت الأجيال المتعاقبة صراح الحق.

ومما ورد من الحث على نظم الشعر مدحًا ورثاءً قولهم عليهم السلام من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله له بيتاً في الجنة، وفي آخر: حتى يؤيد بروح القدس.

وفي ثالث: ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا إلا بنى الله له في الجنة مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب ونبي مرسلاً.

وقال أبو جعفر الباقر للكميـت لما أنسـده (من لـقلب متـيم مـستـهـام) القصـيدة: لا تزال مـؤـيدـاً بـروح الـقـدـس ما دـمـتـ تـقـول فـيـنا.

وأذن الإمام الجواد عليه السلام لـعبد الله بن الـصلـت أـنـ يـنـدـبـ وـيـنـدـبـ أـبـاهـ الرـضـا عليـهـ السـلامـ.

وـكـتبـ إـلـيـهـ أـبـوـ طـالـبـ أـبـيـاتـ يـسـتـأـذـنـهـ فـيـ رـثـاءـ أـبـيـهـ الرـضـاـ فـقـطـعـ أـبـوـ جـعـفـرـ أـبـيـاتـ وـكـتبـ إـلـيـهـ (أـحـسـنـ وـجـزـاـكـ اللهـ خـيـراـ).

وـتـقـدـمـ فـيـ صـ279ـ مـدـحـ الصـادـقـ لـمـنـ يـرـثـيـ لـهـمـ وـيـمـدـحـهـمـ. وـحـسـبـ الشـاعـرـ أـنـ يـتـرـتـبـ عـلـىـ عـمـلـهـ الـبـارـ هـاـتـيـكـ الـمـثـوـبـاتـ الـجـزـيـلـةـ الـتـيـ تـشـفـ عـنـ أـنـ مـاـ يـصـفـهـ بـعـيـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ حـتـىـ يـبـوـئـهـ الـجـلـيلـ عـزـ شـائـهـ مـنـ الـخـلـدـ حـيـثـ يـشـاءـ وـتـزـدـانـ بـهـ غـرـفـ الـجـنـانـ وـلـاـ بـدـعـ فـإـنـهـ بـهـتـافـهـ ذـلـكـ مـعـدـودـ مـنـ أـهـلـ الـدـعـوـةـ الـإـلـهـيـةـ الـمـعـلـنـيـنـ لـكـلـمـةـ الـحـقـ وـتـأـيـدـ الـدـيـنـ فـهـوـ بـقـولـهـ الـحـقـ يـرـفـعـ دـعـامـةـ الـإـصـلـاحـ وـيـشـيـدـ مـبـانـيـهـ وـيـطـأـ نـزـعـةـ الـبـاطـلـ بـأـخـمـصـ الـهـدـىـ وـيـقـمـ أـشـواـكـ الـمـتـكـدـسـةـ أـمـامـ سـيـرـ الـمـذـهـبـ وـيـلـحـبـ طـرـيقـهـ الـواـضـحـ فـحـيـاـهـمـ اللهـ مـنـ دـعـاهـ إـلـىـ مـرـاضـيـهـ.

وبما أن أبا الفضل العباس من أولئك الأطهار الذين بهم تمت الدعوة الإلهية وعلت كلمة الله العليا بإزهاق نفوسهم المقدسة حتى قضوا كراماً طيبين مضافاً إلى ما حواه من صفات الجلال والجمال مما أوجب أن يغبطه الصديقون على ما منحه الباري سبحانه عوض شهادته.

بادر من كهربه الولاء الخالص طلباً لذلك الأجر الجزيل بنظم مدحه ورثائه وأول من رثاه أمه أم البنين كما في مقاتل الطالبيين فإنها كانت تخرج إلى البقيع تندب أولادها أشجع ندبة وأحرقها فيجتمع الناس لسماع ندبتها وكان مروان يجيء لذلك فلا يزال يبكي فمن رثائهما فيهم:

لا تدعوني ويك أم البنين تذكروني بليوط العرين
كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرchan أشلاءهم فكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا بأن عباساً قطيع الوتين
وقولها الآخر:

يا من رأى العباس كر على جماهير النقد
ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذي لبد
نبئت أن ابني أصيـب برأسه مقطـوع يـد

ويلي على شibli أما ل برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يد يك لما دنا منك أحد
ورثاه حفيده الفضل بن محمد بن الحسن بن عبيد
الله بن العباس بن أمير المؤمنين على ما في (المجدي):

إني لأذكر للعباس موقفه بكرباء وهام القوم يختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمآن ولا يولي ولا يشني فمختلف
ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكرم به مشهداً بانت فضيلته وما أضع له أفعاله خلف
وحكى الشيخ الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الأميني في
كتاب (الغدير) ج ٣، ص ٥، عن روض الجنان في نيل مشتهى
الجنان المطبوع للمؤرخ الهندي أشرف على أن الفضل بن الحسن
المذكور قال في جده العباس عليه السلام :

أحق الناس أن يبكي عليه فتى أبكي الحسين بكرباء
أخوه وابن والده علي أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يثنى شيء وجاد له على عطش بما
وهذه الأبيات نسبها أبو الفرج في المقاتل إلى الشاعر ونسبها
السيد الحجة المتبع السيد عبدالله شبر قدس سره في جلاء العيون
إلى الحسين عليه السلام .

وقد رثى أبا الفضل العباس جماعة كثيرة من الفضلاء الأدباء

والعلماء البارعين لو جمعت ل كانت مجلداً ضخماً ولعل فيض أبي الفضل يشملنا فنخرجها إلى القراء بالقريب العاجل وفي هذا الكتاب نذكر ما يتحمله منها .

ومن جيد ما رثي به قصيدة الشاعر الشهير الحاج هاشم بن حردان الكعبي الدروقي المتوفى سنة ١٢٣١ هـ وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في النجف وفي كشكول الشيخ يوسف البحرياني صاحب الحدائق في الفقه ج ٢ ، ص ٣٩٢ وفي الدر النضيد للعلامة السيد محسن الأمين ومطلعها :

هل أُم طوق كذات الطوق في السلم تحن شوقاً إلى أيامنا القدم
إلى أن يقول :

يوم أبو الفضل تدعوا الظاميات به
والماء تحت شبا الهندية الخدم
والخيول تصطك والزعنف الدلاص على
فرسانها قد غدت ناراً على علم
وأقبل الليث لا يلويه خوف ردي

بادي البشاشة كالمدعو للنعم
يبدو فيغدو صميم الجمع منصداً نصفين ما بين مطروح ومنهزم
ورثاه العلامة الشيخ محسن آل الشيخ خضر المتوفى حوالي

سنة ١٣٠٣ :

فللله زينب إذ تستغيث
ويما ليث قومي إذا الخطب ناب
أتتركني نصب عين العدو
ولله مقولها إذ تقول
عذرتك يابن أبي فالحميم
فشلت أكف علوج برت
وفللت صفاح بها قطعوك
وذاب عمود حديد رماك
ورثاه شاعر أهل البيت في عصره السيد حيدر الحلبي المتوفى
سنة ١٣٠٤ وهي مثبتة في ديوانه مطلعها :

حلولك في محل الضيم داما وحد السيف يأبى أن تضاما
ورثاه العالمة السيد جعفر الحلبي المتوفى سنة ١٣١٥ هـ
وقد أبدع فيها وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في صيدا وفي مثير
الأحزان والدر النضيد مطلعها :

وجه الصباح على ليل مظلم وربيع أيامي على محرّم
وفي ص ١٥٨ وص ٢٤٦ وص ٢٥٧ ذكرنا أبياتاً منها
ورثاه الحاج محمد رضا الأزرى بقصيدة ومطلعها :

أوما أتاك حديث وقعة كربلا أتى وقد بلغ السماء قتامها

طبعت في مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري
وفي الدر النضيد.

ورثاه الإمام الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أدام
الله ظله ^(١) :

أبا صالح إن العزا لمحرم
لكم بين أضلاعى مواقد لوعة
تزاحم في فكري إذا رمت عدّها
وما أنسَ من شيء فلا أنسَ وقعة
وقد جددت حزني ولم يك مخلقاً
أصاب بها من كربلا قلب أحمد
غداة بنوه الغر في نصر دينه
بفتیان صدق في الحفیظة يممت
تطالع أقماراً بهم وأهله
وإن صرَّت الهیجاء ناباً تراهم
وإن فل حد السيف أمضاه عزمهم
وتهوي المنایا للهوان كأنما
ميامين يومن السلم لكن يومنهم
ومنكم بنو الزهرا استحل به الدم
بذكر رزاياكم تشب وتضرم
رزاياكم الجلّي فأبكي وأوجم
تهدّ لها السبع الطباق وتهدم
غداة استهلت أدمعي والمهرم
وقلب علي والبتولة أسمهم
سرت ونهار العدل بالجور مظلم
ركاب العلی في ظعنهم حيث يمموا
إذا أسفروا في موكب وتلشموا
أسوداً بأفیاء الظبا تتأجم
بأمضي شباً منهم فلا يتکهم
المنایا لها دون الدنيا مغنم
على من دنا بالشوم منهم لأنشأم

(١) نقلتها من كتاب سوانح الأفكار في منتخب الأشعار تأليف الفاضل
المهذب الخطيب السيد محمد جواد شبر .

من الصبر أقوى منه نسجاً وأحکم
حداها من الإيمان جيش عرمرم
ثناها بأجواز الفيافي ومتهم
وأرواحها في عالم القدس عُوم
الحياة عذاب والمنون تنعم
إذا أخذت في ذكرها تترنم
ترى البدر حفت فيه بالسعد أنجم
يشيب به طفل القضاء ويهرم
ويذبل منه يذبل ويلملم
وحق لها نحو الجنان التقدم
وأهواوا فقل شم الرواسي تهدم
صواعق من قرع الأسنة تضرم
وأجسامها للطير والوحش مطعم
إذا كر عباس الوغى يتبسّم
أباً فهو إما عنه أو فيه يرسم
نُزول على من بالكريهة معلم
بماضٍ به أمر المنية مبرم
فيوم عداه منه بالشر أيام
تصارخ منه الجحفل المتضمم
يحمّم من طول الطوى ويدمدم

قد ادرعوا درعاً حديداً وأخرروا
وما راع جيش الكفر إلا عصابة
حجازية نحو العراق ومنجد
بأجسامها في عرصة الطف عرّست
تضاحك بشراً بالمنون كأنما
وترقص شوقاً للقاء قلوبها
وإن بزغ النور الإلهي بينها
لقد ثبتوا للذب عنه بموقف
وتذهل أملاك السماء لوقعه
ولما قضوا في حلبة المجد حقها
تهاواوا فقل زهر النجوم تهاافت
بحرب على أعوان حرب قد انكفي
تعثّر فيه بالجماجم خيلهم
وتعبس من خوف وجوه أمية
أبو الفضل تأبى غيره الفضل والإبا
عليم بتأويل المنية سيفه
ويمضي إلى الهيجاء مستقبل العدى
وإن عاد ليل الحرب بالنقع أليلاً
وإن سمع الأطفال تصرخ للظما
وصال عليهم صولة الليث مغضباً

وراح لورد المستقى حامل السقا وأصدر عنه وهو بالماء مفعم
ومذ خاض نهر العلقمي تذكر الـ حسين فولى عنه والريق علقم
وأضحي ابن ساقى الحوض سقا ابن أحمـد

يروي عطاشا المصطفى الطهر إن ظموا

أبا الفضل تهنيك الوراثة من أب
ولما أبى منك الإباء تأخرأ
بهم حسمت يمناك ظلماً ولم أخل
وأن عمود الفضل يخسف هامه
وحيث هو أهوى إليه شقيقه
فالله مقطوع اليدين معرفاً
فقال أخي قد كنت ك بش كتبي
فمن ناقع حر القلوب من الظما
ومن يكشف البلوى ومن يحمل اللوا
رحلت وقد خلفتني يابن والدي
أحاطت بي الأعداء من كل جانب
فما زال ينعاه ويندب عنده
وأقبل محنى الضلوع إلى النساء
ولاحت عليه للرزايا دلائل
وأقدم فرداً للكريهة ليثها
فتحسب عزرايل صاح بسيفه

وقل غضب الجبار دمدم صاعقاً
ولما أعاد البر بحراً جواده
فتّ عزمه البقيا عليه فما انشوا
وقام لسان الله يخطب واعظاً
وقال انسبني من أنا اليوم وانظروا
فما وجدوا إلا السهام بنحره
ومذ أيقن السبط انمحى دين جده
فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً
وقال خذيني يا حتوف وهاك يا
وهيئات أن أغدو على الضيم جاثماً

ولولي على جمر الأسنة مجثم

ومنحوس ذياك الوجود وأعدموا
السفين به لكنما الموج عندم
ورقّ على من لا يرقّ ويرحم
فصّموا الماء عن قدس أنواره عموا
حلاً لكم من دمي أم محرم
تراش جواباً والعوالى تقوّم
ولم يبق بين الناس في الأرض مسلم
عن المسلمين الغامرات ليسلموا
سيوف فأوصالي لك اليوم مغمّن

وذكرَ وقد ضاق الفضا وجري القضا
ومذ خر بالتعظيم لله ساجداً
وجاء إليه الشمر يرفع رأسه
وززع عرش الله وانحط نوره
ومذ مال قطب الكون مال وأوشك اذ
وгин ثوى في الأرض قر قرارها
فلهفي له فرداً عليه تزاحت
فلهفي له ظام يوجد وحوله
ولهفي له ملقيٌ وللخيل حافر

واسال بودي الكفر سيل عرمرم
له كبروا بين السيوف وعظموا
فقام به عنه السنان المقوم
فأشرق وجه الأرض والكون مظلم
قلاباً يميل الكائنات ويعدم
وعادت ومن أوج السما وهي أعظم
جموع العدى تزداد جهلاً فيحمل
الفرات جرى طام وعنده يحرم
يجول على تلك الضلوع وينسم

ولهفي على أعضاك يا بن محمد
فجسمك ما بين السيف موزع
فلهفي على ريحانة الطهر جسمه
وللعلامة الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني قدس الله
سره المتوفى سنة ١٣٦١ هـ ٥ ذي الحجة :

أبو الإباء وابن بجده اللقا
ذاك أبو الفضل أخو المعالي
شبل عليٌ ليث غابة القدم
صنو الكريمين سليلي الهدى
هو الزكي في مدارج الكرم
وارث من حاز مواريث الرسل
وكيف لا وذاته القدسية
عليه أفلاك المعالي دائره
له من العلياء والمآثر
وكيف وهو في علو المنزله
وهو قوام مصحف الشهادة
وهو لكل شدة ملامة
وهو حليف الحق والحقيقة
وقد تجلى بالجمال الباهر
غرته الغراء في الظهور

رقي من العلياء خير مرتقى
سلالة الجلال والجمال
ومن يشابه أبه فما ظلم
علمًا وحلماً شرفاً وسؤددًا
هو الشهيد في معارج الهمم
أبو العقول والنفوس والمثل
مجموعة الفضائل النفسية
فإنه قطب محيط الدائرة
ما جلَّ أن يخطر في الخواطر
كالروح من نقطة باء البسمة
تمت به دائرة السعادة
فإنه عنقاء قاف الهمة
والفرد في الخلقة والخليقة
حتى بدا سر الوجود الظاهر
تکاد أن تغلب نور الطور

بالحق يدعى قمر الأقمار
كالقمر الباذغ في السماء
جل جلال الله في إبداعه
ملك عرش عالم الأسرار
به الهدایة استنار طورها
مرآتها لكل اسم وصفة
وقدرة الله تجلت فيه
تغييك عن إثباته مشاهده
ولا سواه لأبيه عضد
وكيف لا وهو مالك الأرواح
بل في المعانى الغر من صفاته
لولا الغلو قلت جلت قدرته
ونقطة المركز في ثباته
تقضي على العالم بالبوار
والفرق بين الجمع من ضرب يده
بارقة تذهب بـالـأـلـبـاب
تـزـهـقـ بـالـأـرـوـاحـ وـالـنـفـوـسـ
في موقف يـزـلـزـلـ الروـاـسـيـ
وـسـطـوـةـ تـمـلـأـ بـالـرـعـبـ الفـضـاـ
بـهـمـةـ مـاـ فـوـقـهـاـ مـنـ هـمـهـ

رقى سماء المجد والفخار
بل في سماء عالم الأسماء
بل عالم التكوين من شعاعه
سر أبيه وهو سر الباري
أبوه عين الله وهو نورها
فإنه إنسان عين المعرفة
ليس يد الله سوى أبيه
 فهو يد الله وهذا ساعده
فلا سوى أبيه الله يد
له اليد البيضاء في الكفاح
يمثل الكرار في كراته
صولته عند النزال صولته
هو المحيط في تجولاته
سطوته لولا القضاء الجاري
وواسم المنون حد مفرده
بارقة صاعقة العذاب
بارقة تحصد في الرؤوس
واسى أخاه حين لا مواسى
بـعـزـمـةـ تـكـادـ تـسـبـقـ القـضاـ
دـافـعـ عنـ سـبـطـ نـبـيـ الرـحـمـهـ

بهمة من فوق هامة الفلك
واستعرض الصفوف واستطلا
لفَ جيوش البغى والفساد
كرَّ عليهم كرة القرار
آثر بالماء أخاه الظامي
ولا يهمه السهام حاشا
فجاد باليمن والشمال
قام بحمل راية التوحيد
والدين لما قطعت يداه
وانطمست من بعده أعلامه
وانصدعت مهجة سيد البشر
وبان الانكسار في جبينه
وكيف لا وهو جمال بهجته
كافل أهله وساقي صبيته
واحده لكنه كل القوى
ناح على أخيه نوح التكلى
وانشقت السما وأمطرت دما
بكاه كالهطال حزناً والده
بكاه صنوه الزكي الماجتبى
ناحت بنات الوحي والتنزيل

ولا ينالها نبى أو ملك
على العدا ونكس الأبطالا
بنشر روح العدل والرشاد
أوردهم بالسيف ورد النار
حتى غداً معترض السهام
من همه سقاية العطاشى
لنصرة الدين وحفظ الآل
حتى هوى من عمد الحديد
تقطعت من بعده عراه
مذ فقدت عميدها قوامه
لقتله وظهر سبطه انكسر
فاندَّت الجبال من حنينه
وفي محياه سرور مهجهته
وحامل اللوا بعالى همته
وليث غابه بطف نينوى
بل النبي في الرفيق الأعلى
فما أجلَّ رزءه وأعظمها
وكيف لا وبيان منه ساعده
وكيف لا نور عينه خبا
عليه مذ أمست بلا كفيل

ناحت عليه الحور في قصورها
ناحت عليه زمر الأملاكي
فمن لتلك الخفرات الطاهرة
أين ربب المجد أَمَاً وأَبَا
وأين عن وداع النبوة
وأين عنها رب أرباب الإبا
فأصبحت نهباً لكل مارق
فيها اشتفي العدو من ضعائنه
أين فتى الفتيان يوم الملحمه
فليلته يرى بعين الباري
يهدى بها من بلد إلى بلد

لنوح آل البيت في خدورها
مذ ناحت العقائل الزواكي
مذ سبيت حسرى القناع سافرة
عن أخواته وهن في السبا
ممثل الغيرة والفتوة
إذ هجم الخيل عنهن الخبا
مسودة المتون والعواتق
فأين حامي الظعن عن ظعائنه
عن فتياته بأيدي الظلمه
عزائز الله على الأكوار
وهن في أعظم كرب وكمد

وللعلامة الشيخ حسن ابن الشيخ محسن مصباح الحلبي^(١) من

قصيدة في الحسين عليه السلام :

(١) آل مصباح أسرة في الحلة اشتهرت بالعلم والأدب منهم الشيخ حسين جد المترجم وابنه الشيخ محسن والد المترجم كان من العلماء الأفضل رثاه السيد حيدر في قصيدة مثبتة في ديوانه ومنهم المترجم ولد في الحلة وهاجر إلى النجف لطلب العلم ولما يبلغ العشرين من عمره ورجع بعد استكمال الفضيلة وحج مكة المكرمة خمساً وعشرين مرة تطوعاً تارة ونائباً و沐لاً أخرى جمع ديوانه في حياته وهو حسن جداً يناهز العشرة آلاف بيت وجل شعره في أهل البيت مدحًّا ورثاءً توفي عن عمر تجاوز السبعين في سنة ١٣١٧ وحمل إلى النجف (البابليات للخطيب الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي).

بهمة ليث لم يرעה قتامها
فرائده أن سل منها نظامها
ليوم التنادي يستكئن حمامها
عليه الفضا منه وضاق مقامها
ظُبًّا ويد الأقدار جالت سهامها
وولت عواديها يصل لجامها
إلى الماء لم يكبر عليه ازدحامها
قرى النهر واحتل السقاء همامها
لري عطاشى قد طواها أوامها
البصائر من رعب ويعلو قتامها
يدب به للدار عين حمامها
حسيس ولم يكبر عليه اعتصامها
وثنت بيمنى منه طاب التثامها
ترجل وانشالت عليه لئامها
وكم فيه يوم الروع حل نظامها
دعائيم دين الله شد قوامها
سِراعاً فإن النفس حان حمامها
تراب به الأعداء طال اجترامها
وحلق فيها للبوار اخترامها
حجاب المعالي واستحِلَّ حرامها

فهناك هب ابن الوصي إلى الوعى
أبو الفضل حامي ثغرة الدين جامع
نصى لقراع الشوس عضباً بحده
عليه انطوت في حلبة الطعن فانطوى
وخاصن بها بحراً يرف عبابة
فحلاًها عن جانب النهر عنوة
وددمد ليث الغاب يعطوا بسالة
ثني رجله عن صهوة المهر وامتطى
وهب إلى نحو الخيام مشمراً
ألمت به سوداء يخطف برقصها
جلالها بمشحوذ الغرarin أبلغ
فلولا قضاء الله لم يبق منهم
بماضية الأقدار جذت يساره
وفي عمد حتم القضا شج رأسه
به انتظمت سمر القنا وتشاكلت
دعا يا حمى الإسلام يابن الذي به
جري نافذ الأقدار في من تحبه
فشدّ مجيئاً دعوة الليث طالباً
طواها ضراباً سل في نفوسها
وأحنى عليه قائلاً هتك العدى

أخي بمن أسطو وإنك ساعدي
 أخي فمن يعطي المكارم حقها
 أخي فمن للمحصنات إذا غدت
 أخي لمن أعطي اللواء ومن به
 أخي فمن يحمي الدمار حفيظة
 كفى أسفًا أني فقدت حشاشتي
 فوا لهفتا والدهر غدر صروفه
 إلى الله أشكو لوعة لو أبثها
 على أنني والحكم لله لاحق
 فقام وقد أحني الضلوع على جوى
 حسبتك للأيتام تبقى ولم أخل
 وعبي إذا ما ضاق يوماً مقامها
 ومن فيه إعزازاً تطاول هامها
 بملسأء يذكي الحائمات رغامها
 يشق عباب الحرب إن جاش سامها
 إذا ما كبا بالضاريات اعتزامها
 بفقدك والأرzae جد احتدامها
 عليك وعفوًا ناضلتني سهامها
 على شامخات الأرض ساخ شمامها
 بإنرك والدنيا قليل دوامها
 يئن كما في الدوح أن حمامها
 تجر على الدهايات طgamها

للعلامة الحجة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي^(١) :

نور الهدى ومحا سنا سيمائه
 وبخاسف لأتم بدر سمائه
 ورحمته لمنتهى أحشائه
 صَكَّتْ يدَ الْجَلَّىْ جَبِينَ بَهَائِهِ
 بكر الردى فاجتاح في نكبائه
 ودهي الرشاد بناسف لأشممه
 ورمى فأصمى الدين في نفاذِهِ
 يوماً به قمر الغطارف هاشم

(١) ولد في النجف الأشرف في شهر صفر سنة ١٢٧٩ هـ وتوفي ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦١ ودفن في مقبرة بجنب الحسينية التي أسسها في (النبطية).

يا مبكياً عين الإمام عليك فلتبك الأنام تأسياً ببكائه
ومقوساً منه القوم وحانياً منه الضلوع على جوى برحائه
فلننحني حزناً عليك تأسياً بالسبط في تقويسه وحنائه
أنت الحرّيّ بأن تقيم بنو الورى طرّى ليوم الحشر سوق عزائه
هذا آخر ما وقفنا عليه من حياة قمر الهاشميين والله ولّي
ال توفيق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه
الهداة الميامين ونسأله سبحانه الهدایة لما يرضيه والزلفى لديه
تعالت آلاوه .

المحتويات

٧ مقدمة
١٧ سلسلة الآباء
٤٩ الأعمام
٥٥ طالب
٥٧ عقيل
٦٢ السفر إلى الشام
٦٩ الحديدة
٧٠ افتراء
٧٢ الخلف عن عقيل
٧٤ الطيار
٨١ إخوته
٨٤ ابن الحنفية
٩١ الأطرف
٩٧ أخواته

٩٨	العقيلة
١٠٧	أم البنين
١١٣	الزواج
١١٥	الولادة
١١٩	صفاته
١٢٧	كينته
١٢٩	اللقب
١٣٥	السقاء
١٤٥	نشأته
١٥٥	اليقين
١٥٩	الأصحاب
١٦٩	الأمان
١٧٣	المواساة
١٧٩	عثرة التاريخ
١٨٥	حديث الصادق
١٩٩	العباس في نظر الأئمة
٢٠٩	العاصمة
٢١٥	الكرامات
٢٣٥	اللواء
٢٤٧	موقفه قبل الطف
٢٥٣	موقفه في الطف

٢٦١ الشهادة
٢٦٧ المشهد المطهر
٢٧١ ملاحظة
٢٧٣ الحائر
٢٨١ نهر العلقمي
٢٨٥ مشهد الرأس
٣٠١ مشهد الكفين
٣٠٣ الزيارة
٣٠٧ صلاة الزيارة
٣١٣ تقبيل القبر
٣١٥ أولاده وأحفاده
٣٢٤ الحمزة
٣٣٣ عمارة المشهد
٣٣٣ تمهيد
٣٤٧ عمارة مرقد العباس
٣٥١ السدانة
٣٥٣ حامي الجوار
٣٥٥ المديح والرثاء